

الجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

معين التاريخ لأهل التاريخ

الحلقات الدراسية

التاريخ والآثار

الحلقة الدراسية الأولى

القاهرة

معين التاريخ لأهل التاريخ

المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية - القاهرة

المجلد الثاني للدراسات

البيان والاشارة

الحلقة الدراسية الأولى

٤ - ٩ من فبراير سنة ١٩٦١

القاهرة

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

يحتوى هذا الكتاب على مجموعة الكلمات والدراسات التي
أقيمت في الحلقة الدراسية الأولى للتاريخ والآثار التي أقامها
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
في المسعة من ٤ - ٩ من فبراير سنة ١٩٦١

معين التاريخ لأهل التأريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

رأت لجنة التاريخ والآثار ، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، الدعوة إلى عقد اجتماع مشترك لأعضاء اللجنة التاريخ والآثار بإقليمى الجمهورية ، وذلك للتعارف والتحميد لعقد مؤتمر لرجال التاريخ والآثار فى البلاد العربية ، وعرض هذا الرأى على لجنة التاريخ والآثار بالإقليم الشمالى فوافقت عليه ، وأقرته شعبة العلوم الاجتماعية بالمجلس ثم وافق مكتب المجلس على أن تعقد حلقة الدراسات التاريخية والأثرية بالقاهرة فى المدة من ٤ - ٩ فبراير سنة ١٩٦١

وقد رثى أن يعد كل عضو بحثاً مكتوباً عن الموقف الراهن للموضوع الذى يعنى به ، وشكلت لجنة فرعية لتلقى البحوث وإعداد تنظيم انمقاد الحلقة وكانت حفلة الافتتاح بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع ، وأما بقية اجتماعات الحلقة فقد عقدت بمقر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

ولم تقتصر أعمال الحلقة على إلقاء البحوث ومناقشتها بل نظمت زيارات للمتاحف والمناطق الأثرية ، وكان افتتاح تلك الرحلات فى اليوم الأول ٤ من فبراير عقب حفل الافتتاح حيث انتقل الأعضاء إلى زيارة الجامع الطولونى أقدم الجوامع التى احتفظت بظابعها وتفصيلها بمصر . وبعد أن تجول الأعضاء فى أعمامه وشاهدوا روائحه المهارية . شاهدوا كذلك مدى الدقة

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

في الوقت الذي يعدّ فيه نشر دراسات وقرارات تلك الحلقة ،
فجعنا وفجع العالم العربي والإسلامي يوم ٢٠ من أكتوبر
سنة ١٩٦١ نبأ مروع هو وفاة الأستاذ محمد شفيق غربال ،
وكان لهذا النبأ هزة عنيفة في الأوساط العلمية . فقد كان
رحمه الله عالما محققا ودارسا مدققا تتلمذ عليه مؤرخو
هذا الجيل وكان له فضل الإسهام المنتج في الأوساط والمجامع
العلمية . وبفقدته فقد العالم العربي والإسلامي ذخيرة لا تعوض ؟
رحمه الله رحمة واسعة .

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

المختار

المحتوى

المصيفة

كلمات الافتتاح

- كلمة الأستاذ أحمد نجيب هاشم وزير التربية والتعليم للإقليم المصرى ورئيس شعبة العلوم
الاجتماعية بالمجلس ٥
كلمة الأستاذ عبد الرحمن الراضى المقرر العام للجنة التاريخ والآثار بالمجلس ٩
كلمة الدكتور نور الدين حاطوم مقرر لجنة التاريخ بالإقليم السورى ١٥
لوحات الصور التى أخذت للسادة أعضاء الحلقة ١٥

البحوث التى أقيمت فى الحلقة

- ١- منبج دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم ومنبج
تاريخ الحضارة الدكتور أحمد فخرى ٢١
٢- مشروع إنقاذ آثار النوبة وآخر البحوث
التي تجرى فيها الدكتور عبد المنعم أبو بكر ٣٧
٣- الألقاب القهريّة فى مصر فى عهد البطالة الدكتور إبراهيم نصحي ٥٣
٤- التأثيرات المعاصرة بين آثار سوريا ومصر للأستاذ حسن عبد الوهاب ٨٣
٥- رعاية الآثار الإسلامية الدكتور جمال محرز ١٠٧
٦- ترميم الآثار المهندس محمد عبد الفتاح حلمى ١١٥
٧- المعاليم التاريخية والأثرية للأستاذ عمر رضا كماله ١٢٥
٨- الملابس فى العصر الأموى وقاموس دوزى الدكتور نبيه عاقل ١٣١
٩- المتاحف فى الإقليم السورى للأستاذ بشير زهدى ١٣٩
١٠- وجوب العودة لتأليف التاريخى على أساس
المخطط للأستاذ محمد شفيق غربال ١٤٩
١١- دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى الدكتور محمد مصطفى زيادة ١٥٥
١٢- المستشرقون والتاريخ العربى الدكتور محمد كامل عياد ١٦٩
١٣- البحوث الأندلسية للأستاذ محمد عبدالله عنان ١٧٧

معين التاريخ لأهل التأريخ

المحقة:

- ١٤ - العراك بين الماليك والأزراك للأستاذ محمد أحمد دهمان ... ١٨٥
- ١٥ - حول تاريخ بلاد الشام في القرن العاشر الهجري ، (السادس عشر الميلادي) للأستاذ ليل الصباغ ... ١٩٥
- ١٦ - أهمية الوثائق وتاريخ الإقليم السوري للدكتور نادر الطار ... ٢٠٥
- ١٧ - أزمة الدراسات التاريخية والأثرية في الإقليم السوري للدكتور نور الدين طاحوم ... ٢١٥
- ١٨ - استكمال التأهيل العلمي لدرسى التاريخ للدكتور علاء الدين الحافى ... ٢٢٧

التوصيات التى أقرتها الحلقة

- أولاً - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥١
- ثانياً - التوصيات الخاصة بوزارة التربية والتعليم ٢٥٣
- ثالثاً - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى للجامعات ٢٥٤
- رابعاً - التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ٢٥٥

اللوحات الخاصة بالبحوث .

- ١ - اللوحات الخاصة ببحث « التأثيرات المعاصرة بين آثار سوريا ومصر » للأستاذ حسن عبد الوهاب .
- ٢ - اللوحات الخاصة ببحث « ترميم الآثار » للمهندس محمد عبد الفتاح حلى .

قائمة اللوحات

أولا - الصور التي أخذت لأعضاء الحلقة .

السادة أعضاء الحلقة في زيارة الجامع الطولوني
بعض الأعضاء في زيارة المتحف القبطي
بعض الأعضاء في حفلة الغداء
الجلسة الختامية

ثانيا - الصور الخاصة ببحث « التأثيرات المعمارية بين آثار سورية ومصر »
للأستاذ حسن عيد الوهاب .

- ١- شبايك جصية من قصر الحير الغربي ببادية الشام (جنوبي غربي تدمر) سنة ١٠٩ هـ ٧٢٧ م
- ٢- شباك جصى بالجامع الطولوني بمصر سنة ٢٦٥ هـ ٨٧٨ م
- ٣- شباك جصى بالجامع الطولوني بمصر . . .
- ٤- محراب طولوني بالجامع الأموي بدمشق (القرن الثالث الهجرى . القرن التاسع الميلادى)
- ٥- محراب خشبى منتقل من مشهد السيدة رقية بمصر (سنة ٥٢٧ هـ ١١٣٢ م)
- ٦- تفاصيل من المحراب الخشبي بالمدرسة الخلوية بحلب ، وعليه اسم صانعه ، أبو الحسن محمد ابن الحراني (سنة ٦٤٣ هـ . ١٢٤٥ م)
- ٧- قبة مدرسة نور الدين الشهيد بدمشق (سنة ٥٦٧ هـ . ١١٧٢ م)
- ٨- قبة صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ هـ . ١١٩٥ م)
- ٩- قبة عبد الرحمن ، بالسداح بدمشق (العصر الأيوبي)
- ١٠- تفاصيل من تابوت صلاح الدين بدمشق (سنة ٥٩٢ هـ . ١١٩٥ م)
- ١١- تابوت الإمام الشافعي بمصر (سنة ٥٧٤ هـ . ١١٧٨ م)
- ١٢- تفاصيل من تابوت الشهيد الحسيني بالقاهرة ، بمتحف الفن الإسلامى (حوالى سنة ٥٧٥ هـ . ١١٧٩ م)
- ١٣- قبة الإمام الشافعي (سنة ٦٠٨ هـ . ١٢١١ م)
- ١٤- تفاصيل من تابوت أم الملك الكامل بقتبة الإمام الشافعي (سنة ٦٠٨ هـ . ١٢١١ م)
- ١٥- باب مدخل السادات الشمالية (سنة ٦١٣ هـ . ١٢١٦ م)

معين التاريخ لأهل التاريخ

- ١٦- مدخل المدارس الصالحية : الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ١٢٤١ . ١٢٤٣ م)
- ١٧- قبة الصالح نجم الدين بالقاهرة (سنة ١٢٤٨ . ١٢٥٠ م)
- ١٨- قبة شجر اللد بالقاهرة (سنة ١٢٤٨ . ١٢٥٠ م)
- ١٩- زخارف جصية بقبة الخلفاء العباسيين بمصر (حوالي سنة ١٢٤٠ . ١٢٤٣ م)
- ٢٠- قبة ومنارة أبو الفضل أحمد الفنازى بالقاهرة (أواخر العصر الأيوبي)
- ٢١- مصراع باب المدرسة الشاذليّة (الشيخ معروف) بحلب (سنة ١١٩٣ . ١٢٠٩ م)
- ٢٢- مصراع باب خان خير بك بحلب (سنة ١٢٢٨ . ١٢١٤ م)
- ٢٣- باب المدرسة السلطانية بحلب (سنة ٦١٣ - ٦٢٥ . ١٢١٦ - ١٢٢٧ م)
- ٢٤- العقد الغريب بمطبخ المعجمي بحلب (القرن الثالث عشر الميلادي)
- ٢٥- محراب مدرسة الفردوس بحلب (سنة ١٢٣٣ . ١٢٣٥ م)
- ٢٦- باب رباط أزدهر . مصطفى باشا حاكم ائمن بشارع القادرية بالإمام الشافعي بمصر (حوالي سنة ١٢٦٦ . ١٢٦٧ م)
- ٢٧- الإيوان القوي ببيارستان أرغون الكامل بحلب (سنة ١٣٥٥ . ١٣٥٥ م)
- ٢٨- التيجان الرمية فوق العمدة في بيارستان أرغون الكامل بحلب (سنة ١٣٥٥ - ١٣٥٥ م)
- ٢٩- العقود حول محض الجامع الأموي بدمشق (سنة ١٢٨٦ . ١٣٠٥ م)
- ٣٠- العقود حول محض مسجد الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل بمصر (سنة ١٣٣٥ . ١٣٣٥ م)
- ٣١- كسوة رخامية في باب مسجد أصلم السلحدار بمصر (سنة ١٣٤٥ . ١٣٤٥ م)
- ٣٢- كسوة رخامية في باب مسجد برقوق بمصر (سنة ١٣٨٦ . ١٣٨٨ م)
- ٣٣- كسوة رخامية في باب القبة الأرغونية بدمشق
- ٣٤- طراز مكتوب بالخطين الكوفي والنسخي برقبة القبة البحرية بخانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية بالقاهرة (سنة ١٢٠٣ . ١٢٠٠ م)
- ٣٥- طراز مكتوب بالخطين الكوفي والنسخي بالمدرسة الحقيقية بدمشق (سنة ١٢٢١ . ١٢٢٤ م)
- ٣٦- طراز مكتوب بالخط الكوفي بمدرسة السلطان حسن بمصر (سنة ٧٥٧ - ٧٦٤ م)
- ٣٧- طراز مكتوب بالخط الكوفي في مسجد يلينا بدمشق (سنة ٧٤٧ . ١٣٤٧ م)
- ٣٨- مدخل مسجد القسطنطين (المدرسة الصليبية) بحلب (سنة ١٣٥٠ . ١٣٥٠ م)
- ٣٩- عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس البندقداري بالقاهرة (سنة ١٢٦٧ . ١٢٦٩ م)
- ٤٠- منبر الجامع الكبير بحلب (أوائل القرن ثامن الهجري)
- ٤١- منبر مسجد حلق القهرمانة بمصر (سنة ٧٤٠ . ١٣٤٠ م)
- ٤٢- منبر المسجد الكبير بجاه (القرن الخامس عشر الميلادي)
- ٤٣- منبر مسجد قنري ردي بمصر (سنة ١٢٤٤ . ١٢٤٤ م)
- ٤٤- محراب ومنبر مسجد سنان باشا بدمشق (سنة ١٢٩٥ . ١٥٨٦ م)

معين التاريخ لأهل التاريخ

- ٤٥- مراب ومنير مسجد الملكة صفية بمصر (سنة ١٠١٩ هـ . ١٦١٠ م)
- ٤٦- قاشاني دمشق بمسجد ستان إيشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)
- ٤٧- قاشاني تركي بمنفى إبراهيم أغا بمسجد آق سنقر بمصر (سنة ١٠٦٢ هـ . ١٦٥١ م)
- ٤٨- قبة المنوق بالقرافة القبليّة بمصر (نهاية القرن الثالث عشر الميلادي)
- ٤٩- قبة خان أسعد باشا العظم بدمشق (سنة ١١٦٦ هـ . ١٧٥٢ م)
- ٥٠- منارة الجامع الكبير بمصر النعمان
- ٥١- منارة الجامع الكبير بحلب
- ٥٢- منارة المدرسة الشافعية بحلب (سنة ٨٢٨ هـ . ١٤٢٤ م)
- ٥٣- منارة المولوية بحلب (سنة ١٢٧٨ هـ . ١٨٦١ م)
- ٥٣- منارة مسجد الموازين بحلب (سنة ٧٩٧ هـ . ١٣٩٤ م)
- ٥٤- منارة الجناس الطولوني بمصر (سنة ٦٩٦ هـ . ١٢٩٦ م)
- ٥٥- منارة الجامع العتيق بلسنا (سنة ٤٧٠ هـ . ١٠٧٧ م)
- ٥٦- منارة مدارس الصلح نجم الدين بالقاهرة (سنة ٦٤١ هـ)
- ٥٧- منارة مدرسة سنقر السعدى حسن صدقة (سنة ٧٢١ هـ)
- ٥٨- منارة خانقاه قوصون (سنة ٧٣٦ هـ)
- ٥٩- منارة مدرسة الجلى اليوسفى (سنة ٧٧٤ هـ)
- ٦٠- منارة مسجد آسفيا (سنة ٧٧٢ هـ)
- ٦١- منارة مسجد القاضي يحيى بشارع الأزهر (سنة ٨٤٨ هـ . ١٤٤٤ م)
- ٦٢- منارة مسجد المزيّد شيخ فوق باب زويلة (سنة ٨٢٣ هـ . ١٤٢٠ م)
- ٦٣- منارة السلطان قايتباى بالأزهر (سنة ٨٧٣ هـ . ١٤٦٨ م)
- ٦٤- منارة مسجد تميم نجم الرصاص (تم رصاص) بحارة السيّد زينب (قبل سنة ٨٧٦ هـ)
- ٦٥- منارة مسجد قايتباى بقلعة الكيش (سنة ٨٨٠ هـ . ١٤٧٥ م)
- ٦٦- منارة مدرسة جامّ الهلوان بالنروجية (سنة ٨٨٣ هـ . ١٤٧٨ م)
- ٦٧- قبة زين الدين يوسف (سنة ٦٩٧ هـ . ١٢٩٨ م)
- ٦٨- قبة الخانقاه البتقدارية (سنة ٦٨٢ هـ . ١٢٨٥)
- ٦٩- قبة تنكربغا بصحراء النسيوطى (القرافة القبليّة) (سنة ٧٦٤ هـ . ١٣٦٤ م)
- ٧٠- قبة الأشرف برسباى بالقرافة الشرقية (سنة ٨٣٥ هـ . ١٤٣١ م)
- ٧١- قبة الأمير برسباى الجاسى بالقرافة الشرقية (سنة ٨٦١ هـ . ١٤٥٣ م)
- ٧٢- قبة قانصوره أبو سعيد بالقرافة الشرقية (سنة ٩٠٤ هـ . ١٤٩٩ م)
- ٧٣- قبة المدرسة الجوهريّة بالجامع الأزهر (قبل سنة ٨٤٤ هـ . ١٤٤٠ م)
- ٧٤- قبة مسجد قانيبلى أمير نخور بميدان صلاح الدين (سنة ١٠٠٣ هـ . ١٥٠٣ م)

معين التاريخ لأهل التاريخ

ثالثاً - الصور الخاصة ببحث « ترميم الآثار » للمهندس عبد الفتاح حلمي

- ١- واجهة مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح
- ٢- واجهة مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح
- ٣- داخل مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح
- ٤- داخل مسجد الصالح طلائع بعد الإصلاح
- ٥- داخل مسجد المارداني (الصحن) قبل الإصلاح
- ٦- صحن جامع المارداني بعد الإصلاح
- ٧- داخل مسجد المارداني (المحراب والمنبر) قبل الإصلاح
- ٨- داخل مسجد المارداني بعد الإصلاح
- ٩- خانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية قبل الإصلاح
- ١٠- خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح
- ١١- داخل خانقاه فرج بن برقوق قبل الإصلاح
- ١٢- داخل خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح
- ١٣- داخل وكالة النوري قبل الإصلاح
- ١٤- داخل وكالة النوري بعد الإصلاح
- ١٥- واجهة مسجد الأشرف برسبای بالخانكة قبل الإصلاح
- ١٦- واجهة مسجد الأشرف برسبای بالخانكة بعد الإصلاح
- ١٧- داخل مسجد الأشرف برسبای بالخانكة قبل الإصلاح
- ١٨- داخل مسجد الأشرف برسبای بالخانكة بعد الإصلاح
- ١٩- منزلا الكريتلية وآمنة بنت سالم قبل الإصلاح
- ٢٠- منزلا الكريتلية وآمنة بنت سالم بعد الإصلاح
- ٢١- منارة مدرسة صرغتمش قبل فكها
- ٢٢- منارة مدرسة صرغتمش بعد إعادة تركيبها
- ٢٣- مسجد محمد علي وقت الإصلاح
- ٢٤- مسجد محمد علي بعد الإصلاح

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



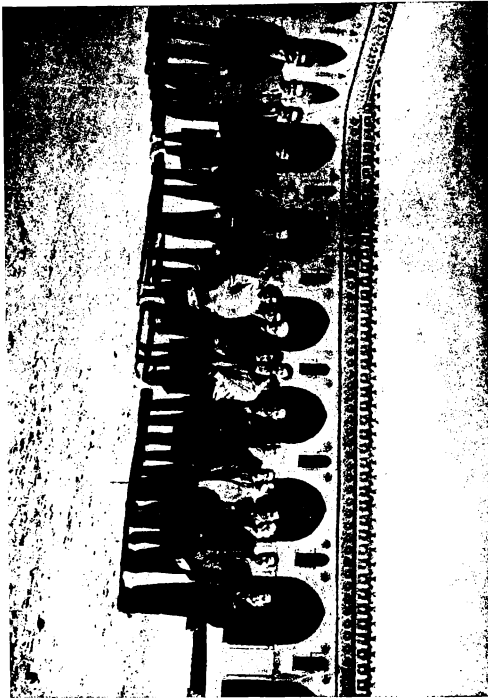
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



بعض الأعضاء في زيارة المتحف القبلي

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

البَيِّنَاتُ وَالْأَشَارُ

الحلقة الدراسية الأولى

معين التاريخ لأهل التأريخ

كلمات الفتن

معين التاريخ لأهل التأريخ

لقد سافر (محمد نجيب) شيم

باسم الله أفصح هذه الحلقة وأسأله التوفيق .

سيداتي و سادتي

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم تلبية الدعوة لحضور حلقة الدراسات التاريخية والأثرية هذه التي أعدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وإذا كانت هذه الحلقة توجه اليوم عنايتها الأولى إلى دراسة التاريخ القديم والحديث للجمهورية العربية المتحدة ، وآثارها الحالية ، فإني أرجو أن يمتد غداً نطاق الحلقات القادمة فتشمل دراساتها تاريخ البلاد العربية جميعاً فأصلها واحد ، وتاريخها واحد ، ولقبتها واحدة ، تربطها بعضها ببعض أواصر قوية من الأمانى المشتركة ، ووشائج متينة من المصالح المتبادلة . ولاشك في أن هذه الدراسات نتيجة حتمية للوعى القومى العربى الذى يزداد على مر الأيام قوة وازدهارا . ولست فى حاجة إلى أن أذكر لحضراتكم أن الدراسات التاريخية والأثرية من الوسائل الفعالة لتقوية الروح القومية فى النفوس والنهوض بالشعوب الطموحة الوثابة إلى مكانها من العزة والكرامة .

ونحن ، خلال هذه الحقبة الحاسمة من تاريخنا المجيد أشد ما نكون احتياجاً إلى التعمق فى دراسة هذا التاريخ ، قديمه ووسيطه وحديثه ، والتعريف به . وسترون خلال دراساتكم المثمرة هذه أنه سوف تنشعب بكم الاتجاهات ، وتنسج دوائر النقاش وحلقات الجدل ، ولكن سيتم ذلك

معين التاريخ لأهل التاريخ

فى روح من أصالة الرأى ونفوج الفكر ، فالعناصر الحاقدة على الشرق العربى فى نهضته الكبرى كثيرة قوية ترصب به ، وتضيق عليه الخناق ، وتلمس ثغرة تنفذ منها لتضرب ضرباتها الخبيثة الماكرة . ومكاننا فى الشرق العربى وواجبنا المقدس يحمان علينا اليقظة المستمرة والسهر الدائم على الاحتفاظ بترائنا الخالد وأعمالنا الحيدة وأجدادنا الغراء حتى تكون حافزا لنا فى بناء مستقبل مشرق لا يقل روعة وجلالا عن ماضينا العظيم .

ومستجلون أن ميادين البحوث التاريخية والأثرية الخاصة بالأمصار العربية متسعة ومجالاتها فسيحة الرحاب ، فيلادنا منبع الحضارة البشرية ، وقد حملت مشعل التقدم الإنسانى منذ آلاف السنين ، وسارت فى مقدمة ركب الحضارة بين أُمم العالم طرأ ، ولقد كانت الصلات التى ربطتنا وسائر أعضاء الأمة العربية مستمرة متصلة الحلقات فى مختلف العصور وتباين الأحداث .

ويمكننى أن أوكد لحضراتكم أيها السادة أنه سيكون لدراساتكم فى هذه الحلقة المباركة أثر عميق فى الدفع القومى والتوجيه العلمى - وإنى واثق أنكم ستصلون بدراساتكم إلى نتائج طيبة تكافئكم على جهودكم ومناقشاتكم المثمرة وتبهر لنا السبيل خلال الأعاصير الجالحة والأحداث العاصفة التى تكاد تورد العالم اليوم موارد الهلكة .

وانتهز هذه الفرصة فأهنيء هؤلاء السادة الدارسين المؤمنين برسالتكم المتطلعين إلى ثمار أعمالكم ودراساتكم فسوف ينتفعون فى مختلف النواحي بما ستقومون به من بحوث خلال جلسات هذه الحلقات التى حرصت على أن يحضرها عدد من المشرفين على تدريس التاريخ فى مدارسنا ومعاهدنا .

ويجمل بى أن أذكر فى هذا المقام أننى سعدت حين دخلت إلى هذه القاعة بقاء أستاذى المؤرخ الكبير محمد شفيق غربال وتحدث لى عن هذه الحلقة وموضوعاتها فأشار أنه من محاسن الصدق أن تعقد فى وقت نسمع فيه كلمة حتى فى قضية هم العرب جميعاً ؛ كلمة تخرج من فم عالم جليل

معين التاريخ لأهل التأريخ

«الشأن عزيز المكانة هو المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي ؛ فقد جاهر برأيه في شجاعة وإيمان، وأوضح للعالم كله حق العرب في فلسطين أرضهم المقتصة ووطنهم المسلوب .

لأنها ومضة من ومضات التاريخ الصادق ، وإشراقة من الضياء نذكرها في افتتاح هذه الحلقة اعترافاً بحسن الصنيع وتقديراً لصراحة المؤرخين المدققين .

أكرر شكرى لكم وأشكر لكل من أسهم في الإعداد لهذه الحلقة . وأتمنى لكم التوفيق والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .:

معين التاريخ لأهل التأريخ

المنتدى فوجدهم (المنتدى)
المقر والسام هيئة التاريخ والآثار

السيد وزير التربية والتعليم .

سيداتي . سادتي الأعضاء .

أحييكم أطيب تحية . وأشكر للسيد رئيس المجلس الأعلى لإقامة هذه الحلقة .
حلقة الدراسات التاريخية والأثرية ، وأشكر لكم تايية الدعوة لحضورها .
إن هذه الحلقة قد أعدها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية وخصصها للدراسات التاريخية والأثرية . هذه الدراسات التي
تعنى أول ما تعنى بتاريخ الجمهورية العربية المتحدة الحديث والقديم ،
وآثارها ، وتعنى بتاريخ البلاد العربية كلها ، ثم بتاريخ الإنسانية والدول
والشعوب بوجه عام .

إن الثقافة القومية والعلمية أحوج ما تكون لهذه الحلقات والندوات . التي
نرجو مع الزمن أن تتحول إلى مؤتمرات دورية ، وهذه الندوات والمؤتمرات
فضلا عن فوائدها العلمية — جديرة بأن تحبب إلى المواطنين تاريخ بلادهم ،
وتطالع الشعب العربي بالعديد من الحقائق عن ماضيه المجيد وحاضره السعيد .
والدراسات التاريخية والأثرية بوجه عام من الوسائل الفعالة لرفع مستوى
الوعي القومي وتقوية الروح الوطنية في النفوس ، هذا إلى مزاياها العلمية
والتحليلية المحققة .

والشرق العربي في نهضته الحديثة يتطلب تعرف تاريخه القديم والحديث ،
فهو في حاجة إلى من يبصره بأبعاده القديمة ، فمنها تتولد أبعاده الحديثة .
وأبعاده في المستقبل .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وإذا كان الشرق قد تخللت تاريخه في بعض الفترات هجمة أو نكسة .
فلأنها كهجمة النائم ؛ لم تلبث أن أعقبها اليقظة ثم النهضة ، وقد استيقظ الشرق
العربي في القرن التاسع عشر ، واستمرت يقظته ثم نهضته في القرن العشرين ، وأخذ
يستعيد أجماده القديمة ويضم إليها أجماداً حديثة ، ولا غرو فالأمة كالفرد في
حياته وتطوره ، كلاهما كائن حي ينمو ويتطور . مع هذا الفارق بينهما . وهو
أن الفرد مصيره إلى زوال . أما الأمة فهي باقية خالدة لانتهى حياتها أبداً . بل
تتجدد في أشخاص الأبناء والأحفاد والذرائع والأجيال . وعلى الأجيال
المتعاقبة أن تعرف تاريخ الأجيال السابقة . فنها يتكون الوطن الأكبر الذي
يربطهم ويوئله بينهم جميعاً .

وهم كأفراد الأسرة الواحدة . يعرف كل واحد منهم سيرة آباءه وأجداده
واحدًا واحدًا . ويحرص على إعزاز الأسرة التي أنجبته ، وكما يحب المرء سيرة
أسلافه . كذلك يعتز المواطن بتاريخ أسلافه في الوطن ويشعر بأنه استمرار
لهذا التاريخ وجزء منه .

والمرء إذا أحب أبويه . فإنه يحب قصة حياتهما ، ويتعرف تاريخ
ميلادهما . والمكان الذي ولدا فيه ، وظروف حياتهما ، وأدوارهما ومراحلها ،
وما نالاه من حظ وتوفيق . أو صادفهما من عقبات ومتاعب . وكذلك الزوج
إذا أحب زوجته وشريكه حياته يحب دائماً أن يعرف قصتها في الحياة ،
أين ولدت ، وفي أي سنة رأت نور الحياة ، والمعاهد التي تعلمت فيها ،
وكيف كان تثقيفها وتعليمها ، بل يحب أن يعرف أيضاً طرفاً من حياة
أبويها وذويها .

وكذلك المواطن إذا أحب وطنه يجعل من أول واجباته أن يعرف
قصة هذا الوطن وتاريخه . في سرائره وضرائره . وفي أفراحه وأحزانه ، فإن
هذه المعرفة هي الشرارة الأولى للشعلة الوطنية .

وإذا كان القصص وسيلة من وسائل نشر المبادئ الصالحة والمعاني
السامية والعواطف النبيلة . فأجلد بالتاريخ — وهو قصة واقعية — أن يكون

معين التاريخ لأهل التاريخ

وسيلة للنهوض بالعقول والأفكار. ونضج القرائح. والسمو بأخلاق الجيل ومعنوياته. وتوجيه المواطن إلى المثل العليا في الحياة القومية.

والشعب العربي كلما ازداد معرفة بتاريخ بلاده ازداد حباً لها ، وإذا أحبها أخلص لها ، وكلما أخلص المواطنون لبلادهم بذلوا كل مافي مقدورهم لإسعادها ورفع شأنها ، وهذا هو معنى الوطنية ، ومن هنا قالوا إن التاريخ مدرسة للوطنية .

إن التاريخ العربي حقل واسع المدى فسيح الجنبات للدراسات التاريخية والأثرية . والشعب العربي كائن حي تعاقبت عليه العصور والدهور. وهو أبدا سائر إلى الأمام ، يشهد المثل العليا ويحمل للإنسانية معاني الاعتدال والحضارة والرغبة الصادقة في المحبة والسلام .

إن الحقل واسع والميدان فسيح ، والبحوث التاريخية والأثرية فيه متشعبة النواحي ، وحسبنا للتنبؤ بذلك أن الحضارة البشرية قد بدأت في الشرق العربي .

ظهرت الحضارة أول ما ظهرت في وادي النيل ، نشأت على ضفافه منذ نحو سبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، ونمت وازدهرت على تعاقب الأجيال والقرون ، والمصريون القدماء بينهم وبين العرب صلات ووشائج متناهية في القدم ، وقد وفد كثير منهم إلى مصر القديمة على أثر هجرات من الجزيرة العربية ، وهم ينتسبون إلى الأرومة السامية ، ولذلك قالوا إن لأصول المصريين الأقدمين والعرب والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها إلى بعض ، فالمصريون عرب من قديم الأزل ، وقد امتدت عربيتهم من فجر التاريخ القديم إلى التاريخ المتوسط إلى التاريخ الحديث .

وتاريخ الرسائل الروحية مرتبط أيضاً بتاريخ الشرق العربي ، فهو موطن الرسائل التي هي من أركان الحضارة البشرية .

معين التاريخ لأهل التاريخ

إبراهيم الخليل ، أبو الأتباء قد نشأ عربياً في جنوب العراق ،
منذ نحو ألفى سنة قبل الميلاد ، ودعا إلى التوحيد . ورحل إلى فلسطين
فصر ثم إلى الحجاز . بيكة وبنى الكعبة في مكة مع ابنه إسماعيل .

« إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً
وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم »

« وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »

وفي جبل سيناء كلم الله موسى تكليماً .

وفي فلسطين نشأ السيد المسيح . الذي أصابه من اضطهاد الرومان
والإسرائيليين ما أصابه . وعلى يده ظهرت المسيحية السمحة . الداعية إلى
الإخاء والسلام . لا إلى البغى والعدوان .

وفي ظلال البيت الحرام نشأ محمد عليه الصلاة والسلام . ونزل عليه
الوحي ، ودعا إلى رسالة الإسلام ، رسالة التوحيد والإيمان ، فتصدى
له قومه وحاربوه ، وهاجر إلى المدينة في السنة الأولى للهجرة (٦٢٢
ميلادية) . وبهجرتة يبدأ التاريخ الهجري .

وفي السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ م) سار لفتح مكة بعد أن نقض أهلها
عهد (الحديبية) فتم له فتحها . وكان لهذا الفتح أثره وفضله في توحيد
كلمة العرب .

وانتشرت الدعوة أول ما انتشرت بين سكان الجزيرة العربية . وتوحدت
كلمة العرب في عهد الرسول أولاً ، ثم في عهد الخلفاء الراشدين .

واستخلص العرب أرض العراق من أيدي الفرس ، وبلاد الشام من
أيدي الروم البيزنطيين (الرومان) . ومصر من أيدي البيزنطيين أيضاً .

واستعادت الشعوب دخول العرب هذه البلاد . لا كغزاة فاتحين .
بل كمنقذين لهم من اضطهاد الفرس والروم البيزنطيين ، وخاصة لأن

معين التاريخ لأهل التأريخ

هذه الشعوب بحكم موقعها أقرب إلى العرب نسباً وأصولاً وروابط اقتصادية وثقافية وروحية . بل كان معظمهم عرباً من قبل . فلا غرو أن انضموا إلى المجموعة العربية راضين مختارين . وزاد تعلقهم بها ما رآوه من عدل الخلفاء الراشدين وولاتهم . ومساواتهم بين الناس . ورفقهم بالأهلين .

ثم انتقلت الخلافة إلى بنى أمية . واتخذ معاوية بن أبي سفيان دمشق عاصمة للدولة العربية . وصارت دمشق من يومئذ أى فى القرن الأول للهجرة (السابع الميلادى) عاصمة الدولة العربية . بل عاصمة العروبة وقلها الخفاق . وفى عهد الدولة الأموية اتسعت رقعة العروبة بانضمام شمال إفريقيا إلى الدولة العربية . وانتقلت إلى القارة الأوروبية بفتح الأندلس على يد طارق بن زياد فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

سادق :

ستسمعون فى الحلقة الحالية إلى بحوث جديدة فى مواضيع شتى من تاريخ الشرق ، وهى بحوث عميقة استغرقت شهوراً فى إعدادها ، وسنين طويلة فى التمهيد لها ودراسها . ولأصحابها الأجلاء الفضل الكبير فى تدوينها وإخراجها فى ثوبها القشيب .

وستلقى هذه البحوث فى جلسات متوالية لهذه الحلقة . ويعقب كل موضوع مناقشة لتجلية بعض النقط لمن يريد المناقشة ، أو لاستنباط النتائج منها . يعقبها إصدار قرارات وتوصيات . وميزة هذه البحوث أنها علمية وعملية . اقترنت بالعديد من الاقتراحات لتحقيق ما ورد فيها من مختلف الرغبات .

وستطبع المحاضرات والتوصيات فى كتاب مستقل إن شاء الله ينولى المجلس الأعلى لإخراجه وتوزيعه .

معين التاريخ لأهل التأريخ

وسيوالى أعضاء لجنة التاريخ والآثار بالإقليم الشمالى والإقليم الجنوبى
إعداد موضوعات أخرى للحلقات أو المؤتمرات القادمة بعون الله .
وشكراً للسيد رئيس المجلس الأعلى . وشكراً لكم أيها السادة .
والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور نور الدين حماد طوم

السيد وزير التربية والتعليم .

سيداتي آنسائي سادتي .

يشرفني باسم إخواني أعضاء لجنة التاريخ والآثار في الإقليم السوري أن أقدم بجزيل الشكر إلى سيادة الوزير ، رئيس المجلس الأعلى على هذه الفرصة الثمينة التي أتاحتها لنا للاجتماع إلى هذه النخبة المختارة من رجال التاريخ والآثار في إقليمنا المصري العزيز ، وإنها لمناسبة سعيدة أن نتحدث فيها مع إخواننا في مختلف الموضوعات التاريخية والأثرية التي نهتمها وتشغلنا معاً ، لاسيما وأن الجمهورية العربية المتحدة تجتاز مرحلة حاسمة في تاريخها الحديث وتريد أن تنشئ الحياة الجديدة على أسس مستمدة من تاريخنا العريق ومن واقع حياتنا الحاضرة ، ومن أجدر من المؤرخين والآثارين ، في عهد البناء والإنشاء بتناول ماضيها الحافل بالدرس والتمحيص والكشف عن حقائقه وربطه بحاضرنا الذي نريد له مستقبلاً أفضل وعالمياً أمثل .

إن الصلات الوشيجة التي تربط الشام بمصر قديمة قدم التاريخ، ومتنوعة. كل التنوع ، وغير قاصرة على ناحية معينة من النواحي ، وإننا لنلمس آثارها الفكرية في تبادل العلماء والفقهاء والقضاة وما إلى ذلك من قيم عليا قربت الإقليمين وربطت بين أبنائهما بروابط متينة ظلت على الدهر تعمل عملها في الأفتنة والقلوب فتطبعها بطابع الإخاء والحب والولاء .

وما لقائنا اليوم إلا ظاهرة من هذه الظواهر التي كانت تجمع العاملين في حقل الفكر منذ القديم بين رجال الإقليمين . وإنه ليسعدنا حقاً أن يكون

معين التاريخ لأهل التاريخ

حدثنا اللقاء بين مؤرخي البلدين في هذا الشهر المبارك . شهر شباط (فبراير)
الذي تمت فيه رحلة سورية ومصر بقيام الجمهورية العربية المتحدة .

وإذا دعت أعمال لجنتي التاريخ والآثار في القاهرة ودمشق إلى ضرورة
لقاءنا الودي وتعاوننا الأخرى في حلقة الدراسات التاريخية والأثرية التي
نلشن أعمالها اليوم لتبادل الرأي في القضايا التي تهتم تاريخنا وإقليمنا
ومؤرخينا ، ولتنظيم الجهد العلمي والإفادة من الكفايات والاختصاصات ،
فما لا شك فيه أن هنالك أموراً عديدة تشغل المؤرخين العرب في كل البلاد
العربية وتستحق البحث والدرس والعناية . وما نعتقد إلا أن حلقتنا الدراسية
هذه ستمهد إلى مؤتمر عام يضم المؤرخين العرب من كل بلد عربي للبحث
في القضايا التاريخية على صعيد أوسع وأعم .

إن العالم العربي اليوم في نهضة عامة شاملة مهما اختلفت مظاهر هذه
النهضة قوة وضعفاً بين بلد وآخر : وإن من شروط كل نهضة قومية
الحرص على المقومات الأساسية في الأمة ودوام استمرارها وخلودها . وإن
من حق المؤرخين العرب أن يسهموا في هذه النهضة إسهاماً فعالاً . فلقد
آن أن نعي تاريخنا ونسجله بأيدينا وننظرنا العربية المستنيرة بنور العلم
الحديث وطرقه القويمة في البحث والدرس والتأليف . وإن من واجبتنا أن
نعمل على كل ما يساعد السير في هذا الاتجاه . فلقد تأثر تاريخنا العربي
بمؤثرات مختلفة شوهت حقائقه وفسرته تقاسير خاطئة إن لم تكن مغرضة
وإن من واجب المؤرخ العربي الكشف عن حقيقتنا التاريخية الأصيلة التي ترد
اليهم وتلغ الباطل والريب .

وإن لنا في حلقتنا هذه ما يشجع على تناول القضايا التاريخية والأثرية
التي تهتم تاريخ الإقليمين بصورة خاصة والتاريخ العربي والإسلامي بصورة
عامة في سبيل الوصول إلى الكشف عن كثير من الحقائق التي ما زالت مجهولة
أو غامضة عبر تاريخنا المديد .

معين التاريخ لأهل التاريخ

ونعتقد أن وعى الأمة لتاريخها وعياً أكيدا يتساق خير تساق مع استمرار هذا التاريخ وتماسكه وارتباط حلقاته . ولنا وطيد الأمل في أن تأتي أعمال حركتنا التاريخية والأثرية بما يعرف المواطن العربي بحقيقة تاريخه ليعرف منها حقيقة أمته بين الأمم ويسعى جاهداً إلى اللحاق بالركب الحضارى ومسايرته بكل ما أوتي من علم وإيمان وعزم .
رافقه الموفق .

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

البحوث

التي القيت في الحلقة

معين التاريخ لأهل التأريخ

— ١ —

الدكتور أحمد فخري

مَنْهَجُ دُرُسِنَايِخِ الشَّيْخِ الْأَذْنَى الْقَدِيرِ
وَمَنْهَجُ تَارِيخِ الْحَضَارَةِ

معين التاريخ لأهل التأريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صَلَّى عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

إذا تصفحنا مناهج الدراسة في الجامعات في أكثر بلاد العالم على اختلاف مشاربها نجد بين مناهج الدراسة في كليات الآداب مادتى تاريخ الحضارة وتاريخ أو حضارات بلاد الشرق الأدنى القديم لأن أولاهما ضرورية لتثقيف الطالب لأنها تهدف إلى دراسة تاريخ الإنسان بوجه عام منذ نشأته وأصول الحضارات المختلفة وتوزيع الأجناس ، وتطور المدنيات التى ظهرت في هذا العالم منذ أقدم العصور حتى قبيل العصر الحاضر وأثر بعضها على بعض . أما تاريخ الشرق الأدنى القديم فهو يعنى بدراسة ما يظهر من مدنيات هامة في بلاد الشرق الأدنى ، ومهما اختلفت تلك المناهج في التفصيل فلإنها تشمل مصر والعراق وإيران .وخيتا أو ما ظهر في بلاد الشام من مدنيات وبخاصة في فلسطين وعلى الشاطئ اللبنانى . ولا حاجة إلى القول بأن بعض الجامعات المهمة بالدراسات الشرقية تقدم بعض مناهج مفصلة لبعض الحضارات ولغاتها القديمة ، ولكنى لا أقصد إلا الجامعات التى تقدم منهج مادة تاريخ الحضارة أو مادة تاريخ الشرق الأدنى القديم ، كدراسة عامة لتثقيف حلبة كليات الآداب بصفة عامة أو طلبة أقسام التاريخ والجغرافيا والاجتماع والدراسات القديمة واللغات الشرقية بصفة خاصة .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وهناك نقطة أخرى . لقد عنيت أيضاً الجامعات الكبرى في أوروبا وأمريكا بدراسة مدنيات الشرق الأقصى وأقصد بها ما ظهر في بلاد الهند وبلاد جنوبي شرق آسيا (سيام وبورما وكبوديا وكوريا وإندونيسيا وغيرها) واليمن واليابان ، ولكن جامعاتنا ومعاهدنا في الجمهورية العربية المتحدة لم تكن حتى الآن بهذه الدراسات ولم تتخذ أى خطوة للبدء بها ، رغم أهمية هذه المدنيات لدراسة التقدم الإنساني .

ولست في حاجة إلى التنويه بأهمية مثل هذه الدراسات فقد انتهى ذلك العصر الذى كان يستطيع فيه أى إنسان أن يدرس تاريخ أو حضارة أى شعب من الشعوب دون إلمامه ولو إلماماً عابراً بما كان يجرى في الحضارات الأخرى المعاصرة . فإما من حضارة أو مدنية من المدنيات إلا وكانت على صلة بغيرها ، فأخذت وأعطت ، ولهذا يجب علينا قبل كل شئ أن نبدأ بدراسة عامة للحضارات القديمة وبعد ذلك يستطيع الطالب أن يتخصص في الحضارة التى يريد .

•

ويحتاج العالم فى أيامنا الحالية فترة تقارب كبيرة بين الشعوب ساعدت عليها وسائل الانتقال والاتصال التى تطورت تطوراً كبيراً فى السنين الأخيرة ، ولهذا أصبح من الواجبات الأساسية الملقاة على عاتقنا أن نعد أبناءنا فى الجامعات لمقابلة هذا التطور الجديد فى صلات الشعوب فلإن معرفة تاريخ أى شعب ودراسة حضارته وديانته تساعد كثيراً على فهم هذا الشعب وتفسير لنا اتجاهاته فى تفكيره ، وبالتالي تساعد على التقارب بين الشعوب والتفاهم بينها وهو ما ينشده كل محب للسلام .

المناهج الحالية في الجامعات

والآن دعنا نلقى نظرة على مناهج الدراسة بكلية الآداب في جامعاتنا الأربع وهي جامعات القاهرة والإسكندرية ودمشق وعين شمس لنعرف نصيب دراسة تاريخ الشرق القديم في كل منها وما الذي نستطيع أن نحققه من هذه المناهج .

ففي كلية الآداب بجامعة القاهرة لا يدرس تاريخ الشرق القديم إلا لمدة فصل دراسي واحد بين المواد التي تدرس لكل من قسم التاريخ وقسم الجغرافيا وقسم الوثائق والمكتبات وقسم اللغات الشرقية ، كما تدرس أيضاً هذه المادة لطلبة السنة الثانية بقسم الآثار ، أما تاريخ الحضارة فلا يدرس في آداب القاهرة إلا لطلبة السنة الأولى بقسم الآثار فقط ولدة فصل دراسي واحد ، ومعنى ذلك أن الوقت الذي تستغرقه دراسة جميع حضارات بلاد الشرق القديم في الأقسام القليلة التي أمكنها أن تفهم أهميته لا يتجاوز عشرة أسابيع فقط في جميع سنوات الدراسة أى نحو أربعين ساعة دراسية فقط ولا داعي إلى التعقيب الكثير على ذلك بل يجب أن نكون صريحين ونعترف بأن هذه الساعات لا تكفي للدراسة حضارة واحدة من تلك الحضارات إذا أردنا أن تكون دراسة مثمرة .

ولنترك الآن جامعة القاهرة إلى جامعة عين شمس فنجد أنه يوجد في قسم اللغات الشرقية وآدابها درسان أسبوعياً لمادة حضارة الشرق القديم لفصل دراسي واحد في السنة الأولى فقط كما نجد في مناهج قسم التاريخ أنه توجد مادة معالم تاريخ الشرق القديم أربع ساعات أسبوعياً لمدة فصل دراسي واحد في السنة الأولى وفي كلية البنات يدرس تاريخ الشرق الأدنى القديم ٣ ساعات أسبوعياً في الفصل الدراسي الأول فقط ، أما في جامعة الإسكندرية فإن تاريخ الشرق الأدنى القديم يدرس في الفصل الدراسي الأول لطلبة السنة الثانية ٤ ساعات أسبوعياً ، وكذلك يدرس

معين التاريخ لأهل التاريخ

فى السنة الثالثة ٤ ساعات فى كل من الفصلين الدراسيين ، كما يدرس
لفصل دراسى واحد فى السنة الرابعة . أما فى جامعة دمشق فنجد أن
مادة تاريخ الحضارة تدرس فى الفصلين الدراسيين فى السنة الأولى لمدة
ساعتين كما تدرس مادة الشرق القديم فى السنة الثانية فى الفصلين الدراسيين
٤ ساعات أسبوعياً .

°

من ذلك العرض السريع نرى أن دراسة تاريخ الشرق القديم تكاد تكون
مهملة فى جامعتى القاهرة وعين شمس إذ أنها لا تدرس إلا لمدة فصل دراسى
واحد فى السنة الأولى ، وأنه معتنى بها بعض الشيء فى جامعتى الإسكندرية
ودمشق ولكن هاتين الجامعتين تقتصران على تدريس هذه المادة فى قسم
التاريخ فقط . ومما يحزن النفس حقاً أننا هنا فى بلاد الشرق العربى لانهم
يدرسون هذه الحضارات ويتخرج أبنائنا من الجامعات المختلفة وهم لا يكادون
يعرفون شيئاً على الإطلاق عن أصول الحضارات التى نشأت فى موطنهم
وكانت الأساس الذى قام عليه صرح التقدم الإنسانى ، إذ أن خريجي جميع
الكليات العملية لا صلة لهم بتلك الدراسات ، بل وخريجو الكليات النظرية
أيضاً اللهم إلا قسماً واحداً من أقسام كليات الآداب وهو قسم التاريخ . فإذا
رجعنا إلى أبعد من ذلك وتساءلنا عن نصيب دراسة تاريخ الشرق القديم
فى مرحلة الدراسة الثانوية فإننا نجد نفس الإهمال ، لأن هذه المادة لا تدرس
إلا للتلاميذ الذين اختاروا التاريخ كمادة تخصص لهم ، وعلى هؤلاء الطلبة
أن يقرءوا كتاباً معيناً فى تلك المادة .

فإذا انتقلنا خطوة أخرى وتساءلنا عن الكتب التى ألفت أو ترجمت لتقابل
احتياجات الطلبة فى هذه المادة فإننا لا نجد إلا العدد الضئيل غير الوافى الذى
لا يمكننا أن نصفه بأنه يكفى لسد حاجة الطالب الشرقى .

معين التاريخ لأهل التاريخ

لقد أحسست كثيراً بهذا النقص منذ ثلاث سنوات وساءنى أن يتخرج طالب قسم التاريخ بجامعة القاهرة دون أن يلم إلماماً كافياً - ولو إلى حد محدود - بحضارة بلاده هو قبل أى شئ آخر ، فلهذا قسمت المنهج إلى أربعة أقسام جعلت القسم الأول منه عرضاً تاريخياً لكل من حضارتى مصر والعراق والمقارنة بينهما وذكر مميزات كل منهما وأثره على الآخر ، وجعلت القسم الثانى منه عن تاريخ سورية القديم والدور الذى لعبته مدينتاه المختلفتان فى حضارات العالم ، والقسم الثالث عن حضارات جنوبى الجزيرة العربية أى عن حضارات اليمن قبل الإسلام ، والجزء الرابع عن إيران فى أقدم عصورها حتى ظهور الأخمينيين ، لقد أردت بهذا المنهج أن أسد شيئاً من النقص لأن احتياجات الطالب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة تحتم عليه قبل كل شئ أن يلم بالحضارات التى تتصل به اتصالاً مباشراً ولها أثر مباشر أيضاً على تراثه الثقافى والاجتماعى ، وقد اضطررت لجعله مختصراً ليتلاءم مع الوقت المحدد وهو فصل دراسى واحد .

معين التاريخ لأهل التاريخ

هذه هي المصاعب التي تواجهنا وهي تلخص فيما يأتي : -

١ - علم العناية بتدريس كل من مادتي تاريخ الحضارة وتاريخ الشرق القديم مع أنهما مادتان ضروريتان لثقافة كل طالب في أى قسم من أقسام كليات الآداب ، بل وضرورة أيضاً للكثير من الكليات النظرية وبخاصة مادة تاريخ الحضارة ، ولهذا تتحتم زيادة الفصول الدراسية المقررة لها حتى يمكن إعطاء منهج فيه شئ من العمق وبعض التفاصيل الضرورية .

٢ - وضع منهج يتلاءم مع احتياجات الطالب العربى لكى يلم بتاريخ وحضارة بلاده وماقدمته هذه البلاد للمدنية الإنسانية . وليس معنى ذلك أن نهمل الإلام بالحضارات الأخرى بل يتحتم علينا الإلام بها إلى جانب دراسة الحضارات التى ظهرت فى العالم العربى ، أى فى وادى النيل وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام والجزيرة العربية وشمال إفريقيا .

٣ - إذا فحصنا المادة العلمية التى تعطى فى كل من الجامعات الأربع واطلعنا على المتكررات أو المراجع نجد اختلافاً كبيراً فيما بينها ، بل إن بعض الجامعات يكفى بتدريس حضارة واحدة فقط وإهمال الحضارات الأخرى إهمالاً تاماً على اعتبار أنها إحدى حضارات الشرق الأدنى القديم . بل وصل الأمر فى إحدى الجامعات إلى أن المادة التى أعطيت للطلبة لم تكن لها صلة بتاريخ الشرق القديم بل اقتصر على تاريخ مصر فى صدر الإسلام . لأن القائمين بالأمر لم يجدوا من يقوم بتدريس هذه المادة فطلبوا من أحد الزملاء تدريسها فأبى أن يدرس مادة غير مختص فيها فطلبوا منه تدريس مايشاء حتى لايبقى الطلبة بدون دروس .

معين التاريخ لأهل التأريخ

فلهنا أقدم بعرض هذه المشكلات في اجتماعنا الحاضر متقدماً
بالاقتراحات الآتية : —

١- التقدم إلى المجلس باقتراح بمطالبة جميع كليات الآداب في جامعاتنا ومعاهدنا العالية بإدخال مادة تاريخ الحضارة في مناهجها لتدريسها مدة فترتين دراسيتين في السنة الأولى لتثقيف الطلبة تثقيفاً عاماً وتدريب حضارات الشرق القديم للفترتين الدراسيتين في السنة الثانية لأقسام التاريخ والجغرافيا والآثار والفلسفة والاجتماع واللغات الشرقية واللغة العربية ومن يشاء من الأقسام الأخرى ، وتدريسها أيضاً في السنة الثالثة لأقسام التاريخ والآثار واللغات الشرقية أربع ساعات أسبوعياً .

٢- وضع مناهج موحدة تسد حاجة الطالب العربي ، ووضع مؤلفات باللغة العربية يشترك في تأليفها المختصون في هذه الدراسات ليستعين بها من يشاء من الأساتذة :

•

وإني أقدم مع هذا منهجين أحدهما لمادة تاريخ الحضارة والثاني لمادة تاريخ الشرق القديم لمناقشتها وإدخال التعديلات اللازمة عليهما — علماً بأنه يكفي أن يكون كل كتاب منهما ٥٧٠-٦٢٠ صفحة من القطف المتوسط بما في ذلك العدد الكافي من الخرائط والرسوم والصور الفوتوغرافية اللازمة .

منهج حضارات الشرق الأدنى القديم

١ - مقدمة عن الشرق الأدنى القديم :

حدود بلاد الشرق الأدنى - أهم مراكز حضاراته -
الطبيعة الجغرافية للمنطقة - طرق التجارة والهجرة
بين بلاده .

.

٢ - مصر ، منذ البداية حتى ظهور الدولة الحديثة :

نشأة الحضارة في وادي النيل - الهجرات المختلفة إلى
مصر - مصادر التاريخ المصري - حضارات عصر
ما قبل الأسرات - العصر العتيق - مختصر تاريخ الدولة
القديمة - الصلة بين مصر وجاراتها - الملك ونظام
الدولة - الدين - الأهرام والمعابد - الحياة المنزلية -
الصناعات المختلفة - الثورة الاجتماعية - عصر الفترة
الأولى - الصراع بين أهناسيا وطيبة - الدولة الوسطى -
تاريخها السياسي - الصلات التجارية والثقافية بين مصر
وغربي آسيا - الصلات التجارية والثقافية بين مصر وبلاد
كوش - عصر الفترة الثانية - الهكسوس في مصر -

.

٣ - بلاد الرافدين حتى سقوط أسرة حمورابي :

جغرافية بلاد الرافدين وأثرها على تاريخه - أقدم
الحضارات - عصر تل العبيد - عصر الوركاء - عصر

معين التاريخ لأهل التاريخ

جملة نصر - السومريون - أسرات ما قبل الطوفان -
بعض المدن السومرية وأهم ما عثر عليه فيها - الأكديون -
سرجون - الجوتيون - جوديا وعصره - البابليون -
حمورابي وعصره - قانون حمورابي - الشعوب الهندو
أوروبية - الكاسيون - الديانة - الأساطير - الآداب -
العمارة - الزقورات - الفنون .

•

٤ - مصر في عهد الدولة الحديثة :

أحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة - تحتمس الأول .
وحروبه في الشرق والجنوب - حتشپسوت - تحتمس .
الثالث في آسيا - أمنحتب الثالث - إخناتون وعصره -
رسائل العمارنة - غربي آسيا ومدنيته - الأسرة التاسعة
عشرة - سيتي الأول - رمسيس الثاني وحروبه - ظهور
الأسرة العشرين رمسيس الثالث وحروبه مع شعوب
البحر - نهاية الدولة الحديثة - الحياة الاجتماعية -
الفنون - معابد الدولة الحديثة - الأدب - الطب -
التحيط - الفلك - الصناعات المختلفة .

•

٥ - سورية وفلسطين وغربي آسيا :

ملكة ماري - الهجرات الهند وأوروبية - الميتانيون -
الحوريون - الكاسيون - الحيثيون - عيلام أو جارت -
الكنعانيون - الأموريون - الفينيقيون - العبرانيون -
الآراميون .

•

معين التاريخ لأهل التأريخ

٦ - الآشوريون :

نظرة عامة في حالة بلاد الشرق القديم عند ظهور دول
أشور - تيجلات پلسر الأول - آشور ناصر بال -
شلمنصر الثالث - تيجلات پلسر الثالث وحروب - مرجون
الثاني - منحريب - أمرحدون - آشور باينال - الجيش
والفنون الحربية في دولة آشور - العمارة - الفنون - الأدب

•

٧ - مصر منذ نهاية الدولة الحديثة حتى ظهور الإسكندر :

أسرة الكهنة - اضمحلال نفوذ مصر في آسيا - الأسرة الثانية
والعشرون - تأسيس مملكة كوش في نبتا - بعنخي في
مصر - الصراع بين مصر وأشور - الأسرة السادسة
والعشرون - الصلات التجارية والثقافية بين مصر واليونان -
الفرس في مصر - الإسكندر الأكبر .

•

٨ - الكلدانيون والآخمينيون :

سقوط نينوى - نبوخذ نصر ومدينة بابل - ملوك
الكلدان - مدينة بابل وقصورها ومعابدها - الميديون -
ظهور الفرس واستيلاء قورش على بابل - الامبراطورية
الفارسية - الصراع بين الفرس واليونان - دارا الثالث
والإسكندر الأكبر - الديانة الفارسية - الفنون الفارسية
في أيام الآخمينيين

معين التاريخ لأهل التأريخ

٩ - بلاد العرب قبل الإسلام :

شبه الجزيرة العربية وموقعها الجغرافي - جغرافية بلاد العرب - أقدم الصلات والهجرات العربية من شبه الجزيرة إلى البلاد المجاورة - حضارة السبئيين في اليمن - ملوك سبأ - معابد مأرب - سد مأرب - المعينون - معابد المعينيين - الحميريون - الأحباش في اليمن - المسيحية واليهودية في بلاد اليمن - التهوديون - اللحيانيون - الأنباط - ديانات العرب قبل الإسلام - بعض نواحي الحياة الاجتماعية - الفنون

•

١٠ - فضل حضارات بلاد الشرق القديم على الحضارات الأخرى :

الشرق مهد المدنيات - تطور حياة الإنسان في أرجائه - الزراعة - الكتابة - الأبجدية - نظم الحكم - الديانات - الأدب - الطب - الكيمياء - الفلك - العلوم الرياضية - القوانين - المعادن - الصناعات المختلفة ... الخ .

منهج تاريخ الحضارة

١ - تطور الحضارة الإنسانية :

نشأة الإنسان - حياته في العصر الحجري القديم - الإنسان
في مراحل التقدم - أجناس العالم المختلفة ومناطق انتشارها
المجتمع والفرد .

•

٢ - مصر :

أصل حضارتها - طبيعة أرضها - الهجرات المختلفة إلى
وادي النيل - مختصر تاريخ مصر على مدى العصور -
الدولة والموظفون - الحياة المنزلية - الصناعات المختلفة -
الدين والمعابد - الأدب - الفنون - فضل الحضارة
المصرية على العالم .

•

٣ - بلاد الرافدين :

بلاد الرافدين في أقدم العصور - طبيعتها الجغرافية -
السومريون - بابل - آشور - الكلدانيون - الديانات
القديمة - القانون - الأدب - الفنون - فضل حضارات
بلاد الرافدين على حضارات العالم .

•

معين التاريخ لأهل التأريخ

٤ - بلاد غربي آسيا :

نظرة عامة في تاريخ المنطقة وصلتها بحضارتى مصر وبلاد
الرافدين - مملكة مارى - الشعوب الهندو أوروبية -
الميتانيون - الكاسيون - الحوريون - خيتا وحضارتها -
مدن الشاطئ السورى - رأس شمرة - جبيل -
الفينيقيون - بلاد أورو - الكنعانيون - العبرانيون -
الآراميون - إيران - الإمبراطورية الفارسية .

.

٥ - شبه الجزيرة العربية والهجرات السامية :

الجزيرة العربية - طبيعتها وموقعها - أقدم الهجرات
المروفة - السبئيون - المعينيون - الحميريون - الأنباط
النموديون - اللحيانيون .

.

٦ - الحضارات الإفريقية :

طبيعة القارة الإفريقية - طرق الهجرات - شمال إفريقيا -
وادي النيل الكوشيون - إثيوبيا - حضارات شرق
إفريقيا - وسط إفريقيا - غرب إفريقيا .

.

٧ - حضارات الشرق الأقصى :

وادي السند - الصين - اليابان - جنوبي شرق آسيا .

.

معين التاريخ لأهل التأريخ

٨ - حوض البحر الأبيض المتوسط :

كريت - بلاد اليونان - الشعوب الجرمانية - الرومان -
ظهور المسيحية .

•

٩ - حضارات القارة الأمريكية :

المجرات الأولى - حضارات أمريكا الشمالية - المايا -
الازتك - الإنكا - اكتشاف الأمريكيتين - استيطان
القارة الأمريكية .

•

١٠ - العصور الوسطى :

الإسلام - الدول الإسلامية - أوروبا - الكنيسة -
الحروب الصليبية - عصر النهضة الأوروبية :

•

١١ - بين أوروبا والبلاد الشرقية :

عصر الاكتشافات - البرتغاليون - الهند - الصين -
الترك والبلاد الإسلامية .

•

١٢ - القرن الثامن عشر :

الدول الأوروبية الناهضة - التجارة - الدول الاستعمارية
وأطباعها - الهند - الصين - البلاد العربية .

مَشْرُوعُ انْفِتَاحِ آثَارِ النُّبِيِّ
وَأَخْرَاجِهَا لِمَنْ تَجَرَّفَ بِهَا

معين التاريخ لأهل التأريخ

مَشْرِوعُ الْفَتْحِ إِلَى أَنْزَالِ النُّوبَةِ
وَلِغَايَةِ الْإِثْبَاتِ فِي تَحْقِيقِهَا

يعتقد كثير من الناس أن مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة يقترن بالتفكير في بناء السد العالي ، ولكن الحقيقة أن هذا المشروع بدأ منذ أن فكر المصريون في إنشاء سد أسوان أى منذ عام ١٨٩٨ . وسارعت مصلحة الآثار في ذلك الحين بإرسال البعثات للتقيب عما في باطن الأرض ولتقوية المعابد المشيدة والتي ستغمرها مياه الخزان ، واستمرت أعمال البحث والتقوية قبل التعليه الأولى للسد (١٩٠٧ - ١٩١٢) ثم التعليه الثانية (١٩٢٩ - ١٩٣٤) ، وهكذا استطاعت المصلحة من تأدية واجبها نحو إنقاذ جميع المناطق الأثرية التي غمرتها مياه سد أسوان والتي تقع تحت منسوب المياه الذي يرتفع إلى ١٢١ متر فوق سطح البحر .

وليس من شك في أن آثار بلاد النوبة ومشروع إنقاذها ما كان ليأخذ هذه الصورة من الأهمية إلا بعد التفكير في إنشاء السد العالي الذي سيجعل منسوب المياه يرتفع طوال العام إلى ما يقرب من ١٨٠ متر فوق سطح البحر ، ومعنى هذا أن المناطق الواقعة إلى الجنوب منه ستختفي إلى الأبد ، وهكذا أصبحنا نواجه مشكلة ضخمة يجب أن نبذل لها عن حل يتناولها من أساسها ويعالجها من جميع نواحيها . وسارعت مصلحة الآثار بإيفاد بعثة من

معين التاريخ لأهل التاريخ

علماء الآثار المصريين إلى بلاد النوبة بدأت عملها في ديسمبر سنة ١٩٥٤ الذي يتلخص في بحث الأهداف الآتية :

- ١ - حصر جميع الأماكن الأثرية في بلاد النوبة التي مستغرها المياه .
- ٢ - حصر الأماكن التي يجب أن تسجل آثارها تسجيلاً علمياً وهنسياً .
- ٣ - حصر الأماكن التي يجب أن تجرى فيها أعمال الحفر والتنقيب .
- ٤ - النظر في احتمال إنقاذ بعض الآثار القائمة سواء بنقلها كاملة أو بنقل أجزاء منها .
- ٥ - إعداد برنامج للعمل لتحديد مدته والاعتمادات اللازمة له .

وقامت البعثة بمهمتها وقدمت تقريرها الذي نشر في يونية سنة ١٩٥٥ بلغات ثلاث هي العربية والإنجليزية والفرنسية تحت عنوان :
« تقرير عن آثار النوبة المعرضة لأن تغمرها مياه السد العالي »

وفي نفس الوقت أي في عام ١٩٥٥ أنشئ مركز لتسجيل الآثار بالاتفاق مع منظمة اليونسكو على أن تقوم هذه المنظمة بإمداده بالمعونات المادية والفنية ، وبدأ هذا المركز عمله فوراً في تسجيل آثار معبد أبي سمبل .

مرت الأيام تباعاً ووضح لنا تماماً أن طاقتنا الفنية والعلمية والمادية لا تساعدنا على القيام بمشروع الإنقاذ الذي يشمل نقل المعابد والمقابر وحمايتها ، كما يشمل أيضاً القيام بأعمال التنقيب العلمي ، ولهذا وجدت حكومة الجمهورية العربية المتحدة نفسها مضطرة إلى الاتجاه إلى منظمة دولية كنظمة اليونسكو للحصول على هذه المساعدات العلمية والفنية والمادية ، وفي ٦ إبريل عام ١٩٥٩ أرسلت وزارة الثقافة والإرشاد القومي خطاباً إلى هذه المنظمة تطلب هذه المساعدات بحيث تشمل :-

- ١ - إيفاد بعثات علمية للتنقيب بالمناطق الأثرية .

معين التاريخ لأهل التاريخ

- ٢ - تصوير بلاد النوبة بطريقة « الفوتوجرامترى » للحصول على خرائط دقيقة تحدد المناطق الأثرية غير المعروفة وإجراء التنقيبات فيها .
- ٣ - إيفاد بعثات للدراسات الجيولوجية والأثنولوجية .
- ٤ - استكمال تسجيل المعابد والمقابر والمقاصير والنقوش المنحوتة في الصخر على طول شاطئ النيل .
- ٥ - نقل المعابد المشيدة ثم إعادة تشييدها خارج المنطقة التي ستغمرها المياه .
- ٦ - نشر بعض أجزاء من المعابد المنحوتة في الصخر وإعادة بنائها في مكان يبعد عن المنطقة التي ستغمرها المياه .
- ٧ - حماية المعابد المنحوتة في الصخر والتي يتعذر نقلها من أماكنها مثل معبدى أبى سمبل .

ووعدت الحكومة في كتابها السالف الذكر بتقديم كل التسهيلات للبعثات الأجنبية سواء في الإقامة أو بإعفاء مرتباتهم والمبالغ التي سيصرفونها على أعمال الحفر من الضرائب ، كما وعدت بأنها ستمنح هذه البعثات مالا يقل عن نصف الآثار المكتشفة لكي تحتفظ بها في متاحفها الأثرية الخاصة بها كما أبدت الحكومة استعدادها بمنح الهبات التي ستسهم إسهاماً فعالاً في تحقيق هذا المشروع بعض الآثار الهامة التي توجد في مخازن الآثار بالإقليم الجنوبي ، وكذلك بعض معابد بلاد النوبة وهي :

- ١ - معبد الدر .
- ٢ - معبد الليسيه .
- ٣ - معبد دنلور .
- ٤ - معبد دابود .
- ٥ - معبد طاقة .

معين التاريخ لأهل التاريخ

استجابت منظمة اليونسكو لطلب حكومة الجمهورية العربية المتحدة وعرض مديرها الخطاب السالف الذكر على المجلس التنفيذي للمنظمة في دورته الرابعة والخمسين التي عقدت في باريس في شهر يونيو عام ١٩٥٩ ، ونالت الفكرة التأييد الجاهي من مندوبي الدول الممثلة في المجلس ، وكان القرار أن يترك المجلس لمدير عام اليونسكو طريقة وضع خطة دولية لإنقاذ آثار بلاد النوبة ومعايها ، على أن تعرض هذه الخطة على المجلس في دورته الخامسة والخمسين في شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ .

وهكذا انتقل مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة إلى المجال الدولي وأصبحت رسالته من الرسائل التي تضطلع بها دول العالم أجمع ، ولاغربة في ذلك إذ أن المحافظة على التراث البشري القديم مهمة يجب أن يضطلع بها العالم بأجمعه ، وحضارة المصريين القدماء هي من أهم حضارات الإنسان القديم ، ولذلك يجب أن توضع رسالة لإنقاذ مخلفاتها أمانة في يد العالم المتمدين .

ونستطيع الآن ونحن في مستهل عام ١٩٦١ أن نقول إن جميع النواحي العلمية والمهنية الخاصة بإنقاذ آثار بلاد النوبة سواء منها مازال مطمورا في باطن الأرض أو المشيد والمنقور في التلال الصخرية ، نستطيع أن نقول إن كل هذه النواحي قد درست دراسة تامة في اللجنة الاستشارية الدولية التي كونتها وزارة الثقافة والإرشاد القومي بقرارها الوزاري رقم ٦٣ الصادر في فبراير سنة ١٩٦٠ وعقدت هذه اللجنة جلستين الأولى في ٢٣ مايو سنة ١٩٦٠ والثانية في ٨ يناير سنة ١٩٦١ ، وفيما يلي توصيات هذه اللجنة : -

أولا :

بعثة جس ومسح للمناطق لتحديد الأماكن التي لا تزال تحوى آثارا وتحتاج إلى عملية تنقيب علمي . ولقد بدأت هذه البعثة عملها منذ أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٠ ويشرف عليها الأستاذ والزمري أستاذ الدراسات المصرية بجامعة لندن ، كما قامت مصلحة الآثار بتزويد هذه البعثة بعائمة

معين التاريخ لأهل التأريخ

كبيرة وجرار لتسهيل مهمتها ولضمان تحركها من الجنوب إلى الشمال مبتدئة من ادندان إلى الشمال .

•

ثانياً :

بعثة لتحديد مناطق عصور ما قبل التاريخ ، إذ كان الأستاذ مصطفى عامر قد سبق أن قدم تقريراً إضافياً في هذا الموضوع طالب فيه بتوجيه الجهود نحو هذه الناحية التي لم يسبق لأحد أن قام بدراساتها من قبل ولذلك فقد طالب بما يأتي :

- أ- القيام ببحوث دقيقة في مدرجات نهر النيل وفي الوديان الجافة ، وكذلك أن يجري بحث منظم لرواسب العصر الحجري القديم الأعلى .
- ب- القيام بالكشف عن بقايا الإنسان الأول الذي عاش في بلاد النوبة إبان العصر الباليوليثي .
- ج- القيام بالتنقيب العلمي في المناطق الأثرية التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث .
- د- القيام بجمع ودراسة الرسوم المنقوشة فوق الصخور العالية سواء المحاذية لشاطئ النيل أو في الوديان الجانبية .

وطلبت اللجنة الاستشارية إلى الدكتور « برسو » ، أحد أعضائها والمتخصص في دراسات ما قبل التاريخ ، العمل على تجهيز بعثة كاملة من متخصصين من بلاد مختلفة على أن تقوم هذه البعثة في أقرب فرصة بعملها ببلاد النوبة تحت إشراف مصلحة الآثار .

•

ثالثاً :

بعثة لتسجيل النقوش التاريخية (Epigraphy) ، ولقد رأت اللجنة أن هناك بعض الصعوبات في تكوين بعثة دولية (أى من علماء يتسبون إلى جنسيات مختلفة) إذ أن العروض التي قدمت للقيام بهذه الناحية العلمية كانت عروضاً برغبات معلقة لم يحاول أصحابها تنفيذها ، ولذلك عهدت إلى سكرتير اللجنة المسيو كريستوف حث أصحاب العروض على تنفيذ ما وعدوا به وتكوين بعثة على وجه السرعة لبدء تسجيل النقوش تحت إشراف مركز تسجيل الآثار .

رابعاً :

وزعت مناطق التنقيب العلمى في بلاد النوبة بين الهيئات التالية :

١- المعهد الشرقى لجامعة شيكاغو

يقوم بالحفر في المناطق الممتدة على شاطئ النيل شرقاً وغرباً فيما بين دميت وكلاشه ، وبدأ الحفر فعلاً منذ أواخر ديسمبر سنة ١٩٦٠ .

ب - بعثة جامعتى ييل وبنسلفينيا

تقوم بالحفر في المنطقة الواقعة غرب النيل فيما بين توشكه وأرمه ، وستبدأ عملها في أوائل فبراير سنة ١٩٦١ .

ج - المعهد الفرنسى للآثار الشرقية

يقوم بالحفر في منطقة وادى السبوع على أن تشمل تنقيباته المناطق غربى وشرق النيل ، وقد بدأ التنقيب في عام ١٩٦٠ ولا زال العمل جارياً وستبدأ البعثة عملها في هذا الموسم في أواخر يناير سنة ١٩٦١ .

معين التاريخ لأهل التأريخ

٥ - بعثة الاتحاد السوفيتي

تقوم بالحفر في المنطقة الواقعة بين الدكة ووادي العلاق ، ولم تبدأ عملها بعد .

٨ - بعثة جامعة ميلانو

تقوم بالحفر في منطقتي سباحوره وأخمندى .

و - جمعية الآثار بلندن

تقوم بالتنقيب في منطقة قصر ابريم سواء القلعة أو الجبانة ، وستبدأ عملها في منتصف شهر فبراير سنة ١٩٦١ .

ز - المعهد الألماني للدراسات الشرقية بالقاهرة

قام بالتنقيب منذ عام ١٩٥٩ في منطقة عمدا ولا زالت أعماله قائمة هناك ، وينوى الحفر في جبانة جبل عدا في المستقبل القريب .

ح - جامعة القاهرة (قسم الآثار المصرية)

قامت البعثة بالحفر في عام ١٩٦٠ في جبانة منطقة عنييه وتقوم حاليا (منذ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠) بتكلمة أعمالها في المنطقة .

ط - جامعة الإسكندرية (قسم التاريخ والآثار)

قامت البعثة بالحفر في عام ١٩٥٩ في قلعة جبل عدا وتنوى الاستمرار في العمل للمرة الثانية في يناير سنة ١٩٦١ .

ي - البعثة النمساوية

سوف تقوم بالحفر في عام ١٩٦٢ في منطقة السبالة .

ك - البعثة الهولندية

سوف تقوم بالحفر في عام ١٩٦٢ في المنطقة بين كورسكو وقصر ابريم .

ل - بعثة معهد تورينو

سوف تقوم بالحفر في عام ١٩٦٢ في منطقة توماس .

م - البعثة الأسبانية

سوف تقوم بالحفر في عام ١٩٦٢ في منطقة الشيخ داود .

وتعتقد اللجنة أن أعمال الجس سوف تسفر عن اكتشاف بعض المناطق الجديدة التي يمكن وضعها تحت تصرف بعض البعثات الأخرى التي تطلب المشاركة في أعمال الحفر

•

خامساً :

أما فيما يتعلق بأعمال التسجيل فليس من شك في أن مركز التسجيل يؤدي مهمته العلمية فيها على أحسن وجه ، ولقد تم تسجيل كثير من المعابد وأهمها معبدى أبى سمبل ، ومعبد كلايشه ، ودابود ، وطاقا ، وقرطاسى ، ويسير العمل الآن لإتمام تسجيل نقوش ومناظر معبد عمدا . إلا أنه نظراً لورود عروض مختلفة من عدة دول منها فرنسا لتسجيل معبد وادى السبع ، وأمريكا لتسجيل معبد بيت الوالى ، وروسيا لتسجيل معبد الدكة ، هذا غير بعض العروض الأخرى من بلجيكا والمكسيك وألمانيا الاتحادية وسويسرا ، ومن أجل ذلك أوصت اللجنة بالموافقة على العرضين الذين تقدمت بهما كل من فرنسا وأمريكا وقد بدأت عمليات التسجيل فعلا ، كما أوصت بقبول العروض الأخرى على أن يقوم مركز تسجيل الآثار بتنسيق الأعمال فيما بينها ، وهذا مع التمسك بأن تتبع أعمال تسجيل المعابد نفس النظام المتبع في مركز تسجيل الآثار .

سادساً :

وإذا كان مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة يشتمل على معضلات- شتى ، فليس من شك في أن معابد هذه المنطقة وطريقة نقلها تأتي في مقدمة هذه المعضلات ، وذلك لأن هناك سبعة عشر معبداً ومقصورة ، معظمها منقورة في الصخر الرملي الذي يتميز بصلابته من ناحية وسهولة تفتت حبيباته من ناحية أخرى . ولقد عنى اليونسكو ببحث هذه المعضلة وأرسل أكثر من خبير ليقدم نصائحه إلى الحكومة المصرية في هذا الشأن . وفيما يلي صورة لأهم النتائج التي أسفرت عنها البحوث المختلفة التي أجريت في هذا الموضوع : -

١ - معبدا « أبو سمبل »

يعتبر بحق رجال الآثار والفنون هذين المعبدين ذرة معابد النوبة ، بل إن معبد « أبي سمبل » الكبير يعتبر من بين المعابد الفريدة في نوعها ، فلم يسبق للإنسان في العصور القديمة أن نقر في باطن الصخر معبداً ضخماً في مثل ضخامة هذا المعبد مع مراعاة التناسق التام والانسجام الكامل بين عناصر الأثر والبيئة المحيطة به ، ومن أجل ذلك أصبح من الواجب محاولة الإبقاء على هذين المعبدتين في مكانهما مع المحافظة عليهما .

وهناك مشروعان لدى منظمة اليونسكو يهدف كل منهما إلى المحافظة على المعبدتين مع الإبقاء على البيئة الجغرافية التي تلعب دوراً رئيسياً في روعتهما وجالهما .

المشروع الأول تقدم به « أندريه كوين » على أساس إنشاء ستار منيع حول المعبدتين في الأماكن التي تربطه بالصخر الطبيعي المحيط به على أن يتكون هذا الستار من حقل الصخور بمادة تمنع تسرب المياه الخارجية إلى داخل المعبدتين ثم تشييد سد عال إلى الشرق من المعبدتين وترتفع أمامهما إلى أعلى من مستوى مياه السد العالي على أن يشيد هذا السد من خرسانة وطين.

معين التاريخ لأهل التاريخ

ويكون على هيئة نصف دائرة . وتقام محطات قوة لمضخات ترفع مياه الرش التي لا بد وأن تتسرب إلى داخل المعبد مع إنشاء السد من الخرسانة وإقامة ستار من مواد عازلة . وهذا المشروع سوف يتكلف حوالى ٣٥ مليون جنيه مع اعتماد يزيد على ١٠٠ الف جنيه سنوياً لتشغيل محطات المضخات وترميم السد . ومع سهولة تنفيذ هذا المشروع فهناك خطر داهم يهدد باستمرار هذين المعبدتين يتلخص فى أنهما سوف يكونان فى منخفض تحيط به المياه من كل جانب مما يجعل نسبة الرطوبة عالية على مدار السنة وخاصة فى شهور الصيف مما يؤثر على النقوش الملونة والمناظر الجميلة ، هنا غير خطر آخر وهو أنه إذا حدث وأن تعطلت المضخات لفترة أسبوعين فإن مياه المرحش سوف تملأ المعبدتين ، ولا يمكن إعادة تصريفها إلا فى مدة تزيد على أربعة أشهر .

أما المشروع الآخر فقد قدمه « بيرجازولا » ويتلخص فى القيام بنقل قمة الجبل التى تعلو المعبدتين ، ثم فصل كل منهما عن التل الصخرى ووضع كل فى صندوق هائل من الخرسانة المسلحة ، ثم محاولة رفعهما إلى أعلى بالاستعانة بمرافع ميكانيكية من نوع معين تشبه تلك التى تستعمل فى رفع السيارات ، على أن يكون تشغيلها بواسطة دفع هيدروليكى مع استغلال التراسات الإلكترونية الحديثة لضمان تحرك الروافع الكثيرة دفعة واحدة على أن يكون تحركها إلى أعلى بمقدار ضئيل لا يزيد على المليمترين فى كل دفعة وإذا ما ارتفع المعبد إلى قمة التل الصخرى أى إلى المستوى الذى يعلو ١٨٠ متر فوق سطح البحر فيمكن بعدئذ أن يتحرك المعبد ليستقر فوق سطح التل ، ويعاد تشكيل المنطقة المحيطة به بحيث تبدو مطابقة فى مظهرها ماهى عليه الآن .

وهذا المشروع وإن كان يبدو خيالاً ، إذ أن المعبد الكبير يزن ما يقرب من ٢٥٠,٠٠٠ طن ، هنا غير زنة الصنلوق الهائل من الخرسانة المسلحة التى سوف يوضع فيه المعبد والذى سوف يصل فى وزنه إلى ٥٠,٠٠٠ طن ،

معين التاريخ لأهل التأريخ

فإن البحوث العلمية التي قام بها عدد من الخبراء العالميين أثبتت أن في الاستطاعة تنفيذه اعتماداً على الأمثلة الكثيرة التي طبقت في مشروعات مماثلة ، وإن اختلفت من حيث زنة المبنى ، فإن أكبر مبنى نقل بهذه الطريقة لا يزيد في وزنه على ٣٠,٠٠٠ طن .

وهذا المشروع قدرت تكاليفه بمبلغ ٢٥ مليون جنيه ، مع عدم الحاجة إلى اعتمادات أخرى سواء للصيانة أو لمحطات نضح المياه .

ب - معابد فيلا :

وفيلا كما نعلم جميعاً هي إحدى الجزر الصغيرة في مجرى النيل وتقع على مسافة أربعة كيلومترات إلى الجنوب من سد أسوان ، وتحوى معابد مختلفة أهمها وأكبرها معبد الإلهة إيزيس الذى يعتبر تحفة فنية كما تعتبر نقوشه ورسومه ذخيرة لاتنضب بالنسبة إلى الدراسات الدينية واللغوية للعصر البطلمي والرومانى ، ونظراً لأن هذه الجزيرة بمعابدها سوف لا تتأثر ببناء السد العالى إلا أن هناك خطورة كبيرة سوف تهدد آثارها ، وذلك لأن منسوب المياه في المنطقة الواقعة بين سد أسوان والسد العالى سوف تنذب يومياً بين ١٠٧ و ١١٠ متر ، ولما كانت الجزيرة على مستوى ١٠٤ متر ، فسيتم عن ذلك أن المياه تنخفض وترتفع يومياً بمقدار يتراوح بين ٣ و ٦ أمتار ، وهذا التغيير وحده في منسوب المياه سوف يصيب أبنية المعابد بأكبر الأضرار .

ولقد استقر الرأى على الأخذ بالمشروع الذى وضعه المهندس عثمان رستم ، والذى درسته بعثة من خبراء هولنديين وأقرت صلاحيته للتنفيذ ، ويتلخص هذا المشروع في إقامة سدود تربط بين هذه الجزيرة وجزيرتين

معين التاريخ لأهل التاريخ

متجاورتين بحيث تصبح آثارها بمنأى عن مياه سد أسوان ، وترجع إلى سابق عهدها بحيث يمكن زيارتها طوال أيام السنة .

•

أما فيما يتعلق بالمعابد الأخرى فقد قامت مصلحة الآثار بفك أحجار ثلاثة منها وهى معابد : «طاقا» ، و«دابوده» ، و«قرطاسى» ، وستقوم فى القريب العاجل بفك أحجار معبد «عمدا» ، وهى جميعا من المعابد المشيدة ، كما تقلعت ألمانيا الاتحادية باستعدادها لفك أحجار معبد «كلابشه» وهو من أضخم وأجمل معابد النوبة ، ثم تقلعت أخيراً روسيا باقتراح يهدف هو الآخر إلى استعدادها للقيام بفك أحجار «معبد الدكة» .

إلا أن المشكلة المعقدة هى التى تقابلنا بالنسبة إلى المعابد المنقورة فى الصخر أمثال معبد «بيت الولى» ومعبد «جرف حسين» ، و«وادی السبع» ، و«الليسه» ، و«الدر» ، و«هياكل ابريم» ، و«مقبرة» ، «نبنوت» ، «بعنيه» ، ومعبد «أبو عوده» ، ومعبد «جبل الشمس» .

ولقد تقدم المسيو بيير جازولا بمشروع يهدف إلى نشر الأجزاء المهمة من هذه المعابد ، وإعادة بنائها فى مكان آخر ، وسوف يقوم فى القريب العاجل بتجربة من هذا النوع فى مقبرة «نبنوت» المنقورة فى الصخر والتى انتشرت النقوش والمناظر المنحوتة فوق سطوح جدرانها ، ويتوقف على نجاح هذه التجربة المصير الذى ينتظر جميع المعابد المنقورة فى الصخر .

•

هذه هى نبذة مختصرة عن الأعمال العلمية التى تجرى حالياً أو ستجرى فى المستقبل القرب فى بلاد النوبة المصرية ، وهى أعمال تهدف إلى إنقاذ جزء من تراثنا القومى بل ومن تراث الجنس البشرية أجمعها ، وننظر إلى

معين التاريخ لأهل التأريخ

العالم المتمدين نرقب مدى ما سوف يقدمه من معاونة جدية لإنقاذ هذا التراث ، ونرجو أن يحاول هذا العالم الذى نعيش فيه أن ينسى ولو لفترة قصيرة أحقادهم ويبرهن على أن الثقافة والحضارة التى يتمتع بها الإنسان الحديث هى فى الواقع ليست إلا الثمار التى يجنيها من شجرة الحضارة العريقة التى زرعها المصرى القديم منذ آلاف السنين .
وقفنا الله لمسا فيه الخير للجميع .

معين التاريخ لأهل التأريخ

الألقاب الفخرية في مصر في عهد البطالة

معين التاريخ لأهل التأريخ

الألقاب الفخرية في عصر محمد ﷺ

يبدو أن الألقاب الفخرية من مستلزمات النظام الملكي في الغرب وفي الشرق قديماً وحديثاً سواء بسواء ، فقد كان الفراعنة يمنحون الشخصيات البارزة في مصر القديمة عدداً من الألقاب الفخرية يعنيها هنا منها بوجه خاص لقبان وهما « قريب الملك » (نسوت - رخ Nsut - rekh) و « الصديق الأوحد » (سمر - وع Smer - wa') . ويقال إنه قبل إنشاء معبد هليوبوليس تشاور سنوسرت الأول مع « أصدقائه » (١) .

وكان لقب « قريب الملك » (Syngenes) يستخدم أيضاً في البلاط الفارسي ، ويبدو أنه كان مقصوراً أول الأمر على أسمى أفراد الأرستقراطية الذين كانوا ينتمون إلى « الأسر السبع » المشهورة (٢) . ويجدثنا ديودوروس (٣) بأن جيش دارا الثالث في موقعة جابو جيلا (٣٣١ ق . م) كان يضم قوة بها ألف فارس من « أقرباء الملك » . وإذا صح ذلك فإن معناه أن لقب « قريب الملك » أصبح يمنح كذلك لأبرز الفرسان . ويبين أيضاً مما يرويه كزنفون (٤) أن لقب « النظراء » (homotimoi) ترجمة إغريقية للقب فارسي كانت تحمله فئة ممتازة من المشاة كاملي العدة .

وفي الدول الإغريقية ، سواء في العصر الكلاسيكي أم « الهيلينستي » ، كان كثيراً ما يوصف القربون إلى الملك أو الطاغية بأنهم « أصدقاؤه » ،

(1) Moret, Roy. Phar., p. 131.

(2) Atkinson, Aegyptus, 32, 1962, pp. 212-3.

(3) Diod., XVII, 59.

(4) Xen., Cyrop. II, 1, 3, ; VII, 5, 7.

معين التاريخ لأهل التاريخ

إذ يحدثنا أرسطو^(١) بأنه بعد سقوط أسرة پايسستراتوس سمح الأثينيون أول الأمر « لأصدقاء الطغاة » بالبقاء في المدينة ثم عادوا فنفوههم في العام الرابع . ويروى ديودوروس^(٢) أنه عندما ثار أهل سيراقوسة في ٤٠٣/٤٠٤ ق . م . على ديونيسيوس اجتمع « بأصدقائه » للتشاور معهم . وفي مقدونيا ، نعرف أنه على الأقل منذ عهد أرخلاوس (٤١٣-٣٩٩ ق . م .) كان بعض النبلاء يختارون لصحبة الملك ويدعون « رفاق الملك » (hetairoi basileos) . ويروى ديودوروس^(٣) أنه في عام ٣٣٦ ق . م . في أثناء الاحتفال بزواج كليوبتره ابنة فيليب الثاني تقدمه « أصدقاؤه » في دخول المسرح ، وأنه قبل أن يغزو الإسكندر بلاد الفرس عقد مجلسا من كبار ضباطه وأبرز « أصدقائه »^(٤) . ومما يستحق الذكر أن أريانوس يطلق وصفى « رفاق » (Hetairoi) و « أصدقاء » (Philoi) على الأشخاص أنفسهم في الفقرة نفسها^(٥) . ومع أن پوليبوس يقول بالنص إن أجاثوكليس كان « صديق » بطلميوس الرابع^(٦) فإن أثيناوس عند حديثه عن أجاثوكليس يذكر أن پوليبوس يصف ذلك الرجل بأنه كان « رفيق » الملك^(٧) . وإذا كان يبين مما أوردناه أن أصفياء الملك كانوا بوصفون تارة بأنهم رفاق الملك وتارة بأنهم اصدقاؤه فإن هذا لا يستتبع حتما أن الوصفين كانا مترادفين . ويرى كورتنبيوتل (Kortenbeutel) بحق أنه على حين أن كلمة « رفاق » كانت دون شك الوصف القديم فإنه من المحتمل أنه منذ عهد « خلفاء » الإسكندر أصبحت كلمة « أصدقاء » تستعمل بدلا منها في وصف أصفياء الملك^(٨) . وهذا التطور يبدو لنا طبيعياً بل محتوماً ،

(1) Arist. Rep. Athen., 22, 4.

(2) Diod., XIV, 8, 4-6.

(3) Diod. XVI, 9, 4.

(4) Diod., XVII, 31, 6.

(5) Arr. I, 25, 4.

(6) Polyb. XIV, 11.

(7) Athen., VI, 59.

(8) Real-Encycl., XX, 1941, Col. 96, s.v. Philos.

معين التاريخ لأهل التاريخ

وذلك لأنه لما كان ملوك مقدونيا يختارون كبار مساعديهم وأقربهم من أفراد الأرستقراطية القديمة في البلاد ، الذين كان كل منهم يعتبر نفسه جديراً بالعرش ، فإنه كان من الطبيعي والمستنسب وصف هؤلاء الأشخاص « بالرفاق » (hetairoi) بسبب ما تنطوى عليه هذه الكلمة من تصوير الحقيقة الواقعية ، حقيقة أن الملك كان صاحب المكان الأول بين فئة متساوية من الأقران (primus inter pares). لكن عندما أسس خلفاء الإسكندر ممالكهم في بلاد أجنبية حيث لم يوجد من الأرستقراطية المقدونية التقليدية إلا قلة كانت أقل من أن تؤلف طبقة أرستقراطية ، واضطر « الخلفاء » إلى تكوين الطبقات الأرستقراطية مما توافر لديهم من العناصر المقدونية والأغريقية كان الفارق شاسعاً في المكانة والأصل بين « الخلفاء » وأتباعهم . وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال أن الملك لم يعد يعتبر نفسه صاحب المكان الأول بين فئة متساوية من الأقران ، ومن ثم كان من العسير عليه أن يرفع هذه الطبقة إلى مصافه . ويبدو لنا أنه وسط هذه الظروف استبدل بكلمة « الرفاق » كلمة « الأصدقاء » عند وصف أصفياء الملك .

ويروى أريانوس أنه في عام ٣٢٤ ق.م عبر كالينس (Callines) للإسكندر عما يشكونه المقدونيون بقوله : « هذا يا مولاي ما يضيّق به المقدونيون وهو أنكم جعلتم من الفرس « أقاربكم » (Syngeneis) فهم يدعون الآن « أقارب الإسكندر » ويسمح لهم بتقبيلكم في حين أنه لم يتمتع مقدوني بهذا الامتياز . وعند سماع ذلك رد الإسكندر قائلاً : « إنني أعتبركم جميعاً أقارباً . ومنذ الآن سأدعوكم على هذا النحو » . وما أن فرغ من حديثه حتى اقترب منه كالينس وقبله وحذا حذوه كل من أراد^(١) .

وهكذا يتضح لنا أن الإسكندر خلع لقب « الأقرباء » أولاً على الفرس وفيها بعد على المقدونيين من رفاقه لكنه قصر لقب « الحرس الخاص »

(1) Arr. VII, 11, 6-7.

معين التاريخ لأهل التاريخ

(Somatophylax) على كبار رفاقه المقلونين . ويمكننا أن نستخلص مما أسلفناه أنه بعد القضاء على الإمبراطورية الفارسية كان يوجد في البلاط المقلونى ثلاثة ألقاب وهى : الأقرباء (syngeneis) ورجال الحرس الخاص (hetairoi) والرفاق (Somatophylakes) .

وكما تشاور الإسكندر مع أصدقائه قبل قيامه بالحملة ضد الفرس، تشاور أنتيخا تروس وكراتروس مع أصدقائهما حول مايتخذ من إجراء ضد پرديكاس ، وكذلك تشاور پرديكاس مع أصدقائه قبل غزومصر^(١) ، وكذلك فعل پوليبخون في ٣١٩ ق.م قبل الاشتباك مع خصومه الذين تحالفوا عليه^(٢) . وهكذا يبدو أنه سواء في عهد الإسكندر أم في عهد الخلفاء ، كان الرفاق أو الأصدقاء مستشارى الملك .

ويرى برادفورد ولز أن « أصدقاء » الملك كانوا يؤلفون مجلسه الاستشارى فى السلم وهيئة أركان حربه فى الحرب ، وأنه فيما بعد أصبح هذا الاصطلاح لقباً فخرياً^(٣) . ويرى كورتنبويتل أنه فى الممالك الهيلينية حدث بالترجيح تغيير جوهرى . ففى البداية كان « الأصدقاء » يقومون بدور المستشارين ، لكن منذ عهد بطلميوس الخامس كان إضافة « من الأصدقاء » (ton philon) إلى اسم شخص لاتعنى إلا لقباً^(٤) . وبعد أن تدلل كاتلين أنكينسون على أن الأصدقاء الأول (protoi philoi) لأنطيوخوس الثالث كانوا مستشاريه تمضى فتقول « إن كثيراً من المشكلات تحل نفسها بنفسها فوراً إذا قبلنا الاحتمال بأن الأقرباء ونظراء الأقرباء كانوا يمثلون مرتبة واحدة أو عدة مراتب فيما يحتمل . أما « كبار رجال الحرس الخاص » (archisomatophylakes) وأترابهم فإنهم يمثلون مناصب فى البلاط ، وإن « الأصدقاء » بطبقاتهم الثلاثة (وهى تقصد « الأصدقاء » و « نظراء

(١) Diod., XVIII, 25,6.

(٢) Diod. XVIII, 55, 1.

(٣) Welles, C.B., Royal Corresp. 1934, New Haven, p. 44, No. 6.

(٤) Kortenbeutel, loc. cit.

الأصدقاء الأول ، و « والأصدقاء الأول » كانوا مستشارين اختارهم الملك شخصيا من كل طبقات المجتمع وفق نزوته أو عدم خبرته .^(١) إن يجعل رأى هؤلاء الباحثين أنه كان يطلق على فئة من الناس « أصدقاء الملك » وأن هذه الفئة كانت أول الأمر محدودة العدد وكان الملك يستشيرها في المشكلات التي تواجهه فكانت عبارة « صديق الملك » تحمل عندئذ معنى مستشار الملك ، لكن فيما بعد اتسعت دائرة الأصدقاء وفقدت العبارة معنى الاستشارة .

ونحن نسلم بأنه في الدول الهيلنستية كان أصدقاء الملك أول الأمر مستشاريه ، مثل ما كانت الحال في عهد الإسكندر والخلفاء ، ولكننا نرى أنه لما كانت كلمة صديق غير مرادفة لكلمة مستشار فإن خلع صفة « صديق » على فئة معينة من الناس حتى وإن كانت تشغل مناصب معينة للاستشارة ، وهو ما لم تكن عليه الحال هنا ، يدل على أن هذه الصفة لم تكن إلا لقباً فخرياً . ونرى أيضاً أنه إذا كان هذا اللقب يتم في الأصل عن الاستشارة ، فإنه على مر الأيام واتساع دائرة الأشخاص الذين يحامونه لم يكن يتم عن ذلك على الإطلاق . وهنا ينقلنا إلى المشكلة الحقيقية ، وموذاها هل البطالة الأوائل أم الأواخر هم الذين أنشئوا الألقاب الفخرية في دولهم .

في ضوء التفسير الذي قدمناه ليس في رأى ولز ما يتعارض مع القول بأن البطالة الأوائل هم الذين أنشئوا الألقاب الفخرية ، وهو الرأى الذى تؤيده أتكنسون . ويرى كورتنبويتل أن الأدلة التى لدينا من بداية عصر البطالة قليلة ومع ذلك يصعب أن نتصور أنه لم تخط بالملك فئة من الأصدقاء^(٢) . وفي رأى بوشيه لكرك أنه إذا كان يضعف الرأى القائل بأن الألقاب أنشئت في عهد البطالة الأوائل افتقاره إلى ما يؤيده من الأدلة المستمدة من النقوش والأوراق البردية ، فإنه يضعف الرأى المناهض القائل بأن بطلميوس الخامس هو الذى

(1) Aegyptus, 32, 1962, p. 211.

(2) Kortenbentel, loc. cit.

معين التاريخ لأهل التاريخ

إنشأ هذه الألقاب اعتراضات أجل شأنًا، إذ لم يكن في وسع ملك صبي مثل بطليموس الخامس بعد ما عاناه من وصاية منكودة ومن ذل الحماية الرومانية أن يضيف على مجموعة من الألقاب تبتدع دفعة واحدة مجداً كان هو نفسه يفترق إليه . ويمكن التساؤل ألم يكن لسلفيه العظميين بطليموس الثاني والثالث أصدقاء أى مستشارون كانوا يعتبرون الألفة مع الملك شرفاً ^(١) ؟ ومن ناحية أخرى نجد أن جماعة من أبرز الباحثين لا يزالون يتمسكون بوجهة النظر التي أبداهما ماهافى (Mahaffy) وشراك (Strack) منذ حوالي نصف قرن ، وفحواها أنه نظراً لقلة الأدلة عن الألقاب الفخرية في عهد البطالة الأربعة الأوائل يجب أن يعزى إنشاؤها إلى بطليموس الخامس .

وقبل أن ننصر رأياً على آخر نجمل بنا أن نستعرض أولاً الأدلة التي لدينا من الشطر الأول من عصر البطالة . يحدثنا بلورتاخ بأن بطليموس الأول كان يزور « أصدقاءه » ويتمتع بضيافتهم ^(٢) . ويدعو ديودوروس القاتدين كيلس ^(٣) (Killes) ونيكانور ^(٤) (Nicanor) « صديقي » بطليموس الأول . ويصف استرابون المعارى سوستراتوس من كنيديوس بأنه « صديق الملكين » ^(٥) أى صديق بطليموس الأول والثاني . ويذكر الشارح القديم لأشعار كاليماخوس، أن مرتزة الغال الذين ثاروا وأخضعهم بطليموس الثاني فيلادلفوس كان قد أرسلهم إليه شخص يدعى انتيجونوس كان « صديق فيلادلفوس » (Antigonos tis philos tou Philadelphou) ^(٦) . وفي نقش من ساموس من عهد بطليموس الثاني وصف بلويس بن اسكندر بأنه « صديق

(1) Bouché-Leclercq, Hist. des Lagides, III, P. 109.

(2) Plut., Apopth.

(3) Diod. XIX, 93, 1-2 ; Plut., Demetr., 6 ; R. — E. suppl. 4, 1924, Coll. 902-3 ; Peremans, Prosop. Ptol. II, No. 2164.

(4) Diod. XVIII, 43, 2 ; R. — E., 17, 1936, Col. 200, No. 6 ; Peremans, P.P. II, No. 2160.

(5) Strabo, XVII, 1, 6, 791.

(6) Callim., In Del., 171.

معين التاريخ لأهل التاريخ

الملك^(١). وفي نقش من ميليتوس (ملطية) من عام ٢٦٢ - ٢٦١ ق. م. يقول بطلميوس الثاني للملطين إنه علم بعواطفهم الطيبة من ابنه وكاليكراتس و «الأصدقاء الآخرين» (hoi alloi philoi)^(٢). ونعرف من إحدى^(٣) برديات زينون التي ترجع إلى عام ٢٥٧ ق. م. أن زوبولوس قبل أن يطلب إلى أبولونيوس وزير مالية مالية بطلميوس الثاني السماح له ببناء سيرايوم في مدينة لم يرد ذكرها في البردية اتصل «بأصدقاء» الملك. وإذا صح أن النقش^(٤) الذي ذكر فيه ليونيداس بن فيلوتاس يرجع إلى عام ٢٥٥ ق. م.^(٥) فإنه يمدنا بمثل طريف لأب وابنهما كانا في عداد «الأصدقاء الأول» في عهد بطلميوس الثاني. ويقول المؤرخ اليهودي يوسف إنه في المراسلات التي تبودلت بين بطلميوس الثاني والعازار كبير كهنة أورشليم وصف الملك مبعوثيه بأنهم «أجل الأصدقاء» (timiotatoi ton philon) ووصف أحدهم، وكان يدعى أندرياس، بأنه «كبير رجال الحرس الخاص» (archisomatophylax)^(٦).

ويصف هيرنيموس شخصاً يدعى أنطيوخوس عينه بطلميوس الثالث حاكماً على كيليكيا بأنه «صديق» الملك^(٧). وفي أربع برديات من عهد بطلميوس الثالث، الأولى^(٨) من عام ٢٣٠ - ٢٢٩ والثانية^(٩) من عام ٢٢٧ - ٢٢٦ والثالثة^(١٠) والرابعة^(١١) من عام ٢٢٥ وصف خريسيوس وزير المالية بأنه «كبير رجال الحرس الخاص». وإغداق هذا اللقب على

(1) S.E.G., I, 364.

(2) Welles, Roy. Corr., 14, 9.

(3) P.C. — Z. I, No. 59034.

(4) S.B. 0665.

(5) Cf. Breccia, B.S.A.A., 19, 1923, p. 123, No. 1.

(6) Joseph., Antiq. Jud., XII, 2, 4-5.

(7) Hieronym., In Dan., XI, 7.

(8) P. Petr. III, 53 (1), 11. 3-4.

(9) P.C.Z. 10250.

(10) F. Grenf. II, 14 b, 1. 2.

(11) P. Petr. III, 53 (m) 11. 2-3.

خريسيپوس "Chrysippus" قد حدا بفيلكن إلى التسليم باحتمال وجود سلسلة الألقاب الفخرية في بلاط البطالة قبل عصر بطليموس الخامس الذى يجوز أنه لم يفعل أكثر من التوسع في منح الألقاب لرجال الحكومة بوجه عام^(١).

ونحن نرى ألا مفر من التسليم بأن أدلة القرن الثالث ق. م. طفيفة إذا ما قورنت بأدلة القرنين الثانى والأول ، وفضلا عن ذلك فإنها لا تمدنا بسلسلة الألقاب كاملة على نحو ما نجده في القرنين الأخيرين . ومع ذلك فإن تلك الأدلة على ندرتها ترينا أن لقبين على الأقل — إن لم يكن ثلاثة — كانا يستعملان قبل عصر بطليموس الخامس . وإذا سلمنا جدلا بأن الكتاب القدماء لم يستعملوا كلمة « صديق » باعتبارها اصطلاحاً يتم عن لقب فخرى ، وبأن النقش الذى ذكر فيه ليونيداس بن فيلوتاس لا يرجع إلى منتصف القرن الثالث ق. م. فكيف يمكن تفسير هذا الاصطلاح في النقشين الآخرين اللذين يسلم بأنهما من عهد بطليموس الثانى ؟ لا جدال في أنه لا يمكننا التغاضى عن الدليل الذى نستمد من هذين النقشين بينا تقبل الدليل المستمد من النقوش المتأخرة . وبالإضافة إلى ذلك كيف نفسر لقب خريسيپوس ؟ يجب أن نذكر أولاً أن اصطلاح « كبير رجال الحرس الخاص » كان يعنى أول الأمر وظيفة فعلية في الحرس الملكى لكنه غدا بعد ذلك لقباً فخرياً بمنح مختلف أنواع الموظفين الذين لم يؤلفوا يوماً جزءاً من ذلك الحرس . والواقع أنه من العسير أن نقرر في كل حالة يرد فيها هذا الاصطلاح إذا كان المقصود لقباً أم وظيفة فعلية، لكن من المرجح أن إضافة عبارة « من كبار رجال الحرس الخاص » إلى اسم شخص تدل على لقب فخرى . ونقلى الصعوبة نفسها مع اصطلاح آخر وهو اصطلاح « رجال الحرس الخاص » الذى يعنى أحياناً منصباً وأحياناً لقباً فخرياً^(٢) . وإذا كان خريسيپوس لم يتم

(1) Wilcken, Grundsätze, p. 7

(2) Peremans, P.P. II, p. XIII.

معين التاريخ لأهل التاريخ

يوماً إلى الحرس الملكي فلا شك في أنه يكون لدينا في هذه الحالة دليل على لقب فخري آخر من القرن الثالث ق . م . وإذا كان خريسيبوس قد شغل فعلاً منصباً في الحرس الملكي واستمر يحمل اللقب الذي ينم عن ذلك بعد أن أصبح وزيراً للمالية فإننا نرى أن هنا يدل على شيئين : وأحدهما أن استمراره في حمل لقب « كبير رجال الحرس الخاص » بعد ترك الحرس الملكي وتولى منصب آخر يشير إلى مرحلة انتقال نحو إطلاق هذا اللقب على أشخاص لم يشغلوا منصباً في الحرس الملكي على الإطلاق . والآخر أنه لا يمكن اعتبار وصف خريسيبوس بأنه « كبير رجال الحرس الخاص » بعد ما أصبح وزيراً للمالية إلا أنه لقب فخري . وجملة القول أنه يبين لنا أننا نجد هنا في الحالين دليلاً على وجود لقب فخري آخر من القرن الثالث ق . م .

إن لحجج بوشيه لكرك من الوزن ما لا يمكن إغفاله ، وكما قال كورنوبول لا يمكن أن ننصور أن البطالة الأوائل عاشوا وحيدين لا تحيط بهم نخبة من الأصفياء ولا سيما أنه كان للإسكندر وكل الخلفاء مثل هؤلاء الأصدقاء . ولكن كيف يمكن تفسير ندرة الأدلة المستمدة من النقوش والوثائق البردية عن الألقاب الفخرية في عهد البطالة الأوائل ؟ هناك حقيقة مسلم بها وهي أن النقوش والوثائق البردية الإغريقية التي ترجع إلى النصف القرن الأول من حكم البطالة ، وهي الفترة التي يحتمل أن تكون الألقاب قد أنشئت فيها ، قليلة حتى أننا نفتقر افتقاراً شديداً إلى أدلة من هذه الفترة عن سائر النظم البطلمية ، ومن ثم لا نعيجب إن كانت الأدلة التي لدينا من هذه الفترة عن الألقاب الفخرية قليلة . أما قلة الأدلة عن الألقاب طوال القرن الثالث قبل الميلاد فلأنها يمكن أن تعزى إلى أحد أمرين أو كليهما معاً ، واحدهما الصدفة والآخر الاحتمال بأنه في عهد البطالة الأوائل كان منح الألقاب محدوداً مثل ما كانت الحال في عهد الإسكندر الأكبر عندما قصر لقب « رجال الحرس الخاص » على سبعة فقط إلى أن أدمج بيوكستاس في عداد تلك الفئة الممتازة فأصبح عددها ثمانية . وفضلاً عن ذلك فإن النقوش والبرديات لم تكن

معين التاريخ لأهل التاريخ

قوائم ولا نشرات رسمية صادرة من القصر الملكي أو الدوائر الحكومية . ومن ثم كان يتعين دائماً قرن الأسماء الواردة فيها بالألقاب أصحابها الفخرية . ولما كنا نعرف عن يقين أنه حتى بعد عهد بطليموس الخامس كثيراً ما أغفلت النقوش والبرديات ذكر ألقاب أشخاص حدثتنا نقوش وبرديات أخرى أقدم منها عهداً بأنهم كانوا يحملون ألقاباً فخرية ، فلا عجب أن كان إغفال ذكر الألقاب أكثر وأعم في برديات ونقوش الفترة التي يرجع أن تكون الألقاب أنشئت فيها واقتصد في منحها اقتصاداً شديداً ، وتبعاً لذلك كان عامة الناس قليلي الألفة بها .

ويمكن أن نقول : إذا صح أن بطليموس الخامس هو الذي أنشأ فعلاً الألقاب الفخرية في مصر البطلمية فكيف تأتى أن الكتاب القدماء أغفلوا الإشارة إلى هذا الحدث الجديد ؟ وكيف يمكن أن تقبل الرأى القائل بأن بطليموس الخامس أنشأ الألقاب الفخرية تقليداً للبلاط السليوكي مع أنه لا يوجد دليل على وجود كل هذه الألقاب في ذلك البلاط على نحو ما لاحظ ديتنبجر (Dittenbreger) ⁽¹⁾ .

إزاء كل الاعتبارات التي أوردناها نرى أن إنشاء الألقاب الرئيسية على الأقل يجب أن يعزى إلى البطالة الأوائل الذين يبدو أنهم كانوا شديدي الاقتصاد في منحها لكن على مر الزمن زيد عدد الألقاب واتسعت دائرة الأشخاص الذين كانت تغدق عليهم . وعندما أنشأ بطليموس الأول أو على الأكثر بطليموس الثانى الأرستقراطية الجديدة لاشك في أنها كانت تتألف من مستشاريه وكبار ساعديه الذين كان يدعوهم أصدقاءه ، وكذلك من حرمه الخاص . ولكي يرفع الملك بقايا الأرستقراطية المقدونية القديمة فوق مصاف الأرستقراطية المصطنعة الجديدة لا يبعد أن يكون قد أضفى على أفرادها لقب « أقارب الملك » (Syngeneis) لأنهم كانوا إلى حد أقاربه بالقياس إلى الآخرين .

(1) O.G.I.S., I, p. 182.

وكما تصور قلة الأدلة من القرن الثالث ، فيا محتمل ، اقتصاد البطالة الأوائل في منح الألقاب ، فإنه محتمل أيضاً أن وفرة الأدلة من القرنين الثاني والأول تصور سناء البطالة الأواخر في هذا الصدد . وقد لانعدو الحقيقة إذا عزونا بداية هذا الاتجاه نحو السخاء في منح الألقاب الفخرية إلى عصر بطليموس الرابع ، فإن هذا الملك عندما اشتعل لهيب الثورات المصرية اضطر إلى محاولة كسب ود المصريين بإغداق على الديانة المصرية ورسم نفسه فرعوناً وحمل الألقاب الفرعونية التقليدية والنص عليها لا في الوثائق المصرية فحسب بل في الوثائق الإغريقية أيضاً . ولما لم يكن في وسع بطليموس الرابع إغفال الإغريق الذين كانوا سنده وعضده ولا سيما بعد قيام الثورات المصرية ولم يرضهم بطبيعة الحال ما أظهره الملك من عطف نحو المصريين ، فإنه من الجائز أن يكون هذا الملك قد عمل على استرضاء الإغريق ودعم سيطرته عليهم بالتوسع في إغداق الألقاب الفخرية عليهم وبالأهتمام بعبادة ديونيسوس اهتماماً شديداً وتحويل الديانة الرسمية العامة إلى ديانة أسرية وجعل عبادة بطليموس الأول في مدينة بطوليميس عبادة رسمية عامة في مدينة طيبة لبطليموس الأول والملك الحاكم .

وإذا تفاقم المتاعب التي واجهت خلفاء بطليموس الرابع كان طبيعياً أن يزداد سناء البطالة الأواخر في منح الألقاب الفخرية . ويبدو محتملاً أن هذا الاتجاه كان مزدوجاً بحيث تضمن زيادة في عدد المستفيين وكذلك في عدد مراتب الألقاب من أجل الاحتفاظ ، على حد رأى هن (Henne) ، بقدر من التفرقة بين حملة الألقاب⁽¹⁾ . وعندما تلقى سلسلة الألقاب البطلمية الفخرية كاملة نجد أنها أصبحت تمنح لختلف أنواع الموظفين ، عسكريين ومدنيين في الإدارة المركزية والإدارة المحلية ، في الإسكندرية ، وفي مصر وفي ولاياتها .

(1) Henne, Rev. Et. An., XLII, 1940, p. 180.

معين التاريخ لأهل التاريخ

ويبدو أنه لا يوجد أى اعتراض جدى على رأى «هن» القائل بأنه عندما استكملت سلسلة الألقاب الفخرية البطلمية كانت تتألف من المراتب التالية بهذا الترتيب التصاعدى : «الخلفاء» و «رجال الحرس الخاص» و «الأصدقاء» و «كبار رجال الحرس الخاص» و «نظراء الأصدقاء الأول» (histimoi tois protois philois) و «الأصدقاء الأول» و «نظراء الأقارب» (homotimoi tois Syngenesei) و «الأقارب»⁽¹⁾ . ولا يوجد فى رأينا مبرر للافتراض بوجود طبقة وسط بين طبقى «الأصدقاء» و «كبار رجال الحرس الخاص» .

والمراتب التى تدرج فيها بويثوس (Boethos) ابيستراتيجوس (حاكم عام) منطقة طيبة الذى تقطع الوثائق بأنه حمل الألقاب التالية واحداً بعد آخر : «كبير رجال الحرس الخاص» و «صديق أول» و «قريب» - إن تدرجه فى هذه المراتب يفند رأى اتكينسون القائل بأن حصول موظف على لقب «قريب» لا يعنى حتماً انتهاؤه إلى أعلى درجة فى سلم الترقى يودى إليها دون أى تغيير من مرتبة الخلفاء عبر الدرجات الأخرى⁽²⁾ ، اللهم إلا إذا كانت تقصد بذلك احتمال تخطى بعض الدرجات الوسط مثل درجة «نظراء الأصدقاء الأول» أو درجة «نظراء الأقارب» ، أو عدم ضرورة البداية من أسفل الدرج . لكن إذا جاز ذلك فى بعض الحالات فلا بد من أنه كان استثناء من القاعدة تبرره ظروف خاصة .

وهذا يودى إلى التساؤل : أكانت هناك قواعد لمنح الألقاب ؟ وهل تمتع مديرية اوسينوى (القيوم) - باعتبارها مديرية ينزل فيها عدد من الإغريق يفوق من كانوا فى أى مديرية أخرى - هل تمتع بميزة خاصة لم تتمتع بها المديريات الأخرى ؟ وهل امتاز العسكريون على المدنيين فى مسألة الألقاب ؟ وهل حدث تدهور فى قيمة الألقاب أم ارتفاع من قدر المناصب أم الأمران

(1) Henne, op. cit., p. 178.

(2) Aegyptus, op. cit., 214.

معا؟ وهل التطور الذى حدث فى ألقاب حكام المديرية قد حدث كذلك فى ألقاب غيرهم من الموظفين مدنيين كانوا أم عسكريين؟ وهل كانت الألقاب وراثية؟ لقد أثار سكيت (Skeat) وهن (Henne) وبينجتسون (Bengtson) وغيرهم من الباحثين سؤالا أو آخر من هذه الأسئلة الطريفة التى نرى أنه من أجل الإجابة عنها يجب استعراض الأدلة التى لدينا.

تحدثنا النقوش والوثائق البردية بأن خريسموس (Chrysermos) ابن اسكندر، الأكسجيتس وكبير الأطباء^(١) فى عهد بطلميوس الخامس أو على الأرجح بطلميوس السادس، وأبولونيوس، كبير المشرفين على الطعام (archedeatros)^(٢) فى عهد بطلميوس السادس أو التاسع، وأنطيوخوس الأرخبدياتروس^(٣) فى عهد بطلميوس إسكندر الأول، والهيومناتوجرافوى (hypomnematographoi) = سكرتيرى الملك لثئون الأوامر والتوقيعات على الشكاوى المرفوعة للملك امفيكلس^(٤) (١٢٣ق.م.) وبطلميوس^(٥) (٩٤/٩٥) وشريس^(٦) (Theris) (٦٨/٦٩) وإريستوكراتس^(٧) (التاريخ غير معروف) وكذلك الإيستولوجرافوى (epistolographoi) = سكرتيرى الملك لثئون المراسلات) نوميوس^(٨) (١٣٩/١٤٣) وستولوس ابن ثيون^(٩) (٨٠/١١٦) وفيلوكراتس^(١٠) (٩٩) كانوا جميعاً يحملون لقب «قريب الملك»، مما يدل على أن كبار رجال الحاشية الملكية سواء

- (1) OGIS. 104,2.
- (2) OGIS, 169,4.
- (3) OGIS, 181,3.
- (4) Archiv, I, 1901, pp. 61-2, 1, 1 (= P. Cairo 10371) ; P. Tebt. 61 b, l. 263 ; Peremans, P.P.I., No. 6.
- (5) S.E.G. VIII, 466, ll. 36-8 (= S.B. 7250) ; OGIS, 740 ; Pr.Pt. I. No. 11.
- (6) S.B. 6155, ll. 24-5 ; Pr.Pt. I, No. 9.
- (7) OGIS, 163, ll. 2-4 ; Pr.Pt. I, No. 7.
- (8) OGIS, 239, ll. 14-15 ; Pr. Pt. I, No. 2.
- (9) Roussel — Launey, Inscr. Delos, 1533 ll. 1-4 ; 1534, ll. 1-6 ; Pr. Pt. I, No. 3.
- (10) UPZ 106, ll. 16-7 ; 107, ll. 19-20 ; 108, ll. 15, 24, 26 ; Pr. Pt. I. No. 4.

حوالي منتصف القرن الثاني أم في أواخره وخاصة في القرن الأول كانوا يحملون أرفع الألقاب الفخرية .

وقد مر بنا أنه منذ ٢٣٠ - ٢٢٩ ق . م على الأقل كان الديويكيثس (dioiketes = وزير المالية) خريسيبوس يحمل لقب « كبير الحرس الخاص »^(١) لكن حوالي نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني كان وزير المالية اپولونيوس من فئة « الأصدقاء »^(٢) فقط شأنه شأن الوزيرين ديونيبيوس^(٣) (حوالي منتصف القرن الثاني) ودبوسكوريدس^(٤) (١٥٧) غير أن الأخير لم يلبث أن غدا من « كبار رجال الحرس الخاص »^(٥) مثل ما كان قبله الوزير اسكليپادس^(٦) (١٦٣) . وكان اثنان من وزراء مالية الربع الثالث من القرن الثاني يحملان لقبين مختلفين ، فقد كان سارايون^(٧) (حوالي ١٥٠ ق.م.) يحمل لقب « قريب الملك » وأپولونيوس^(٨) (حوالي ١٣١ ق.م.) يحمل لقب « صديق أول » . لكن كل وزراء المالية الذين نعرفهم من الربع الأخير في القرن الثاني [ايرنايوس^(٩) (١١٤ - ١١٢) وبطلميوس^(١٠) (١٠٨)] وكذلك من القرن الأول [هفايستيون^(١١) (٦٨/٦١ - ٦٠) وإثينايبوس^(١٢) (٦٣/٦٤) وپروتارخوس^(١٣) (٥٠/٥١) وليكاريون^(١٤) (أواخر عصر البطالة)] كانوا يحملون لقب « قريب الملك » شأنهم شأن اثنين من

(1) P. Petr. III, 53 (I) II, 3-4 ; Pr. Pt. I, No. 52.

(2) S.B. 2637, II, 3-4 ; OGIS, 100 II, 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 17.

(3) P. Tebt. 79, I, 56 ; Pr. Pt. I, No. 24.

(4) UPZ, 14, II, 99, 123 ; Pr. Pt. I, No. 27.

(5) I. Berl. Zilliacus 1, I, 22 ; Pr. Pt. I, No. 27.

(6) UPZ 25, II, 4-5 ; 26, II, 3-4 ; Pr. Pt. I, No. 21.

(7) P. Tebt. 743, II, 5-6 ; Pr. Pt. I, No. 46.

(8) Revillout Melanges, p. 323, I, 1 ; p. 325, I, 5 ; Pr. Pt. I, No. 18.

(9) P. Tebt. 72, II, 241-3 ; Pr. Pt. I, No. 20.

(10) P. Grenf. II, 23, II, 9-10 ; Pr. Pt. I, No. 43.

(11) BGU, VIII, 1772, II, 18-19, 30 ; Pr. Pt. I, No. 31.

(12) BGU, VIII, 1774, I, 3 ; 2747, I, 8 ; 1748, I, 7 ; 1749, I, 4 (= S.B. 7408 ; 7410 ; 7411 ; 7412) ; Pr. Pt. I, No. 15.

(13) BGU, VIII, 1760, II, 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 39.

(14) S.B. 2100, II, I-7 ; Pr. Pt. I, No. 37.

معين التاريخ لأهل التاريخ

مروسيهم [كاستور^(١) (٥٧ أو ٨٩) ونومنيوس^(٢) (حوالي ٥٦/٥٧)]
كانا مشرفين على حساب الملك الخاص (idiologoi) .

وقد كان سارايون^(٣) وهرموناكس^(٤) مساعدين لوزير المالية ،
(hypodioiketai) ، الأول في عام ١٦٣ ق . م . والثاني في عام ١٠٨ ق.م.
لكن بينما كان الأول ينتمي إلى فئة «الخلفاء» كان الثاني في عداد «نظراء
الأقارب» . أما خايرمون^(٥) وهرمياس^(٦) الاثنان كان من كبار موظفي
الإدارة المالية المحلية (epimeletai) فلنهما كانا ينتميان إلى فئة «الخلفاء»
برغم أن الأول كان يتولى منصبه في ١٥٤-١٥٢ ق . م . والثاني في أواخر
القرن الثاني ، على حين أن موظفا أقل شأنًا من هذين الموظفين مثل بانتاليون^(٧)
الذي كان مراقب جمع الضرائب النوعية (oikonomos sitikou) في قسم
هيراكلايدس بمديرية القيوم في عام ٩٦/٩٧ ق.م. كان ينتمي إلى فئة «نظراء
الأقارب» شأنه شأن هرموناكس مساعد وزير المالية في منطقة طيبة في عام
١٠٨ كما مر بنا .

ويستوقف النظر كذلك أنه حوالي نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني
عندما كان أبولونيوس بن ثيون يشغل وظيفة وزير المالية ، أى عند ما كان أخطر
موظف في الدولة بعد الملك مباشرة ، ويحمل لقب «صديق» كان كبير القضاة
(archidikastes) ديونيسيوس بن تيموناكس من فئة «الأصدقاء الأول»^(٨).
وقبل تناول موظفي الإدارة في الأقاليم أحب أن أقرر أولاً أنني آخذ
بالنتائج التي تمخضت عنها بحوث فان ت داك^(٩) (Van t' Dack) وتتلخص

(1) OGIS, 188, ll. 1-5 ; 189, ll. 1-4 ; Pr. Pt. I, No. 35.

(2) BGU, VIII, 1782, ll. 3-4, Pr. Pt. I, No. 38.

(3) UPZ, 17, l. 1 ; 20, l. 36 ; 25, ll. 7-8 ; 26, ll. 5-6 ; 41, l. Pr. Pt. No 914.

(4) P. Grenf. II, 23, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 908.

(5) P. Tebt. 843, ll. 1-2 ; 81 (b), ll. 70-1 ; 72, l. 48 ; Pr. Pt. I, No. 958.

(6) P. RyL. 67, l. 2 ; Pr. Pt. I, 940.

(7) OGIS, 177, ll. 5-9 ; Pr. Pt. I, No. 940.

(8) OGIS, 126, ll. 2-4.

(9) Aegyptus, 29, 1949, pp. 14-33.

في أنه عندما أقيم حاكم عام على منطقة طيبة ، منذ عهد بطليموس الخامس ، أصبح يوجد في تلك المنطقة ثلاثة أنواع من الحكام الرئيسيين وهم : (١) الحاكم العام ، وكان يسيطر على المنطقة بأسرها (٢) القواد الذين كان كل منهم يشرف على عدد من المديريات (٣) الحكام الذين كان كل منهم يحكم مديرية واحدة يصفهم نواب حكام الفئة الثانية ، ويدعون قواد (Strategoi) في بعض الأحيان وإيستاتاي (epistatai) في أكثر الأحيان .

إن هيبالوس ، الذي يرجح أنه كان حاكما عاما لكل الريف المصري على الأقل من أبريل ١٨٥ حتى ديسمبر ١٦٩ ق.م^(١) كان يحمل لقب كبير رجال الحرس الخاص^(٢) في عام ١٧٧/١٧٨ ولقب «صديق أول»^(٣) على الأقل منذ عام ١٧٥ . ويلاحظ أن كل من نعرفهم من حكام الطبقة الأولى في منطقة طيبة في النصف الأول من القرن الثاني [نومنس^(٤) (١٧١ / ١٦٩) وهيرونيوس^(٥) (١٦٩ / ١٦٣) وبوثوس^(٦) (١٤٥/١٦٣)] كانوا من فئة كبار رجال الحرس الخاص ، شأنهم شأن أكثر حكام المديريات خارج منطقة طيبة مثل بطليموس^(٧) (حوالي ١٧٥/١٧٠) وسارابيون^(٨) ومنكراتس^(٩) (حوالي ١٥٠) [مديرية ارسينوى] وسوتيون^(١٠) (١٤٥/١٦٣) [مديرية بوبسطة] وأريوس^(١١) (١٤٥/١٦٣) [مديرية فاربايوس]

- (1) UPZ, 110 ll. 164-5 ; Skeat, The Epistatagos Hippalos, Archiv, XII, 1937, pp. 40 ff.
- (2) P. Tebt. 778 ; P. Lond. 610.
- (3) P. Tebt. 896, l. 1.
- (4) Slut Archive B.M. e.g. 10501 recto II, ll. 3-4, III, l. 21 ; verso III, ll. 3-4 ; P. Grenf. I, 38, ll. 1-2 ; Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 196.
- (5) S.B. 1436, ll. 8-9 ; Pr. Pt. No. 192.
- (6) OGIS, 111, ll. 7-11 ; P. Lond. 610 ; Pr. Pt. I, No. 188.
- (7) P. Tebt. 896, l. 6 ; 779, l. 1 ; 780, l. 1 ; B.G.U. III, 1012, ll. 18-9 ; Pr. Pt. I, No. 312.
- (8) P. Tebt. 743, II, 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 327.
- (9) P. Tebt. 771, II, 22-3 ; Pr. Pt. I, No. 282.
- (10) R.E.G., 27, 1914, p. 475 ; Pr. Pt. I, No. 335.
- (11) S.B. I, 1164, ll. 5-7 ; Pr. Pt. I, No. 227.

وبطليموس^(١) (١٥٥/١٥٦) [مديرية هيراكليو پوليس] وكافيسودوروس^(٢) (١٤٦/١٦٥) [مديرية كرويس] لكن كومانوس^(٣) (١٨٧) في مديرية ارسينوى وكراتروس^(٤) (١٧٥/١٧٦) في مديرية منف وديونيسيوس^(٥) (١٦٥) في مديرية هليوپوليس) كانوا في عداد «الأصدقاء الأول». وما يجدر بالملاحظة أولاً أن اثنين من خلفاء كراتروس «الصدق الأول» وهما ديونيسيوس^(٦) (١٦٣ - ١٦٠/١٦١) وپوسايدونيوس^(٧) (١٥٨) كانا ينتميان إلى فئة «الأصدقاء» فقط وان كان الأخير أصبح في عام ١٥٧ من فئة «كبار رجال الحرس الخاص». وثانياً أن حكام مديرية منف لم ينفردوا بهذه الظاهرة، فقد عرفنا أن كومانوس حاكم مديرية ارسينوى في عام ١٨٧ كان من فئة «الأصدقاء الأول» في حين أن ثلاثة على الأقل من خلفائه (بطليموس وسارابيون ومنكراتس الذين مر بنا ذكرهم) كانوا ينتمون إلى طبقة «كبار رجال الحرس الخاص»

وقد كان ثلاثة من حكام منطقة طيبة من الطبقتين الثانية والثالثة في النصف الأول من القرن الثاني [دائماخوس^(٨) (١٦٦/١٦٧) وليكسيكوس^(٩) (١٦٥) وبتليموس^(١٠) (١٦٢)] ينتمون إلى فئة «الخلفاء» مثل كودياس^(١١) حاكم مديرية هيراكليو پوليس (١٦٧ / ١٦٠)، في حين أن اينياس^(١٢)

- (1) P. Berl. Zil. 1, ll. 57-8, 65, 81 ; 2, ll. 19-20.
- (2) S.B. III 6664, ll. 6-9 ; Pr. Pt. I, No. 209.
- (3) P. Col. inv. 481 ; Pr. Pt. I, No. 270.
- (4) UPZ. 124, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 272.
- (5) S.B. I, 3941, ll. 1-3 ; Cf. Pr. Pt. I, No. 243.
- (6) UPZ. 7, ll. 1-2 ; 2, I, 1 ; 19, I, 31 ; 20, ll. 46-7 ; 42, ll. 41-2 ; 8, 1. 1 ; 41, II, 91-20 ; 11, II, 18-19 ; Pr. Pt. I, No. 244.
- (7) UPZ. 12, ll. 1-2 ; 13, ll. 1-4.
- (8) P. Par., p. 415 ; Pr. Pt. I, No. 238.
- (9) P. Lond. 810 ; Pr. Pt. I, No. 275.
- (10) BGU. III, 992, col. I ll. 10-11 ; S.B. I, 4512, ll. 10-11 ; Pr. Pt. I, No. 314.
- (11) P. Hamb. 91, I, 1 ; UPZ. 9, I, 12 ; S.B. III, 6261 ; UPZ. 10, II, 27-8 ; 11, I, 19 ; Pr. Pt. I, No. 274.
- (12) PSI. VII, 815, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 375.

(١٦٣/١٥٤) إبيستاتس مديرية افروديتوبوليس كان من فئة « رجال الحرم الخاص » .

ويتضح مما أسلفناه أن حكام المديرية المختلفة في النصف الأول من القرن الثاني كانوا يحملون ألقاباً فخريّة متباينة تشمل كل المراتب ماعدا مرتبتي « أقارب الملك »^(١) و « نظراء الأقارب » .

وبين عام ١٤٣ و عام ١٢٤/١٢٥ ق . م . عند ما كان أربعة من حكام مديرية ارسينوى [بطلمبيوس^(٢) (١٤٣) و (بط) - وليمس^(٣) (١٤٣/١٤١) وقانياس^(٤) (١٣٦/١٣٧) وفيلينوس^(٥) (١٢٤/١٢٥)] وواحد من حكام منطقة طيبة [پاوس^(٦) (١٣٦/١٣٧)] في زمرة « الأصدقاء الأول » ، كان ابولودوروس^(٧) (١٤٢/١٤٣) حاكم هرموبوليس ينتمي إلى « نظراء الأصدقاء الأول » ، و هرويدس^(٨) (١٤٢/١٤٤) وسانتوبيثوس^(٩) (١٣٨/١٣٧) من حكام الدرجة الثانية في منطقة طيبة ينتميان إلى « كبار رجال الحرم الخاص » . وعند ما كان فيلينوس (١٢٤/١٢٥) حاكم مديرية ارسينوى ينتمي إلى « الأصدقاء الأول » ، كان هرمياس^(١٠) أحد حكام طيبة من الدرجة الثانية ينتمي في العام نفسه إلى فئة أعلى من ذلك وهي فئة « نظراء أقارب الملك » . لكن من ناحية أخرى نلاحظ أن كل الذين نعرف أنهم كانوا حكام مديرية ارسينوى منذ شغل پارثينوس^(١١) هذا المنصب في عام

(1) Henne, op. cit., p. 177.

(2) P. Tebt. 736, l. 54 ; Pr. Pt. I, No. 316.

(3) P. Tebt. 790, ll. 16-7 ; Pr. Pt. I, No. 32.

(4) P. Tebt. 787, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 340.

(5) P. Tebt. 700, ll. 18-9, 97 ; Pr. Pt. I, No. 341.

(6) P. Ryl. 66 Intr. ; Pr. Pt. I, No. 302.

(7) P. Ryl. 253 recto II, ll. 1-2 ; Pr. Pt. I, No. 215.

(8) S.B. V, 8394, ll. 3-4, 18 ; Pr. Pt. II, No. 2060.

(9) BGU, VI, 1247, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 326.

(10) UPZ, 160, l. 30 ; 161, ll. 20-1 ; Pr. Pt. I, No. 253.

(11) P. Tebt. 101, ll. 2-3 ; Pr. Pt. I, No. 299.

١٢٠ ق. م. [لوسانياس^(١) (حوالي ١١٩) وأبولونيوس^(٢) (١١٨) وإيريناوس^(٣) (حوالي ١١٦) وبطلميموس^(٤) (١١٤) وانسايبوس^(٥) (أواخر القرن الثاني) ولوسانياس^(٦) (٩٥) وأبولونيوس^(٧) (٦٩/٧٠). وثيريس^(٨) (قبل ٦٩/٦٨)] كانوا يحملون لقب «قرب الملك». غير أن حمل هذا اللقب لم يكن ميزة انفرد بها حكام مديرية ارسينوى، إذ أنه قبل أن يحمله پارثينوس وخلفاؤه كان أربعة على الأقل من حكام الدرجة الأولى في منطقة طيبة [بوثوس^(٩) (١٣٥/١٣٦) وپاوس^(١٠) (١٣٠) وپولارخوس^(١١) (حوالي ١٢٧) ولوخوس^(١٢) (١٢٦/١٢٧)] قد حملوا هذا اللقب. ويبدو أنه منذ بلغ بوثوس هذه المرتبة أصبحت القاعدة أن ينتمى إليها كل حكام الدرجة الأولى في منطقة طيبة إذ أنه إلى جانب الأمثلة الأربعة التي ذكرناها نعرف ثلاثة أمثلة أخرى من خلفائهم في هذا المنصب [ديمترىوس^(١٣) (١١٧) وهرموكراتس^(١٤) (١١٥) وفوموس^(١٥) (حوالي ١١٥)] وكانوا أيضاً في مرتبة «أقرباء الملك»، بل كان في المرتبة نفسها أيضاً أحد حكام الدرجة الثانية في منطقة طيبة (هرمياس^(١٦) (١١٧)) وأحد حكام الدرجة الثالثة في تلك المنطقة [إپودوروس^(١٧) (١٠٩/١١٠)]

- (1) P. Tebt. 41, ll. 11-2, 35-6 ; Pr. Pt. I, No. 276.
- (2) P. Tebt. 43, ll. 33-4 ; Pr. Pt. I, No. 223.
- (3) P. Tebt. 791, ll. 1-3 ; Pr. Pt. I, No. 250.
- (4) P. Tebt. 15, l. 15 ; Pr. Pt. I, No. 318.
- (5) P. Tebt. 134 ; Pr. Pt. I, No. 213.
- (6) OGIS. 179, ll. 3-6 (= Millne 9245) ; Pr. Pt. I, No. 277.
- (7) S.B. III, 6236, ll. 34-5 ; 6154. ll. 20-1 ; Pr. Pt. I, No. 224.
- (8) PSI. VIII, 949, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 262.
- (9) S.B. I, 4638 ; Pr. Pt. I, No. 188.
- (10) OGIS. 132, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 197.
- (11) OGIS. 133, ll. 1-4 ; Pr. Pt. I, No. 199.
- (12) UPZ. 187, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 195.
- (13) UPZ. 162, I, l. 17 ; Pr. Pt. I, No. 189.
- (14) OGIS. 168 ; Pr. Pt. I, No. 191.
- (15) O. Tait (Flinders Petrie) 49, ll. 6-7 ; Pr. Pt. I, No. 202.
- (16) UPZ. 162, I, ll. 12-4 ; Pr. Pt. I, No. 253.
- (17) S.B. V, 8036 ; Pr. Pt. I, No. 216.

وكنلك ثلاثة حكام في مديريات مختلفة خارج تلك المنطقة [دوريون^(١) في منف (حوالي ١١٢) واسكليبادس^(٢) في هرموبوليس (١٣٨) وهراكلييتوس^(٣) لكن أهونيوس^(٤) أحد حكام الدرجة الثالثة في منطقة طيبة كان لا يزال في عام ١١٨ بين «الأصدقاء الأول» . أما في القرن الأول ق . م . فإن كل حكام منطقة طيبة على اختلاف درجاتهم وكذلك كل حكام المديريات المختلفة^(٥) كانوا يحملون لقب «قريب الملك» باستثناء أحد^(٦) حكام الدرجة الثالثة في منطقة طيبة (٨٠ / ٥٧ ق . م .) فقد كان لا يزال في عداد «نظراء الأقارب» .

ولا ريب في أن منصب وزير المالية كان أكثر أهمية من منصب الحاكم العام في منطقة طيبة أو منصب حاكم أى مديرية ، ولعلنا لا نعدلو الحقيقة إذا تصورنا أن منصب الحاكم العام في منطقة طيبة ، التى كانت تضم عدداً كبيراً من المديريات ، كان كذلك أكثر أهمية من منصب حاكم أى مديرية خارج تلك المنطقة . ومع ذلك فإن وزراء المالية الذين أتانا نبؤهم من النصف الأول في القرن الثانى كانوا يحملون لقب «صديق» وهو اللقب نفسه الذى كان يحمله عندئذ اثنان من حكام مديرية منف وأدنى من لقب «كبير رجال الحرس الخاص» الذى كان يحمله في هذا الوقت كبار حكام منطقة طيبة وكذلك غالبية حكام المديريات خارج تلك المنطقة ، وبطبيعة الحال أدنى كثيراً من لقب «صديق أول» الذى كان يحمله ثلاثة حكام في ثلاث مديريات مختلفة . ويستوقف النظر أنه في المديرية ذاتها، في أرسينوى

(1) OGIS, 737, ll. 5-6 (= Milne 33027) ; Pr. Pt. I, No. 248.

(2) P. Rehn, 18, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 235.

(3) P. Fouad 16, l. 1 ; Pr. Pt. I, No. 250.

(4) PSI, 166-170 ; Pr. Pt. I, No. 210.

(5) Cf. Pr. Pt. I, pp. 23 ff.

(6) Archiv, 2, 1903, pp. 567-8, No. 39, ll. 3-9 (= Milne 9246) ; Pr. Pt. I, No. 267.

معين التاريخ لأهل التاريخ

وكذلك في منف ، لم يحمل الحكام المتابعون لقب نفسه ، ففي مديرية أرسينوى كان ثلاثة من خلفاء كومانوس « الصديق الأول » يحملون لقباً أدنى منه وهو لقب « كبير رجال الحرس الخاص » ، وفي منف كان اثنان من خلفاء كراتروس « الصديق الأول » يحملون لقباً أدنى كثيراً من لقبه وهو لقب « صديق » فقط .

وفي الربع الثالث من القرن الثاني حين كان لقب وزير المالية سارابيوس « قريب الملك » ولقب الوزير ابولونيوس « صديق أول » كان لقب أربعة من حكام مديرية أرسينوى وواحد من حكام منطقة طيبة « صديق أول » على حين أن أربعة على الأقل من حكام الدرجة الأولى في هذه المنطقة كانوا يحملون لقب « قريب الملك » ، بل إنه في عام ١٢٥/١٢٤ عندما كان فيلينوس حاكم مديرية أرسينوى من « الأصدقاء الأول » كان هرمياس أحد حكام طيبة من الدرجة الثانية من « نظراء الأقارب » . وفي الربع الأخير من القرن الثالث كان كل وزراء المسالية وحكام مديرية أرسينوى يحملون لقب « قريب الملك » الذي سبقهم إليه حكام الدرجة الأولى في منطقة طيبة والذي كان يحمله عندئذ أيضاً أحد حكام الدرجة الثانية وأحد حكام الدرجة الثالثة في تلك المنطقة وثلاثة حكام في مديريات مختلفة خارج تلك المنطقة . ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أن المعلومات التي لدينا عن مديرية أرسينوى أوفى منها عن أى مديرية أخرى ، ومرد ذلك إلى أن تلك المديرية مصلر أكثر ما لدينا من الوثائق .

وفي ضوء ما عرضناه لايسعنا إلا الخروج بالنتيجتين التاليتين : وإحداهما أنه لم تكن هناك صلة أكيدة بين المناصب والألقاب شاعليها بمعنى أن شغل منصب بعينه لم يستتبع حتماً أن يحمل شاغله لقباً بعينه حتى أواخر القرن الثاني ، فيما يبدو . والنتيجة الأخرى أن مديرية أرسينوى لم تتمتع بأية ميزة خاصة تكسب حاكمها مكانة أسمى من مكانة حكام المديريات الأخرى .

معين التاريخ لأهل التاريخ

ولما كان في كل بلاط ملكى قواعد ثابتة لمنح الألقاب الفخرية فلما نعتقد أن بلاط البطالة لم يشذ عن غيره في هذه الناحية ، ولا سيما أنه يؤيد ذلك وجود سلسلة من الألقاب البطلمية وارتفاع حاملها من مرتبة إلى أخرى . ومع ذلك ينبغي ألا يغيب عن بالنا أن وجود قواعد لمنح الألقاب لا يستتبع حتماً عدم الخروج على هذه القواعد في بعض الأحيان . ولذلك يجب ألا نثار شكوكنا في وجود هذه القواعد إذا طالعنا الوثائق على أمثلة لعدم احترامها .

وقد كان طبعياً أن يؤدي إلى ازدياد أهمية حكام المديرية باطراد اضطراب أحوال البلاد نتيجة للثورات القومية والخلافات الأسرية بين أفراد أسرة البطالة ، ويتأيد ذلك بأنه في خلال القرن الثاني ركزت في قبضة أولئك الحكام سلطات إدارية وقضائية وحرية . ومع ذلك نشك في أن مكانة أولئك الحكام قد بلغت من الأهمية ما يبرر مساواتهم بوزير المالية ومنحهم جميعاً أسمى الألقاب الفخرية . ولعل السخاء في منح هذه الألقاب لكبار حكام منطقة طيبة وحكام المديرية المختلفة ، ولا سيما في عهد بطلميوس الثامن يورجتييس الثاني (١٤٥-١١٦ ق . م .) ، لم يكن إلا وسيلة للفوز بتأييد أولئك الحكام للعرش ، ويشير إلى الدور الرئيسي الذي قام به هذا الملك في التطور الذي طرأ على الألقاب البطلمية^(١) .

وإذا كان يمكن القول بأنه في حالة حكام منطقة طيبة والمديرية قد حدث ازدياد في أهمية المناصب وكذلك هبوط في قيمة الألقاب ، فإنه لا يمكن قول ذلك عن أغلب الحالات الأخرى . فثلاً لا يمكن القول بأن أهمية منصب وزير المالية في أواخر القرن الثاني ، عندما كان كل الذين شغلوه عندئذ يحملون لقب « قريب الملك » ، كانت أكثر أهمية منه في ١٨٠/٢٠٣ عندما كان لقب الوزير أبولونيوس بن ثيون « صديقاً » . ولا يمكن القول بأن أهمية منصب مساعد وزير المالية قد ازدادت بين عام ١٦٣ ، عندما كان

(١) Henne, op. cit., p. 185.

معين التاريخ لأهل التاريخ

سارابيون من فئة « الخلفاء » ، وعام ١٠٨ عندما كان هرموناكس من فئة « نظراء أقارب الملك » ، ولا بأن أهمية منصب سكرتيرى الملك قد ازدادت في أواخر القرن الثاني ازدياداً يبرر مساواة شاغليه في اللقب مع وزير المالية مثلاً . ومع ذلك فانه إزاء منح حكام الأقاليم أرفع الألقاب الفخرية يبدو لنا رفع مستوى ألقاب كبار الموظفين أمراً طبعياً . فنحن إذن لانتعلو الحقيقة إذا قررنا أن الاتجاه العام نحو الهبوط في قيمة الألقاب لم يكن مقصوراً على حكام الأقاليم بل تعداهم حتى شمل كل الموظفين المدنيين .

وعندما نتقل إلى العسكريين نجد أن الأدلة أقل من أن تسمح بمقارنات مشمرة مع المدنيين والوصول إلى نتائج شافية . ولابد من أن حكام قبرص كانوا عسكريين ولاسيما أنهم كانوا في الوقت نفسه قواد الأسطول البطلمي الراسي هناك . ولاشك في أن كبار حكام منطقة طيبة كانوا أيضاً عسكريين فقد كانت تلك المنطقة مهد الفن ومقل الثوار ضد البطالمة الاواخر ، وفي القرنين الثاني والأول قبل الميلاد كان من بين كل حكام الأقاليم حاكم منطقة طيبة وحده هو الذى يتمتع بسلطة عسكرية ^(١) . لقد كان لقب بوليكراتس ^(٢) حاكم قبرص في عهد بطلميوس الخامس « صديقاً أول » ، أما خلفاؤه (ارخياس ^(٣) وهلنوس ^(٤) وسليوكوس ^(٥) ابن يثوس وثيودوروس بن سليوكوس ^(٦) وكروكوس ^(٧)) الذين تولوا حكم تلك الجزيرة في عهد بطلميوس السادس وكليوبترا الثانية وعهد بطلميوس الثامن ، وكذلك اونساندروس ^(٨) الذى شغل المنصب نفسه في

(1) Aegyptus, 1946, pp. 14-18.

(2) Mitford, Mnemosyne, VI, 1939, p. 118.

(3) Strack, Dynastie, No. 96 (= Mitford, op. cit., p. 115) ; Bengtson, Strategie, p. 233, No. 139.

(4) OGIS 148 ; J.H.S. vol. 27, 35, No. 10 ; Bengtson, op. cit., p. 233, No. 140.

(5) OGIS. 151 ; 152 ; Bengtson, p. 234, No. 141.

(6) OGIS. 157 ; Bengtson, op. cit., p. 234, No. 142.

(7) OGIS 140 = Inscr. Delos, 1528 ; Bengtson, op. cit., p. 234, No. 143.

(8) OGIS. 172.

معين التاريخ لأهل التاريخ

عهد بطلمیوس التاسع سوتر الثاني ، كانوا جميعاً يحملون لقب « قريب الملك » .

إن رفع لقب حاكم قبرص من « صديق أول » في عهد بطلمیوس الخامس إلى « قريب الملك » منذ عهد بطلمیوس السادس يشير إلى التطور نفسه الذي سبق أن لاحظناه في ألقاب الموظفين المدنيين ، وإن كان من الواضح أن حكام قبرص كانوا أسبق من الموظفين المدنيين في بلوغ مرتبة « قريب الملك » ، ففي الوقت الذي كان فيه حكام قبرص العسكريون يحملون لقب « قريب الملك » ، كان ثلاثة من وزراء المالية في مصر يحملون لقب « صديق » ، واثنان لقب « كبير رجال الحرس الخاص » وواحد لقب « صديق أول » وآخر لقب « قريب الملك » دون أن يكون التطور في ارتفاع اللقب متمشياً دائماً مع التطور الزمني ، لكن منذ انتفى الوزير ايرنايوس في ١١٤ - ١١٢ ق.م. إلى مرتبة « قريب الملك » ، كان كل وزراء المالية الذين نعرفهم ينتمون إلى هذه المرتبة . وقد سبق أن لاحظنا أنه قبل ذلك بربع قرن تقريباً أو على وجه التحديد منذ ١٣٦/١٣٥ ق.م. كان كل كبار حكام منطقة طيبة ينتمون إلى هذه المرتبة نفسها ، وبذلك يكونون قد سبقوا إليها رجال السلطة المركزية المدنيين وكلئلك جميع رجال الإدارة المحلية في الأقاليم .

وقد كان حكام المدن الواقعة في ممتلكات مصر الخارجية يحملون ألقاباً متباعدة تقابل ألقاب حكام الأقاليم في مصر ، لكن يستوقف النظر أنه في النصف الأول من القرن الثاني حين كان أغلب حكام مديريات بأجمعها في مصر يحملون لقب « كبير رجال الحرس الخاص » ، كان فيلوتاس^(١) (١٨٠ / ١٤٥) في إيتانوس بكريت وتيودوروس^(٢) (١١٦ / ١٤٥) في سلاميس بقبرص يحملان لقب « صديق أول » ، بينما كان اجباس^(٣)

(١) OGIS, 119,6.

(٢) OGIS, 155,6.

(٣) OGIS 112.

(١٤٥/١٦٣) في كيتيوم وأمونيوس في أماثوس بقبرص يحملان لقب « كبير رجال الحرس الخاص » وتبايوس^(١) في ميثاني بالهلوپونيز لقب « صديق » ، واريستيوس^(٢) (١٦٣) وكذلك لاديموس^(٣) (١٦٣-١٤٩) . في ثيرا ينتميان إلى فئة « الخلفاء » . ومن المؤسف انه ليست لدينا عن حكام المدن في مصر ذاتها معلومات تمكنا من أن نعقد مقارنة بينهم وبين حكام^(٤) المدن في الخارج .

وما يجدر بالملاحظة أنه إذا تركنا جانبا العسكريين الذي أسند إليهم حكم قبرص أو منطقة طيبة بأجمعها ، فلنا نجد أن كل ضباط الجيش الذين ورد ذكرهم في مصادرنا سواء أكانوا في الحرس الملكي أم في فرق الفرسان أم المشاة كانوا يحملون ألقاباً متفاوت بين فئة «الخلفاء» وفئة «الأصدقاؤالأول» باستثناء باتروكلس^(٥) بن هيراكلايتوس ، أحد رجال الحرس الملكي بين ٦٨/٩٦ و ٦٠/٦١ ق . م ، فإنه كان ينتمى إلى فئة « نظراء أقارب الملك » . وكان اثنان من ضباط الجيش المصريين يحملان في القرن الأول ألقاباً مصرية ، فقد وصف پاموثنس^(٦) بأنه «الصديق الأوحد وأخو أسرة الملك» . ووصف همسوفيس أو منتسوفيس^(٧) بأنه «أخو فرعون» .

ونجد بين قواد الحاميات أن هرويدس^(٨) بن داموفون (قبل ١٤٤/١٤٢) . وأبولونيوس^(٩) بن هلتن (بين ١٣٥/١١٦) وأبولونيوس^(١٠) آخر (حوالي ١١٨) . ومناسيس^(١١) بن ديونيوسوس (بين ١٤٥/١١٦) كانوا قواد حامية أسوان

(1) OGIS, 115.

(2) SEG. 343.

(3) OGIS 735,5.

(4) BGU. VIII, 1772, ll. 21-2, 31-2 ; Pr. Pt. II, No. 4301.

(5) Rec. Trav. 20, 1904, p. 50 ; Pr. Pt. II, No. 2125.

(6) P. Rhind I, 1, 2, 3 (bis), 4-8, 9 (bis), 11 (bis) ; II, 1, 3-7 ; Pr. Pt. II, No. 2180.

(7) S.B. v, 8394, ll. 3-4, 18 ; Pr. Pt. II, No. 2050.

(8) Archiv. 2, 1908, pp. 550-1, No. 32, ll. 6-8 ; Pr. Pt. II, No. 2053.

(9) S.B. I, 3448, ll. 8-9 ; Pr. Pt. II, No. 2054.

(10) S.B. I, 632, ll. 6-9 ; Pr. Pt. II, No. 2062.

معين التاريخ لأهل التاريخ

كوفيلة وينتمون جميعاً إل فئة « الخلفاء » . أما بطليموس^(١) (يناير ١٤٨) ، وكان قائد حامية في طيبة ، فإنه كان يحمل لقب « صديق » ، وهيراكلابديس^(٢) ابن ابولونيوس (٧٨) وكان قائد حامية في هرموبوليس ماجتا ، فإنه كان من فئة « الأصدقاء الأول » .

ونجد بين ضباط الفرسان ان بانيسكوس^(٣) (١٣٧/١٣٨) كان من فئة « كبار رجال الحرس الخاص » ودروتون^(٤) (حوالى ١٣٥) من فئة « الخلفاء » . وبتليموس^(٥) بن أجاتوكلس (١١٩) وايرنايوس^(٦) (١١٩) من فئة « الأصدقاء » وشخصا^(٧) نعرف الجزء الأول من اسمه وهو اول . . . (٨٦) من فئة « الأصدقاء الأول » .

ولزاء الأدلة التي استعرضناها يتضح لنا أمران : وأحدهما أنه يمكن القول بحون اسراف في رأى أنه من الجائز أن العسكريين كانوا أول الأمر أكثر امتيازاً من المدنيين بوجه عام في الألقاب التي حملوها غير أن هذه الميزة ، إذا كانت قد وجدت على الإطلاق ، لم يعد لها وجود عند نهاية القرن الثانى ، لكن لا يمكن القول بأنه على مر الزمن سبق المدنيون العسكريين في شوط الألقاب^(٨) . والأمر الآخر أنه قد حدث في قيمة ألقاب العسكريين هبوط يماثل ذلك الذى حدث في قيمة ألقاب المدنيين .

أما عن مسألة وراثة الألقاب فلنأنا إذا أخذنا مثلاً حالة سليوكوس وابنه ثيودوروس اللذين أشرنا إلى أنهما كانا حاكى قبرص ويحملان لقب « قريب الملك » ، نلاحظ أن ثيودوروس قبل أن يشغل هذا المنصب ويحمل

(1) P. Lond. 610 ; Pr. Pt. II, No. 2064.

(2) S.B. V, 8066, II. 77-8 ; Pr. Pt. II, No. 2058.

(3) S.B. III, 6184, II. 5.7 ; Pr. Pt. II, No. 2230.

(4) F. Amh. II, 36, II. 3-9 ; Pr. Pt. II, 2208

(5) UPZ. 161, II. 2-3 ; Pr. Pt. II, No. 2235.

(6) UPZ 161, I. 3 ; Pr. Pt. II, No. 2208.

(7) P. Tebt. 54, II. 1-3 ; Pr. Pt. II, No. 2229.

(8) Cf. Henne, op. cit., No. 184.

معين التاريخ لأهل التاريخ

هذا اللقب كان حاكم سلاميس وينتمى إلى فئة «الأصدقاء الاول». ولا يمكن أن نرى مبرراً للافتراض بأنه عندما أصبح ثيودوروس حاكماً لقبرص كلها ومنح لقب «قريب الملك» قد حصل على هذا اللقب نتيجة لوراثته عن أبيه لانتيجة لترقيته أكثر مما يمكن أن نرى مبرراً للافتراض بأنه قد ورث منصبه كذلك عن أبيه وهو افتراض غير مقبول على الإطلاق. وما يجدر بالملاحظة أنه في نقش⁽¹⁾ من عهد بطليموس الخامس ذكر بطليموس بن بطليموس وكان الأب ينتمى إلى فئة «الأصدقاء الاول» والابن إلى فئة «كبار رجال الحرس الخاص»، فإذا كان الابن قد بلغ بعد ذلك مرتبة أبيه فإنه لا يجوز القول بأن ذلك قد حدث نتيجة للوراثة. وفي نقش⁽²⁾ آخر ذكر ليونيداس بن فيلوتاس وكان كل من الأب والابن ينتميان إلى فئة «الأصدقاء الأول».

وهكذا يبين لنا أن الأدلة لاتوحى بأن الألقاب كانت تورث، وإن كنا لاستبعد إفادة الأبناء من مكانة آبائهم وإثارة أبناء أصحاب الألقاب على غيرهم.

(1) OGIS. 99 = S.B. V, 8274, ll. 2-3.

(2) S.B. 6665 ; B.S.A.A. 19, 1923, p. 123.

معين التاريخ لأهل التأريخ

حَسَنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ

—٤—

التَّائِيذُ الْمَعْجَزَاتِ بَيْنَ آثَارِ سُورٍ وَمَصَرِّ

معين التاريخ لأهل التأريخ

التأثير المعماري لآثار سوريا

بالرغم من وحلة الإقليمين منذ أقدم العصور ووجود منشآت أثرية للفرد الواحد في الإقليمين ، وتبادل الصناعات والمهنيين أحياناً ، فإن الباحث الآثاري إن وجد اتفاقاً في بعض الوحدات المعمارية لإيجدها في بقية التفاصيل ، وكان لفقد الكثير من آثار سوريا بسبب الزلازل وغارات التار والصليبيين ، أثر كبير في القضاء على كثير من الآثار، وعلى الوحدات التي كانت تؤيد التأثيرات المعمارية ، حيث لا نرى أثراً باقياً في سوريا مكتملاً . اللهم إلا القليل ، وخاصة الآثار العثمانية . وهذا ما نقرؤه أيضاً في تعليقات السادة ناشري تاريخ وخطط دمشق والصالحية رحلب ، وتأسفهم على فقد الكثير من المساجد والمدارس والخوانق^(١) الوارد ذكرها في تلك المؤلفات . أما القاهرة فبالرغم من ضياع الكثير من آثارها ، فلنأها احتفظت بأهم مجموعة كاملة من الآثار ، تساعد الباحث على دراستها في مختلف عصورها المتعاقبة عليها ، والشئ الوحيد الذي فقدت الكثير منه ، هو آثار العصر الأيوبي . فإنه رغم تعميره في مصر زهاء ثمانين عاماً ، أنشئت خلالها مجموعة كبيرة من الخوانق والمساجد والمدارس فلنأها اندثرت ، وقلما نجد فيها بقى منها

(١) انظر : «الدارس في تاريخ المدارس» . تأليف عبد القادر بن محمد النعمي المشقي ، تحقيق الأستاذ جعفر الحسي ، من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق - وه «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» تأليف المرحوم محمد راغب الطباخ . وه «القلعة الجوهريّة في تاريخ الصالحية» لابن طولون الصالحى ، تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان . وه «الذهب في تاريخ حلب» للأستاذ كامل بن حسين النزى . وه «خطط الشام» للمرحوم محمد كردعل .

معين التاريخ لأهل التاريخ

أثراً كاملاً ، ولكن ما تبقى منها يعطى فكرة ناضجة عن تطور تفاصيلها المميزة لها ، وكنت أمتنى النفس أن أجد منها ثروة في سوريا معقل الدولة الأيوبية . إلا أنها لم تكن أسعد حظاً من معاصرتها بمصر ، فهي مع كثرتها غير مكتملة التفاصيل ، مما جعلنى لا أعجب من تصريح مؤرخ حلب « المرحوم الشيخ محمد راغب الطباخ » ، حينما تكلم عن مدرسة الفردوس وقال : « إنها المدرسة الوحيدة التى حفظها^(١) لنا الأيام » .

وعلاوة على ذلك ، فإن وجه الشبه معلوم بينهما ، ولعل التأثيرات المعمارية متبادلة بين آثار دولتى المماليك ، ذلك أنه بعد انقراض الصليبيين من السواحل ، والقضاء عليهم ، أصبحت مصر والشام لا يتخللها أرض لغاصب ، ولا ينازعها سلطان لغير المسلمين ، وصارت كل واحدة متممة للأخرى .

ولإزاء تلك الوحدة الكاملة فى تلك الحقبة ، تبدلت الولاة والأمراء وكبار الموظفين والعلماء والقضاة يتقلون فى الوظائف بين مصر ودمشق وحماة وحمص وحلب وغيرها ، ولذلك نرى الكثير من أسماء ملوك دولتى المماليك وأمرائهم ، مسطورة على آثارهم بمصر والشام ، ما بين مساجد ومدارس وخواتم ، وعلى التحصينات ، ما بين قلاع وأسوار وأبواب . ووقفوا عليها أعياناً بمصر والشام ، ما زالت مسطورة بالوثائق الشرعية ، وهذا كان سبباً قوياً للتبادل الفنى بين مهندسى مصر والشام ، وبين الصناع ، ومن هنا وقعت التأثيرات المعمارية .

وحينما نستعرض آثار سوريا والقاهرة السابقة للدولة المماليك ، نجد تأثيرات جزئية متبادلة . ففى عز الدولة الأموية وصلت إلى مصر تأثيراتها المعمارية ، حيث أنشأ عبدالعزیز بن مروان الدار المذهبة بالفسطاط^(٢) سنة ٦٧ هـ ٦٨٦م ، وقد عظمتم نفقات إنشائها ، ونهض ولايتها بجماع عمروما بن زيادة

(١) إعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، فكتلى ص ٩٥٠٤٩ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وزخرف وتجلد ، فأقاموا به الصوامع الأربع ، وأحدثوا به المحراب المحفور اقتداء بالمحراب الذي أحدثه بالحرم النبوي الأمير عمر بن عبدالعزيز . وأقاموا فيه منبراً جديداً ومقصورة ، تقليداً للمقصورة المقامة بالجامع الأموي^(١)

ووصفوا أعمال قُرة بن شريك والى مصر ، بأنه هدم جامع عمرو بن العاص بأمر الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ هـ ٧١٠ م ، وزاد فيه ، ونمقه ، وحسنه على عادة الوليد بن عبد الملك في بناء الجوامع .

وفي ظل الدولة العباسية قام عبد الله بن طاهر ، والى مصر من قبل الخليفة العباسي المأمون ، بالزيادة في جامع عمرو سنة ٢١٢ هـ ٨٢٧ م بمقدار النصف الجنوبي^(٢) وكسا شبائكه وطبائى عمده بأخشاب حافلة بزخارف متأثرة بالزخارف الأموية ، وقد انتقل تأثيرها إلى الكنائس المعاصرة ، أبي سيفين بالقسطنطينية ، وأبي مقار بوادي النطرون .

وكان للشبائيك المفرغة بقصر الحير الغربي^(٣) ٧٢٧ م المكتشف ببادية الشام (جنوبي غربي تدمر) أثر كبير على الشبائيك المفرغة في الجامع الطولوني ، وللشبائيك الرخامية في الجامع الأموي تأثير على الشبائيك الرخامية في فتحات مقياس النيل بالروضة ، وبعض الكنائس المسيحية بالقسطنطينية .

وكما وجد بيت المال في المسجلين الأموي بدمشق ، والكبير بحماة ، فقد وجد كذلك في جامع عمرو^(٤) منذ سنة ٩٧ هـ ٧١٥ م أيام سليمان بن عبد الملك . وللعصر الطولوني تأثير على محراب جصّي بسارية بالإيوان القبلي بصحن الجامع الأموي^(٥)

(١) المواعظ والاعتبار ، المعري ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٢) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) انظر الصور رقم ١ - ٢ .

(٤) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٥) انظر الصورة رقم ٤ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وللفسيفساء في سوريا تأثير على الفسيفساء التي وجدت بآثار مصر في الحقة من سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م إلى سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م ، والموجودة في محاريب مساجد وقباب ، شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م ، والصالح نجم الدين سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م ومدرسة المنصور قلاوون سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م ، ومحاريب جامع أحمد بن طولون سنة ٦٩٦ هـ ١٢٩٦ م ، ومحاريب المدرستين : الطبرسية سنة ٧١٩ هـ ١٣١٩ م ، والاقباوية سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م الملحقتين بالجامع الأزهر ، ومحاريب مسجد الست حلق سنة ٧٤٠ هـ ١٣٤٠ م^(١) ، ونقوشها ما بين أشجار بفواكهها ، وفروع زخرفية ملهبة وملونة .

وإذا ما استعرضنا مآذن سوريا القديمة ، لوجدنا أكثرها مربعا . ومن المرجح أن صوامع جامع عمرو التي أقامها عليه مسلمة بن مخلد سنة ٥٣ هـ ٦٧٢ م كانت مربعة . وكذلك كانت وظلت المنارة في دولتي الفاطميين والأيوبيين ، وأول الماليك مربعة إلى الدورة الأولى ، أسطوانية أو مشتمة البدن فوقها ، وتنتهي بنخوة كروية أو مخوصة .

وفي ظل الدولة الفاطمية شاعت المحاريب الخشبية المتقلة ، بجامع عمرو وغيره ، باق منها بمتحف الفن الإسلامي ، محراب مشهد السيدة نفيسة ، (نهاية القرن الخامس الهجري ، نهاية الحادي عشر الميلادي) ومحراب الأزهر الذي أمر بعمله الأمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ ١١٢٥ م ، ومحراب السيدة رقية سنة ٥٢٧ هـ ١١٣٢ م ، وقد سرى هذا التأثير إلى حلب^(٢) حيث يوجد بالمدرسة الحلوية محراب خشبي ثابت ، منقوش نقشا دقيقا ، ومكتوب ، وهو مؤرخ بسنة ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م وعليه اسم صانعه « أبو الحسن محمد بن الحراني » وهو من روائع صناعة التجارة والحفر في الخشب . ولكنه لا يصل إلى مستوى دقة الصناعة وجهالها في محراب السيدة رقية .

(١) حسن عبد الوهاب - تاريخ المساجد الأثرية - ج ١ ص ٢٧ .

(٢) انظر الصور رقم ٥ - ٦ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وكان لمحراب المدرسة الحلوية صنو في مسجد قلعة حلب مؤرخ بسنة ٦١٠ هـ ١٢١٣ م سرق سنة ١٩٢١ م . ويقفهم من وصف ابن جبير لمحراب الجامع الأموي الكبير بحلب : - أنه أيضاً كان من الخشب المنقوش والمطعم بالسن (١) .

وإذا ما قارنا القباب ، ما بين سوريا ومصر في القرن السادس الهجري نجد فرقاً كبيراً ، فالقبة الفاطمية في مصر كانت في النصف الأول من هذا القرن مضلعة من الخارج بجوقة الأضلاع من الداخل ، ومقرنصها من حطين . كما نراه في قباب أوائل القرن السادس الهجري - قبة - السيدة عاتكة سنة ٥١٤ هـ ١١٢٠ م ، وقبة السيدة رقية سنة ٥٢٧ هـ ١١٣٣ م ، وقبة يحيى الشيب سنة ٥٤٥ هـ ١١٥٠ م . ومنها ماشحن باطنها بزخارف وكتابات جميلة . مثل قبة الحافظ لدين الله بالجامع الأزهر ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ ١١٢٩ - ١١٤٩ م . وفي تلك الحقبة نرى القبة فوق مدخل بیمارستان نور الدين بدمشق سنة ٥٤٩ هـ ١١٥٤ م ، لها طرز خاص ، مسلوقة مقرنصة مدرجة من الخارج والداخل . ومثلها قبة مدرسته (٢) ٥٦٧ هـ ١١٧٢ م ، وكلاهما متأثر بقباب العراق ، كما نرى قبة صلاح الدين سنة ٥٩٢ هـ ١١٩٥ م مضلعة تضليعا بسيطا من الخارج ومجوفة الأضلاع من الداخل ، ومضاهايات الرقبة من الخارج عقود محارية ، ومقرنصها من حطة واحدة . وعلى مثالها قبة المدرسة الركنية ١٢٢٤ م والقباب الأيوبية - العزيزة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م ، والدحاح (٣) بدمشق .

وإذا قارنا التابوت الخشبي بقبة صلاح الدين - وهو تابوت جميل دقت حشواته بالألوان الدقيقة ، وكتب حوله بالخط الكوفي آية الكرسي - بمعاصره تابوت الإمام الشافعي ٥٧٤ هـ - ١١٧٨ م والمصنوع في دولة صلاح الدين .

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٥٣ طبع ليدن .

(٢) انظر الصورة رقم ٧ .

(٣) انظر الصور رقم ٨ - ٩ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

حور بما كان بأمره، نجد أن تابوت الشافعي أدق منه بكثير، وأن الخط الكوفي فيه أجمل وأقن، وأن سقاسات تابوت صلاح الدين عريضة، والسقاسات (الأنانات) العريضة تؤثر على رونق الحشوات، وعلى تابوت الإمام الشافعي اسم صانعه «عبيد بن معالي». ولعله من أسرة ابن معالي التي اشتركت في عمل المنبر^(١) الذي أعده نور الدين الشهيد في حلب سنة ٥٦٤هـ ١١٦٨م^(٢) للمسجد الأقصى ونقله إليه صلاح الدين بعد فتح القدس، حيث نقرأ عليه ضمن أسماء صناعه اسم (سلمان بن معالي)، وهو منبر من روائع صناعة النجارة والحفر والتطعيم، توافر على صناعته نجارون حلييون يشهد لهم بالسبق والبراعة في تلك الصناعة، وهم: حميد بن ظافر الحلبي، وفضائل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي.

وفي سنة ١٩٣٩، استخرجت من طابق تحت أرضية مقصورة الإمام الحسين، تابوتاً خشبياً من ثلاثة أجناب، لم تكتحل به عين أحد من الأتاريين قبل، جمع بين الخطين النسخي والكوفي، ودقت حشواته بزخارف غاية في الدقة، هو صنو لتابوت الشافعي ومعاصر له. ويحتمل أن يكون صانعها واحداً. كما يحتمل أيضاً أن يكون الأمر بعملهما صلاح الدين.

وبقية الآثار الأيوبية - على قلبها في مصر - لها الصدارة، فهذه ذى قبة الإمام الشافعي التي أنشأها الملك الكامل. سنة ٦٠٨ هـ ١٢١١م، امتازت بفخامتها وضخامتها وبدقة زخارفها الحصية، وبالزخارف الخشبية في طرازها وأوتارها، ومصاريع أبوابها الخشبية والنحاسية، وبدقة وجمال تابوت أم الملك الكامل، الذي لا يقل روعة عن تابوت الإمام الشافعي^(٣)، وبجمال الخط الأندلسي الكوفي فيها، إنها قبة وحيدة في طرزها في مصر وسوريا.

(١) انظر الصور رقم ١٠ - ١٢.

(٢) تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ١٠٨.

(٣) الصورة ١٤١٣.

معين التاريخ لأهل التاريخ

ونلاحظ في مدخل إيوان وتربة السادة الثعالبية سنة ٦١٣ هـ^(١) ١٢١٦م تنوعاً غريباً في فخر المربعات الحجرية حول الباب . وإقامة إيوان فوق القبر ، تأثر محرابه الجصى بالمحاربي الفاطمية، وكان به تابوت من الخشب اللقيق النقش نقلت بقاياها إلى متحف الفن الإسلامى .

أما باب المدرسة الصالحية^(٢) ٦٤١ هـ ١٢٤٣م ، فإنه من روائع النقش^(٣) في الحجر ، ولم أر له مثيلاً في سوريا ، ومثله أعتاب الشبايك في تلك المدرسة فقد تنوعت زخارفها .

وفي زخارف منارة المشهد الحسينى سنة ٦٣٤ هـ ١٢٣٧م ، نرى تأثيرات أندلسية ، وفي طرز منارة المدرسة الصالحية نرى تنوعاً يميزها عن المنارة السورية والفاطمية .

ولقبة الملحقة بهذه المدرسة والتي أنشأتها شجر الدر لزوجها الصالح نجم الدين سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠م طرز خاص^(٤) ، وقد بنيت قاعدتها بالحجر والقبّة بالأجر ، وقد تعددت حطات مقرنصها ، واشتملت على أقدم شبايك ذات جص وزجاج ، كما اشتملت على فسيفساء مذهبة بالمحراب ، وعمد نادرة الألوان بقواعد وتيجان عربية ، وامتازت ببساطة وجمال تجارة مصاريع الأبواب والشبايك والدواليب ، والدقة في حشوات التابوت . وبالشبايك النحاسية المصبوبة . كأقدم نموذج .

أما قبة الخلفاء العباسيين حوالى ٦٤٠ هـ ١٢٤٣م ، وشجر الدر^(٥) ٦٤٨ هـ ١٢٥٠م فقد بنيتا في أواخر العصر الأيوبي ، ولهما طرز خاص اقتصر

(١) انظر الصورة ١٥ .

(٢) انظر الصورة رقم ١٦ .

(٣) العهدة الإسلامية ، العصر الأيوبي بقلم حسن عبدالوهاب- مجلة العهدة العدد ٨٧، سنة ١٩٤٠ .

(٤) انظر الصورة رقم ١٧ .

(٥) انظر الصورة رقم ١٨ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

ظهوره على مصر ، وامتازنا بدقة الزخارف الجصية^(٢) البالغة حد الروعة وتعدد حطات المقرنص ، كما امتازت قبة الخلفاء العباسيين بنقش وتذهيب زخارف باطن القبة والمقرنصات، وبالخط الكوفي الأندلسي ، وببساطة وجمال تجارة التوابيت .

وامتازت قبة شجر الدر بطرزها، مثل قبة الخلفاء العباسيين ، وبالفسيفاء المنحبة في محرابها ، وبالطراز الخشبي المكتوب بالخط الكوفي .

وعلى طرز هاتين القبتين قبة أبي الغضنفر، نهاية العصر الأيوبي، وامتازت عنهما بأنها مضلعة من الخارج مجوفة ما بين الأضلاع من الداخل^(٣) .

أما قلعة صلاح الدين بمصر. سنة ٥٧٩ هـ ١١٨٤م، فلها دون عظمة قلعة دمشق وحلب ، ولا عجب فسوريا غنية بأهم مجموعة من القلاع الصليبية والإسلامية ، مما يجعل لها الصدارة في العاثر الحربية .

وإذا ما قارنا الأبواب المصنعة بالنحاس، فيما بين باب بيارستان نورالدين الشهيد ٥٤٩ هـ ١١٥٤م بدمشق ، وبين بابي الصالح طلائع ٥٥٥ هـ ١١٦٠م والإمام الشافعي ٦٠٨ هـ ١٢١١م بمصر، نجد تفاوتاً كبيراً فيما بينهما ، إذ الأول مكسو بالنحاس ، وحددت تقاسيم حشواته السطحية المسامير، وفي الآخرين حشوات مفرغة بأشكال زخرفية فوق صفحة من النحاس ، زخارفها ما بين هندسية ومورقة . وأيضاً فإن الباب المصنوع بالنحاس للمدرسة الشاذليّة (الشيخ معروف بحلب) سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣م دون الأبواب المعاصرة له ، فقد اقتصرت حليته على تقاسيم معينة يتوسطها مسمار رأسه مخوصة . وهكذا نرى أن مصر امتازت عن سوريا بتنوع جميل في كسوة مصاريع الأبواب النحاسية منذ العصر الأيوبي إلى أوائل العصر العثماني . بينما نراها في سوريا جامدة لم تتطور ، كما نشاهده في الأبواب السابق الإشارة إليها وفي بابي

(١) انظر الصورة رقم ١٩ .

(٢) انظر الصورة رقم ٢٠ . وكانت هذه القبة معتبرة لدى الآثاريين فاطمية إلى أن حققها واعتبرتها أيوبية .

معين التاريخ لأهل التاريخ

خان خير بك^(١) سنة ٨٩٢٨ هـ ١٥١٤ م وخان الوزير سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢ م بحلب . وعلى مثال باب البيارستان النورى بدمشق عملت بمصر مصاريع شبابيك المدرسة السعدية ٧٢١ هـ ١٣٢١ م ، وقطت نُزِلَت الأشرطة النحاسية فى الخشب فحددت الأطباق الاثنا عشرية ، وهو مثال وحيد .

ولنستعرض آثار تلك الحقبة فى مدينة حلب ، تلك المدينة التى كانت وما زالت حافلة بمجموعة من الآثار ، تمثل حقبات تاريخها تمثيلا غير كامل ، نرى أن مداخل المدارس أمثال ، الشاذنجية ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م ، والظاهرية البرانية ٦١٠ هـ ١٢١٣ م ، والسلطانية^(٢) ٦١٣ - ٦٢٥ هـ ١٢١٦ - ١٢٢٧ م ، سبقت مصر بالمداخل المبنية بالحجر ذات المقرنصات المنتهية بطاقيّة محوّصة .

وإن القاعة بمطبخ العجمى (القرن الثالث عشر الميلادى) إن اتفقت مقرنصات قبتها مع مقرنصات قبة أم الصالح بمصر سنة ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م ، إلا أنها انفردت بطرز عقودها^(٣) الوحيدة المفرغة من وجهها بشكل شرفات . وإذا ما وجدنا العقد المحيدى (المفصص) فى العادلية الصغرى سنة ٦١٨ هـ ١٢٢١ م بدمشق وفى غيرها ، فقد وجد هذا العقد أولا فى باب الفتوح بمصر سنة ٤٨٠ هـ ١٠٨٧ م وشاع بعده فى آثار أخرى مملوكية .

وثمة ظاهرة أخرى فى آثار حلب ، هى عقود المحارب وبعض المداخل^(٤) فلأنها ذات طيات متداخلة ملونة فى الرخام ، نجدتها فى محراب مدرسة الفردوس سنة ٦٣٣ هـ ١٢٣٥ م . وهو أجملها وعليه اسم صانعه « حسان بن عنان » ، ومحراب المدرسة الشاذنجية سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م وجامع الهرامية ، كما نراه أيضا على باب الحجاز فى الجامع الكبير ، وعلى الباب المقول حديثاً إلى مطبخ العجمى . وفى غيرها من مساجد حلب .

(١) انظر الصور ٢١ - ٢٢ .

(٢) الصورة رقم ٢٣ .

(٣) انظر الصورة رقم ٢٤ .

(٤) انظر الصور رقم ٢٥ - ٢٦ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

هذا العقد الظريف رأيته بمصر في الباب الحجري لرباط ازدمر^(١)
(ملفن مصطفى باشا حاكم اليمن) حوالى سنة ١٢٦٦ هـ ١٢٦٧ م ، رأيته
في دائرة رخامية بباب الخانقاه المهندارية ٨٧٢٥ هـ ١٣٢٥ م ، رأيته في عقود
شبايك ودوائر رخامية بواجهة قبة مدرسة السلطان حسن بمصر سنة ٧٥٧
- ٧٦٤ هـ ١٣٥٦ - ٦٢ م

ورأيت في واجهة جامع القيقان بحلب ، وتنسب بقاياه إلى القرن الثالث
عشر الميلادى ، عمد الرخام مدججة كيلة في البناء ، وهذا شائع في بناء
التحصينات في مصر في العصر الفاطمى ، وفي جامع الصالح طلائع ٨٥٥٥
١١٦٠ م ، وفي جامع الظاهر ببيرس البندقدارى ٦٦٥ - ٦٦٧ هـ ١٢٦٦ - ٦٩ م
وفي قلعة قايتباى بالإسكندرية سنة ٨٨٨٤ هـ ١٤٧٩ م ورشيلسنة ٨٨٧٦ هـ ١٤٧١ م.

ورأيت في متحف دمشق حشوات خشية فاطمية ، تطابق معاصرتها في
مساجد مصر وفي متحف الفن الإسلامى . كما شاهدت فيه محاروب وزخارف
جصية بها كتابات كوفية منقولة من مسجد (بالس) على القرات من القرن
الخامس الهجرى ، تطابق معاصرتها الفاطمية بمصر .

ورأيت في مشهد الشيخ محسن بحلب ، والذي بناه سيف الدولة بن حمدان
سنة ٨٣٥١ هـ ٩٦٢ م نابوتا خشياً جميلاً (القرن ١٣ م) حليت قوائمه وحواضه
بكتابات كوفية ونسخية توسطت قناطره قناديل وشهدانات ، وقد تشابهت
كتابه الكوفية مع الكتابات الجصية المختلفة من دار الحديث الكاملية بمصر
سنة ١٢٢٢ هـ ١٢٢٥ م . وغيرها

وفي هذا المشهد مصراع من الحجر الأسود قطعة واحدة ، له مثيل بمصر
في مشهد الإمام زيد بن على المعروف بزين العابدين سنة ٨٥٤٩ هـ ١١٥٤ م

(١) حسن عبد الوهاب - العارة الإسلامية (مصر الممالك البحرية) مجلة العارة العدد

معين التاريخ لأهل التاريخ

وامتازت حلب بوجود أكل بيارستان بها ، هو بيارستان أرغون الكامل سنة ٨٧٥٥^(٢) ١٣٥٥م ، وفي هذا البيارستان طرائف فنية مثل عقدي الإيوانين الشرق والغربي ، فإن الجفت المحيط بكلا العقدين حينما وصل إلى منتصفه ارتفع وكون خطا أفقيا تلاقى مع جفت العقد المقابل له فتكون خصر شغل فراغه بدائرة زخرقية ، كما توسط الجفت فوق الخصر حطة مقرنص وفوقها دائرة زخرقية ، وهنا لم أشاهده إلا في هذا الأثر ، وهناك ميزة أخرى ، فإن جميع عقود الإيوانات محمولة على عمد لها تيجان عربية .

ولمصر السبق في التيجان العربية . مبسطة في الدولة الفاطمية ، مزخرفة في الدولة الأيوبية وفي دولتي المماليك ، ومنها نماذج قيمة تعتبر دعامة للتاج العربي ، نجدها في محراب قبة الصالح نجم الدين ، وفي مقصورة الإمام الليث ، وفي محراب قبة ألماس ، وفي مدرسة السلطان حسن ، ومحراب مسجد المؤيد شيخ .

كما امتازت^(١) أيضاً بإنشاء مراحض عامة ، رأيت أحدها في سوق المناديل بحلب ، يرجع إنشاؤه إلى القرن الثاني عشر الميلادي ، ووجدت سنة ٧٥٨هـ ١٣٥٧م ، ولدخله مقرنصات دقيقة بدلايات ، ولعل حلب انفردت بهذا النوع من المنشآت الصحية .

وثمة ظاهرة أخرى في آثار حلب هي : نقش أسماء الكثيرين من نوايع الصنائع على منتجاتهم . فقد وقفنا على أسماء صنّاع ، محراب المدرسة الحلوية ، ومنبر الجامع الكبير ، ومحراب مدرسة الفردوس وأثرت إليهم ، وكذلك نقش بناء منارة الجامع الكبير اسمه عليها بالخط الكوفي بما نصه : « صنعة حسن بن معاذ الساماني سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة » .

(١) أنظر الصور رقم ٢٧ - ٢٨ .

(٢) الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب للمرحوم محمد أسعد طلس ص ١٢ ، ٩٩ -

معين التاريخ لأهل التاريخ

وعلى باب المدرسة الشعبية سنة ١١٤٦هـ ١١٤٦ م اسم البناء بمائنه وصنعة سعيد المقدسى بن عبدالله .

ونقرأ أيضاً على باب المدرسة الشاذليّة (الشيخ معروف) سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م ، وعلى محراب مشهد الإمام الحسين (آخر القرن السادس الهجرى - آخر الثانى عشر الميلادى اسم البناءين بما نصه « عمل أبى انرجاء وعبدالله ابنى يحيى الكنانى رحمهما الله » .

العصر المملوكى :

إذا ما استعرضنا آثار العصر المملوكى فى الإقليمين ، نرى التأثيرات كثيرة للأسباب السابق شرحها .

وها هو ذا مدخل المدرسة الظاهرية بدمشق ٦٧٧ هـ ١٢٧٧ م وعليه اسم جهنم « إبراهيم بن غنيم » يتفق مع مدخل المدرسة الظاهرية بمصر ٦٦٣ هـ ١٢٦٣ م . قبل هلمه

ولما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بالقلعة ٧١٣ هـ ١٣١٣ م قلده فيه القصر الأبلق بدمشق ، وما زالت بقاياه موجودة بالقلعة بأحجارها الملونة ، ومن هنا تأثرت مباني مصر فى العصر المملوكى بالجمع بين الحجرين الأبيض والأصفر ، أو الأبيض والأحمر أو الأسود فى مداخل المساجد ووجهاتها ، وفى تليس بدناراتها ، وعبر عنه فى الحجج « بالحجر المشهر » .

ولما أنشأ الناصر محمد بن قلاوون مسجده بقلعة^(١) الجبل ٧٣٥ هـ ١٣٣٥ م تأثر تصميم عقوده حول الصحن مع عقود التخفيف فوقها بالعقود حول صحن الجامع الأموى بدمشق .

ولما أراد الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون إنشاء ألدهيشة بالقلعة فى سنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٥ م ، بلغه أن الملك المؤيد عماد الدين صاحب

(١) انظر الصور رقم ٢٩ - ٣٠ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

حماه ، عمر بجاه دهيثة لم بين مثلها ، رغب في مضاهاتها وبعث بالمهندس أجميخ^(١) لمأبنة دهيثة حاه والاقباس منها ، وكتب إلى نائب حلب وإلى نائب دمشق بحمل ألفى حجر أبيض وألفى حجر أحمر من حلب ودمشق إلى القلعة ، وأمر بإحضار الصناع للعمل .

وعمل في قصر الأمير قوصون سنة ١٣٤٠ ٨٧٤٠ م صناع رخام من الشام ، منهم أحمد^(٢) زغلش الشامي ، نقرأ اسمه مسطوراً إلى الآن على باب القصر .

وفي متحف الفن الإسلامي مجموعة من الخزف المملوكي موقعة باسم (الشامي) . كما يوجد به لوح من القاشاني مرسوم عليه الحرم المكي ومشاعر الحج موقع عليه اسم صانعه « محمد الشامي الدمشقي » سنة ١١٣٩ ١٧٢٧ م . وباستعراض المداخل في دور القرآن والمدارس والمساجد في دمشق وحلب في دولتي المالك ، نجدها اتفقت رسماً وزخرفاً وتكسية بالرخام ، مع معاصرتها بالقاهرة ، وهي ما بين مقرنصات بدلايات ، ومنها ماهو بلدي وماهو حلبي ، مزررة الاعتبار تعلوها دوائر أو مربعات ملبسة بالرخام الملون^(٣) .

و كذلك فإن بقايا كسوة الرخام في المحاريب والوزرات بدمشق ، توحى بتوجيهها في القطرين ، ومنها أيضاً نماذج طريفة في محاريبها ، نراها في محاريب الظاهرية والأمير تنكر وواجهة التربة الأفريدونية ، والمدارس : الأرغونية والصابونية والجمعمية بدمشق سنة ٨٨٢٤ - ١٤٢١ م . وبهذه المدرسة وزرة رخامية دقيقة مطعمة بالصدف ، وطرار زخامي جمع بين الخطين الكوفي والنسخي في سطر واحد ، به آيات من القرآن . والجمع بين الخطين الكوفي والنسخي في سطر واحد أمر نادر سبقت به مصر ، فقد وجدت في طراز رقة قبة الظاهر برقوق

(١) الواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية لحسن عبد الوهاب ص ٥٢٣ مجلة المجمع

العلمي المصري المجلد ٣٦ (١٩٥٣ - ١٩٥٤) .

(٣) انظر الصور رقم ٣١ - ٣٣ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

بخانقاه فرج بن برقوق ٨٠٣ هـ ١٤٠٠ م سطرأ مكتوبا فيه بالخطين (١)
النسخى والكوفى آيات من القرآن وتاريخ إنشاء القبة ، واسم الأمر بإنشائها
والمنفذ لها ، والمهم فى هذا الطراز أن التاريخ وما يتعلق به هو الذى كتب
بالخط الكوفى وهو أمر نادر جدا فى دولتى المماليك .

وهنا أتت الفرصة لاشيد بمجهود المديرية العامة للآثار والمتاحف فى
إصلاح هذه المدرسة وغيرها من الآثار بلمشق . وخاصة اصلاح التسييساء
بالجامع الأموى بلمشق . وأهنى السيد مديرها على نجاحه فى جمع شمل بقايا نواحي
صناع العارة والفنون ، وتكوين مدرسة منهم .

وإذا كانت تفاصيل الرخام الباقية قليلة فى الشام ، فلأنها فى آثار القاهرة
الملوكية متوفرة ، ومنها نماذج كثيرة فى الوزرات ، والمحاريب ، والأرضيات ،
والفساق ومنها الكثير بلغ غاية الروعة فى الدقة وتطعيم الصدف ، وكما وجدت
فسيفساء فى بعض المحاريب الملوكية بلمشق ، فكذلك وجدت بمصر فى المحاريب
الأيوبية والملوكية ، وقد سبقت الإشارة إليها .

وإذا كانت آثار مصر الملوكية قد وجدت بها محاريب جصية بجانب الرخامية
مثل محراب قبة أصلم السلحدار سنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٥ م ، ومحراب خانقاه أم
أنوك قبل سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٩ م . فقد رأيت منها نماذج قيمة فى جامع
القسطنى بحلب سنة ٧٥٠ هـ ١٣٥٠ م .

وإذا كانت مدرسة السلطان حسن ٧٦٤ هـ ١٣٦٤ م قد اشتهرت بطرازها (٢)
المكتوب بالخط الكوفى المزخرف ، فقد رأيت شيئا له بطراز مسجد بلبغا بلمشق
سنة ٧٤٧ هـ ١٣٤٧ م ، وهو طراز جميل فى زخرفته وقاعدة كتابته الكوفية .
وعلى ذكر الزخارف الجصية ، أذكر أن القاهرة امتازت بوجود ثروة
منها لاتنصاهى ، فى الجامع الطولونى ، وفى الأزهر ، وفى المحاريب الفاطمية ،

(١) انظر الصور رقم ٣٤ - ٣٥ .

(٢) انظر الصور رقم ٣٦ - ٣٧ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وفى الآثورة الأيوبية والمملوكية ، ويلخصل فيها مجموعة الشبابيك الحصية البالغة حد الروعة . وكما وقعت على تلك الزخارف تأثيرات أندلسية منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد وقعت كذلك على معاصرتها بلهشقى والصالحية .

وفى مسجد الظاهر ببيرس البندقدارى بمصر : ظهر عقد لطيف ذو (١) طيات دالية انتشر بعده فى مدرسة الظاهر بقوق سنة ٧٨٦-٧٨٨ ١٣٨٤ ١٣٨٦م ، وفى خانقاه فرج بن بقوق ٨١٣ ١٤١١م - رأته أيضاً حول عقد مدخل جامع الفتى . (المدرسة الصالحية التى انشأها أحمد بن يعقوب ابن الصاحب) بحلب سنة ٧٥٠ ١٣٥٠م .

أما أعمال التجارة فى هذا العصر فقد سارت جنباً إلى جنب فى الإقليمين ، فالمنبر فى جامع حاه وعليه اسم صانعه « على مكى » يطابق صنوه فى مصر فى مسجد تغرى^(٢) برى بالصليبية وغيره ، ومنبر الجامع الكبير فى حلب ، الأمر بعمله الناصر محمد بن قلاوون فى أوائل القرن الثامن الهجرى . الرابع عشر الميلادى . وعليه اسم « صانعه محمد بن على الموصلى » يطابق مثله المعاصر له فى مساجد الماردانى سنة ٧٤٠ ١٣٤٠م ومنجك اليوسفى ٧٥٠ ١٣٥٠م ، والست حدى سنة ٧٤٠ ١٣٤٠م بمصر ، وهكذا بقية التجارة فى هذا العصر من منابر وأبواب ومقاصير .

وكما وجدت فى سوريا منابر رخامية مملوكية ، وجد بمصر أيضاً مثلها فى مسجد أقى سنقر ، ومدرسة السلطان حسن .

وإذا قارنا المساجد المنشأة على الطراز العثمانى فى سوريا ومصر ، نجدتها تتفق وتختلف ، تتفق فى تصميم بعضها وفى طراز المنارة وتتفق فى المنابر^(٣)

(١) انظر الصور رقم ٣٨ - ٣٩ .

(٢) انظر الصور رقم ٤٠ - ٤٣ .

(٣) انظر الصور رقم ٤٤ - ٤٥ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

الرخمية طرزا وزخرفا ، كما يبلو من مقارنة منبرى مسجدى درويش باشا سنة ١٥٨٢ هـ ١٥٧٤ م وسان باشا سنة ١٥٩٥ هـ ١٥٨٦ م بلمشق ، بمنبر ومحراب مسجد الملكة صفية بمصر سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م ، واتفقا في طراز العقود المتوترة وفي المحاريب والحنايا المسلوقة . وتختلف في بعض التفاصيل .

وكما وقعت على ما أنشئ منها في مصر تأثيرات مصرية من كتابة بالخط الكوفي ، وكسوة الرخام بالمحاريب والوزرات ، كالذى حدث في مسجد سليمان باشا بالقلمة سنة ٩٣٥ هـ ١٥٢٨ م ، فلنأخذ كذلك في سوريا ، حيث نرى مدخل مسجد سنان باشا بلمشق سنة ٩٩٥ هـ ١٥٨٦ م متأثراً بالعناصر الملوكية وقطع زاد عليها اللوحة القيشانية الجميلة ذات أعواد السرو . وكذلك كتب في قاشاني شعاع الشبايك حول الصحن آية الكرسي بالخط الكوفي المزهر ، وكسى المحراب بأشرطة من الرخام الدقيق ، وفي هذا المسجد أجمل مجموعة من القاشاني اللمشقي .

وامتازت مساجد هذا العصر بلمشق ، بمجموعة القاشاني اللمشقي ، ومنه مجموعة هامة في مساجد درويش باشا سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م ، والسلطان سليمان القانوني ٩٦٨ هـ ١٥٦٠ م ، ووزرة قبة صلاح الدين سنة ١٠٢٧ هـ ١٦١٧ م ، وغيرها^(١) .

وكما امتازت دمشق بهذا القاشاني فقد امتازت مساجد وأسبلة ودور مصر في هذا العصر بأكبر وأهم مجموعة من القاشاني التركي^(٢) - كوتاهية وروص - ومنه أكبر وأهم مجموعة في مسجد إبراهيم أغا سنة ١٠٦٢ هـ ١٦٥١ م ، وسبيل عبد الرحمن كتحذا ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م وغيرهما كثير . أما الآثار المنشأة بجلب في هذا العصر فمنها ما تأثر بالآثار العثمانية مثل مدرسة خسرو باشا والبهرامية ، ومنها ما تابع الطرز السابقة لها ، مثل

(١) الصور رقم ٤٦ - ٤٧ .

(٢) حسن عبد الوهاب - القاشاني في الآثار العربية بمصر . مجلة الهندسة ، أول ديسمبر

سنة ١٩٣٤ وفيه إحصاء كامل لجميع الآثار الموجودة فيها قاشاني .

معين التاريخ لأهل التاريخ

مسجد الطواشي سنة ٩٤٤ هـ ١٥٣٧ م - فإن المدخل حلى بمقرنصات لها دلايات نقش طاقها السفلى ، وحلى عتبة بمزورات ، كما حليت أعتاب الشباييك بزخارف جميلة ، وهذا ما حدث في تكية سليمان باشا بمصر سنة ٩٥٠ هـ ١٥٣٤ م فإن مدخلها وأعتاب شباييكها على طرز العبارة المملوكية في مصر ، بينما تصميمها الداخلى عثمانى بحت .

على أن أهم ما يسترعى النظر في واجهة مسجد الطواشي ، تلك العمدة الجميلة في نواصي الشباييك بقواعدها وتيجانها ، فقد فرغت العمدة من الوسط بأشكال زخرفية ، ومثلها عمدة شباييك تكية المولوية بحلب سنة ٩٢٧ هـ ١٥٢٠ م ، ولهذه التكية منارة لطيفة جمعت بين البساطة والجمال جدت سنة ١٢٧٨ هـ ١٨٦١ م ، وهى مثال مبسط لمن يرغب في إنشاء منارة صغيرة مبسطة .

أما الخانات والأسواق في دمشق ، وفي حلب فلها المكانة الأولى ، وخاصة حلب ، فإنها منذ القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى استرعت نظراً ابن جبير فأطنب في وصفها ووصف حوانيتها ، وهى أسواق كاملة يرجع الكثير منها إلى القرن السادس عشر الميلادى ، وقد جمعت شتى السلع والصناعات ، تقى قاطناتها الحر والبرد والمطر ، واحتفظت بجميع تفاصيلها ، وكذلك الخانات فقد بزت خانات مصر الباقية من العصر العثمانى ، مثل خان أسعد باشا العظم بدمشق سنة ١١٦٦ هـ ١٧٥٢ م ، فإنه خان عظيم له مدخل فخم وعقود شاهقة تعلوها قباب لها مناوور .

وعلى ذكر القباب ذات المناوور^(١) أذكر أن مصر سبقت أوروبا والأقطار الإسلامية بالقباب ذات المناوور فقد بنيت قبة المنوفى ، نهاية القرن^(٢) الثالث عشر الميلادى (بمنور) «قبة صغيرة تعلوها» . وبذلك يكون مهتمها قد

(١) انظر الصور رقم ٤٨ - ٤٩ .

(٢) حسن عبد الوهاب ؛ دولة المماليك البحرية ، تكتلة عصر الناصر محمد بن قلاوون ؛

مجلة المآلة العدد ١ - ٢ سنة ١٩٤٢ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

سبق عصر «برونولسكى» سنة ١٤٢٠م الذى نسب اليه فى وقت ما اختراع هذا النوع من القباب بمدينة البندقية.

وفى حلب خان ، خيربك سنة ٩٢٨ هـ ١٥١٤ م وهو خان كبير يلقى عليه مصراعان مغشيان بالنحاس عليهما رنك المشىء . كما وجد هذا الرنك على واجهة الخواصل حول الحوش ، والقسم الداخلى الباقى من الخان يطابق معاصريه مع خانات مصر .

أما خان الوزير سنة ١٠٩٣ هـ ١٦٨٢م فهو أحفل منه ، بل أحفل خانات حلب وواجهته مكسوة بالرخام الملون ، وله مصراعان من النحاس بهما خوخ ، كما أن تفاصيل زخارف المدخل الداخلية غاية فى الروعة ودقة النقش فى الحجر حول الشبايك ، ومثله خان الصابون «أزدر» القرن السادس عشر الميلادى ، فقد حوى من جبال النقش حول الشبايك وسحول العقود ، والعمد الصغيرة المفرغة والمنقوشة ، وهذه التفاصيل تميزها على معاصرتها بمصر .

هنا ولا ننسى عظمة الفنادق والخانات التى كانت بمصر فى القرن الرابع عشر الميلادى مثل خان مسرور ، ووكالة قوصون وغيرها ، ولا ننسى أهمية مابقى منها من القرن الخامس عشر وأول السادس عشر الميلادى مثل وكالات السلطان قايتباى ، والسلطان الغورى . ولكن مع تفاوت وتنوع عن معاصرتها بدمشق .

أما الدور والقصور ، فى دمشق وحماه وحلب ، فإن لما تصميمها وطابعها وزخرفتها خاصاً ، يفاير دور وقصور مصر ، ولا توجد بينهما تأثيرات .

وإذا كانت دمشق قدامتازت مساجدها القديمة بالمنارات المربعة منذ أقدم عصورها كما نشاهده فى مساجد دمشق والمرة وحماه وحلب^(١) ، فإن

(١) انظر الصور من رقم ٥٠ - ٥٣ مكرر .

معين التاريخ لأهل التاريخ

جلب امتازت أيضاً بوجود بعض المنارات الثمينة الأضلاع والأسطوانية نراها في مسجدى الموازنى ٨٧٩٧ ١٣٩٧م، والسفاحية، سنة ٨٢٨ ١٤٦٤م، وفي جامع الاطروش ٨٠١ - ٨١١.

وكذلك ظهر بدمشق في القرن الخامس عشر منارات ذات طرز خاص مثل منارتي القلعي وهشام ، فهما أقرب شها بالمنارة المملوكية في مصر .

وامتازت مصر بمناراتها وقبابها الرشيقة الجميلة ، فقد حوت منها مجموعة لا نظير لها في قطر آخر ، تنوعت مع العصور المتعاقبة عليها ، ومنها منارة الجامع الطولوني المنثرة بالمنارات الملوية بالعراق ، والمنارات الفاطمية ذات القاعدة المربعة ثم البدن^(١) الأسطوانى والخوذة المكورة ، ثم تهببت في الدولة الأيوبية بكسوة القاعدة المربعة بزخارف جصية فوقها، وزخرفة الثمن أو السلس فوقها بعقود معمارية منقوشة ثم الخوذة المضلعة ، وانتقل هذا الطرز من الآجر إلى الحجر وعلى مقياس أكبر ، وتعددت دورات المنارة من دورة إلى دورتين في مستهل العصر المملوكى ، حيث جمعت بين الحجر والآجر ، مثل منارة خانقاه سلاط وسنجر الجاولى سنة ٨٧٠٣ ١٣٠٣م ثم ضخمت وبنيت كلها بالحجر وتعددت دوراتها إلى ثلاث ، مثل منارة خانقاه قوصون سنة ٨٧٣٦ ١٣٣٦م ومسجد منجك اليوسفى ٨٧٥٠ ١٣٤٩م وآسنبغا ٨٧٧٢ ١٣٧٠م وغيرهم وفي هذا العصر تطورت المنارة وتركرت ، وبلغت ذروتها من الجمال والرشاقة في دولة المماليك الجراكسة ، مثل منارات مساجد : بربوق بالخاصين سنة ٨٧٨٨ ١٣٨٦ م ، وفرج بن بربوق بالصحراء ٨٨١٣ ١٤١٤ م ، والقاضى يحيى بشارع الأزهر ٨٨٤٨ ١٤٤٤ م ، والمؤيد شيخ ٨٨٢٣ ١٤٢٠م وتم رصاص قبل سنة ٨٨٧٦ ١٤٧١م . وقايتباى بالأزهر ٨٨٧٣ ١٤٦٨م وعلدوسته بقلعة الكيش ٨٨٨٠ ١٤٧٥م . وجانم البهلوان ٨٨٨٣ ١٤٧٨م . وأبو بكر زهر ٨٨٨٤ ١٤٨٠م . وغيرهم كثير^(٢) .

(١) انظر الصور من رقم ٥٤ - ٦٠ .

(٢) انظر الصور رقم ٦١ - ٦٦ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وفي مستهل القرن السادس عشر الميلادى ظهر نوع من المنارات مربع القاعلة ومزدوج القمة في مسجدى قانيباى امير اخور سنة ٩٠٨ - ٩١١هـ . ١٥٠٣ - ١٥٠٦ م . وفي مسجد الغورى ٩٠٩ هـ ١٥٠٤ ، وفي منارته بالجامع الأزهر ٩١٥ هـ ١٥١٠ م .

هذا التطور في الطرز وفي مادة البناء لازم القبة أيضا . وأصبحت مصر حاوية منها لمجموعة لانظير لها في قطر آخر . وقد سبقت الإشارة إلى قسم منها: في العصرين الفاطمى والأيوبي . أما في العصر المملوكى فاذكر على سبيل المثال قبة الخانقاه البندقدارية ٦٨٢ هـ ١٢٨٥ م فقد امتازت بدقة وجبال نقش الجص في رقبها ، وقبة رباط ابن سليمان^(٢) ٦٩٣ هـ ١٢٩٣ م . الحافلة من الداخل بالزخارف والكتابات الكوفية والنسخية . وامتازت بأن زخارف محرابها لونت وغطيت بالزجاج الرقيق . وهو النموذج الوحيد .

ومن القباب الجميلة قبة زين الدين يوسف^(٣) ٦٩٧ هـ ١٢٩٨ م فلها مشحونة من الداخل بالزخارف الجصية . وغيرها مثل قبة تنكربغا ٧٦٤ هـ^(٤) ١٣٦٤ م وقبة يونس الدوادر ٧٨٣ هـ ١٣٨١ م .

وفي عصر المماليك الجراكسة بنيت القبة بالحجر ، وتنوعت زخارفها ما بين هندسية ومورقة ، وبلغت ذروة جمالها . ومنها قبة المدرسة الجوهرية بالأزهر قبل سنة ٨٤٤ هـ ١٤٤٠ م ، وقبة مدرسة الأشرف برسباى بالاشرفية سنة ٨٢٩ هـ ١٤٢٥ م ، وقبة تربته بالقرافة الشرقية سنة ٨٣٥ هـ ١٤٣١ م ، وقبة برسباى البجاسى ٨٦١ هـ ١٤٥٣ م ، وقبة قانصوه أبوسعيد ٩٠٤ هـ ١٤٩٩ م ، وقبة

(١) تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٢٨١ .

(٢) مميزات العمارة الإسلامية : بحث ألقته في مؤتمر الآثار الأول بدمشق سنة ١٩٤٧ . ونشر في كتاب مؤتمر الآثار في البلاد العربية المنعقد في دمشق صيف ١٩٤٧ ، من

ص ١٧٦ - ١٩١

(٣) انظر الصور رقم ٦٧ - ٧٤ .

(٤) مميزات العمارة الإسلامية - المرجع السابق الإشارة إليه .

معين التاريخ لأهل التاريخ

قانيباى الرماح سنة ٩٠٨ هـ ٣١٥ م . وأكفى عن وصف تفاصيلها بنشر صورها .

•

هذه لمحة عن بعض التأثيرات المعمارية ، بين آثار الإقليمين ومميزاتها .
ولا أستطيع الجزم بوقوف التأثيرات المعمارية عند هذا الحد لسببين :

أولها - أن الآثار في سوريا اندثر الكثير منها ، وضاع الكثير مما بقي منها . ولا يمكن الوقوف على جميع تفاصيلها إلا اذا جمع شاتها .

ثانيها - أنه لم يتيسر لي معاينة جميع آثار سوريا والإلمام بها الإلمام بآثار مصر . لذلك وعلى ضوء هذا التمهيد المدعم بالصور الفوتوغرافية التي عرضتها والمنشور بعضها ، فلأني أتقدم باقتراح عمل سجل تاريخي آثارى مصور لآثار الجمهورية العربية المتحدة ، يكون شاهداً لجميع الآثار بأنواعها وتفاصيلها . وهو الذى سيوضح ويفصح عن مدى التأثيرات ، وعن سمات كل إقليم .

معين التاريخ لأهل التأريخ

الدكتور جمال محرز

—٥—

رعاية الآثار الإسلامية

معين التاريخ لأهل التأريخ

رَبِّهِمُ الْإِسْلَامِيَّةَ



تعتبر مدينة القاهرة متحفاً أثرياً معمارياً بما تحتويه من المباني الأثرية التي شيدت على مر العصور التاريخية لمختلف الأغراض الدينية والمدنية فيها مساجد ومدارس وأسبله وكتائب وخوانق ووكالات وبيارستانات وأضرحة وحصون وقناطر مياه وقصور ومنازل وحمامات وأحواض لشرب الدواب ويبلغ عدد هذه المباني المسجلة ٥٠٨ بخلاف الموجود منها في الوجه القبلي والبحري وهو ما يقرب من المائتين .

وكان من اللازم أن توجه العناية إلى هذا التراث العظيم لحماية المباني وصيانتها والمحافظة عليها من التلف والدمار ولهذا أنشئت في عام ١٨٨١ لجنة للمحافظة على الآثار العربية تحت رئاسة وزير الأوقاف وبدأت عملها في ١٨٨٢ م .

وبقيت هذه اللجنة تابعة لوزارة الأوقاف حتى عام ١٩٣٦ حيث نقلت إلى وزارة التربية والتعليم (المعارف سابقاً) وأطلق عليها اسم « إدارة حفظ الآثار العربية » ثم ضمت هذه الإدارة إلى مصلحة الآثار عام ١٩٥٣ وفي عام ١٩٥٧ نقلت إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

وقد ألقى قانون حماية الآثار على عاتق هذه الإدارة ، أو المصلحة بمعنى أعم ، عبء صيانة هذه الآثار ولم تدخر هذه الإدارة وسعاً ولم تأل جهداً في سبيل النهوض بما فرضه عليها هذا القانون بقسرها ما تسمح به طاقاتها ، غير أنها تلقى الكثير من المتاعب وتعترضها عقبات تشل من

معين التاريخ لأهل التاريخ

حركتها وتمنعها من تأدية واجبها على الوجه الأكمل بسبب تعدد الجهات التي تملك هذه الآثار؟ فالمباني الأثرية تتبع عدة جهات . وهذه الجهات هي مصلحة الآثار ووزارة الأوقاف والأهالى .

تملك مصلحة الآثار عدداً قليلاً جداً من هذه الآثار وتقوم بصيانتها هي وغيرها من المباني الأخرى التابعة لوزارة الأوقاف أو المملوكة للمواطنين وتلقى الصعاب كما قلنا في سبيل تأدية رسالتها ولتفصل ذلك مبتدئين أولاً بالمباني المملوكة للأفراد .

فبالرغم مما تقوم به مصلحة الآثار من أعمال الصيانة والترميم وإتفاق الأموال في سبيل ذلك إلا أن هذه المصروفات في كثير من الأحيان تضيق بهاء . ولم يقتصر الأمر على هذا بل تعرضت المباني بالرغم من أعمال الصيانة للتلف وفقدان المعالم والمميزات مما أفقدها قيمتها ، والسبب في ذلك هو أن هذه المباني يقطنها أصحابها الذين قد يؤجرونها أحياناً وفي كلتا الحالتين لا تجد المحافظة بل الإهمال والتشويه ، وقد يحدث هذا عمداً بنية إخراج المبنى من عداد الآثار المسجلة ليتسنى للمالك هدم المبنى وبناء مبنى آخر جديد يدر عليه ربحاً جزيلاً ، أو بيع الموقع لنفس الغرض ، وأحب أن أقول إن المصلحة تقف عاجزة أمام أهمال الملاك وتعهدهم تشويه الآثار لأن كل ما تستطيع أن تفعله هو رفع الأمر إلى القضاء وهذا طريق طويل لايسعف ولا يتخذ الأثر .

ولنا أقترح أن تقوم مصلحة الآثار بشراء هذه المباني الأثرية من أصحابها وبصفة خاصة المباني الهامة منها .

وهناك مسألة هامة يصح أن تعرض على حضراتكم لأنها في الواقع تحتاج إلى حل يكفل صالح الملاك والصالح العام معاً . ذلك أن المسجل من بعض هذه المباني هو الواجهة فقط لما قد تحتويه من عناصر زخرفية . أما بقية المبنى فغير مسجل يستطيع المالك أن يتصرف فيه دون الرجوع إلى مصلحة الآثار غير أن تسجيل الواجهة يمنعه من الانتفاع بملكه .

معين التاريخ لأهل التاريخ

والاحتفاظ بالواجهات على هذا النحو والساح للمالك بهم ماعداه
أمر يبدو غريبا وقد لانسجم الواجهات القديمة مع المباني الحديثة . وفي رأيي
أن نقل الواجهة إلى متحف يعد خصيصاً للعارة الإسلامية يمكننا من
الاحتفاظ بها ويساعد المالك على الانتفاع بملكه على مايجب .

وأقترح أن يقام هذا المتحف على أرض مدينة القسطنطينية وهذا يوفر
للدولة ثمن الأرض ، ويعاد بناء الواجهات أو المباني الأثرية كواجهات
الأسبلة أو غيرها التي يتعلم نقلها في عمليات إعادة تخطيط المدينة ، وسيان
نقل الأثر من مكانه إلى موقع آخر بالمدينة أو إلى متحف ، وأرى أن متحفاً
كهذا يساعد كثيراً على دراسة تطور العارة الإسلامية . وأذكر في هذا
الصدد أن كثيراً من الدول الأوروبية قد نقلت واجهات المباني الأثرية
وبعض المباني نفسها إلى متاحف ، ويكفي هنا أن أشير إلى نقل واجهة قصر
المشي إلى متحف برلين . وهذا فضلاً عن أن إنشاء متحف كهذا في
القسطنطينية سيكون له أثره في إحياء هذه المدينة ويكمل مشروع وزارة
الثقافة والإرشاد القوي الذي يهدف إلى جعلها منطقة سياحية .

وتأتى بعد ذلك وزارة الأوقاف فهي بالرغم من أنها المالكة لأكثر
المباني الأثرية وتوَجَّر بعضها وتستولى على قيمة الإيجار وبيع ماأوقف عليها
إلا أنها للأسف الشديد لم تعد تسهم في أعمال الصيانة والترميم بل يقع هذا
العبء على كاهل مصلحة الآثار وحدها .

وتأجير المباني الأثرية يثير كثيراً من المتاعب لمصلحة الآثار ؛ لأن
المستأجر لا يهتم إلا منفعة الخاصة ويضرب بالصالح العام عرض الحائط ،
ولا يهتم إطلاقاً بالأثر وماله من قيمة تاريخية وأثرية ، فكثيراً مايسوء
استغلاله ويغير معالمه وإذا تعرضت له مصابة الآثار كان رده أنه استأجر
المبنى من وزارة الأوقاف . وفي كثير من الأحيان يتم التأجير دون الرجوع
إلى مصلحة الآثار واستشارتها ؛ بل إن هذه المصلحة قد تتخذ إجراءات

معين التاريخ لأهل التاريخ

مخراج مستأجر ما من أثر معين فيذهب إلى وزارة الأوقاف فعليه إلى المبنى ولو أدى ذلك إلى كسر الأقفال التي تضعها مصلحة الآثار ، وما لاشك فيه أن وزارة الأوقاف تفعل ذلك لأنها هي المالكة للأثر وترى أنها صاحبة الحق في التصرف .

ولما كانت مصلحة الآثار هي المسئولة عن سلامة الأثر كان من الواجب ألا يتم شيء من هذا دون الرجوع إليها ، وأن تكون لها الكلمة الأولى والأخيرة في مثل هذه المسائل ، وفي رأي أن الحل السليم هو نقل ملكية الآثار من وزارة الأوقاف إلى مصلحة الآثار .

وربما كان ذلك الأمر متعلّفاً من قبل لأن هذه المباني موقوفة ووزارة الأوقاف هي المشرفة على شئون الأوقاف ، أما وقد صلب قانون حل الأوقاف فقد أصبح الأمر من السهولة بمكان ، إذ مما لاشك فيه أن بعض هذه المباني إن لم تكن الغالية العظمى منها ، قد آلت ملكيتها نهائياً إلى وزارة الأوقاف ، وسيان أن يكون الأثر تابعاً لوزارة الأوقاف أو مصلحة الآثار طالما أنه أصبح ملكاً للدولة . أما المباني التي ستؤول إلى أفراد بمقتضى قانون حل الأوقاف فيمكن شراؤها من ملاكها .

وما يؤسف له أن حالة المباني الأثرية الإسلامية تحتاج إلى مزيد من العناية والرعاية من الحكومة وتوفير المال اللازم لأعمال الترميم والإصلاح والصيانة ، لأن الاعتماد المخصص ومقداره ٢٠ ألف جنيه سنوياً لا يكفي ، وإذا ما أردنا أن نعبد هذه المباني إلى حالتها التي كانت عليها فإن ذلك يستلزم ما يقرب من ١٠ ملايين من الجنيهات ، وهو مبلغ ضخم كما نرى قد لا يتيسر تدبيره في هذا الوقت الحاضر بجانب المشروعات الحيوية التي تنهض بها الحكومة ، ولكننا على أية حال في حاجة إلى زيادة الاعتماد المخصص لأعمال الترميم وزيادة كبيرة ، ونرجو أن تسهم وزارة الأوقاف في دفع بعض نفقات الإصلاح كما كانت تفعل من قبل .

معين التاريخ لأهل التاريخ

بقى بعد ذلك مسألتان تدخلان في اختصاص مصلحة الآثار وتعلقان برعاية المباني :

أولى هذه المسائل تتعلق بتنفيذ أحكام قانون حماية الآثار وهو منع الاعتداء على الآثار وإزالة الإشغالات المتنوعة ، وإني أقرر هنا أن مصلحة الآثار بوضعها الراهن تعجز في كثير من الأحيان وتلتجئ إلى القضاء وهو أمر لا يسهل في هذه الأحوال ، ولن يتيسر النهوض بهذه الأعمال إلا بتخصيص قوة من رجال الشرطة خاصة بمصلحة الآثار يكون لها السطة المطلقة في إزالة الإشغالات في الحال . ومن الممكن أن يخصص جانب من رجال شرطة البلدية لمثل هذا العمل تحت إرشاد مفتشى مصلحة الآثار إن تقرر إمداد المصلحة برجال شرطة خاصين بها .

والثانية نظافة المباني الأثرية ، وهي مسألة على جانب كبير من الأهمية إذ أننا كلنا نحب أن تظهر آثارنا نظيفة ولكن طاقات المصلحة عاجزة عن تحقيق ذلك فضلا عن أنها لا تلقى المعونة الكافية من البلدية ، وأضرِب مثلا بحالة مبنى أثرى تجمعت بداخله القمامة التي تلقى من المنازل المحيطة به وطلبت مصلحة الآثار من البلدية اتخاذ اللازم لتنظيف المبنى فاعتذرت بعدم توافر الوسائل اللازمة ، وامتنعت عن تحرير المحاضر للسكان لأنه ليس من عملها وكذلك اعتذر رجال الشرطة لأنه ليس من عملهم .

لذلك لن يتيسر نظافة الأماكن الأثرية وما يحيط بها إلا بتخصيص فرق خاصة للنظافة تحت إشراف مصلحة الآثار .

•

سادتي تلك هي الحالة الراهنة فيما يتعلق برعاية الآثار وإني لأمل أن تحظى مقترحاتي بموافقتكم .

معين التاريخ لأهل التأريخ

بَرَكَاتُكَ يَا شَارِعَ

معين التاريخ لأهل التأريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآثار في كل أمة عنوان مجدها وتراث الأقدمين من أبنائها ، لذلك كانت العناية بها وصيانتها والحفاظة عليها ، من أهم الأمور التي أحلتها الأمم محل الرعاية والتقدير .

ويرجع اهتمام الإقليم المصرى بالآثار إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي سنة ١٨٥٨ صدر قرار بجمع الآثار المصرية وتخصيص مكان لها في بولاق على ضفاف النيل ، وكان أول متحف حفظت فيه الآثار المصرية - وفي سنة ١٨٩٧ صدر أمر عال بشأن حماية الآثار ، وفي سنة ١٩١٢ صدر القانون رقم ١٤ الخاص بالآثار المصرية وحدد فيه حماية الآثار الفرعونية والآثار اليونانية والرومانية وما هو مهجور وغير مستعمل من الكنائس والأديرة القبطية وما إلى ذلك من أسوار مدن وبيوت وحمامات .

أما الآثار الإسلامية فيرجع الاهتمام بصيانتها وترميمها وجمعها والحفاظة عليها إلى سنة ١٨٨١ ذلك العام الذي صدر فيه قانون بتشكيل لجنة حفظ الآثار العربية ، وقد حدد هذا القانون اختصاص هذه اللجنة في جرد وحصر الآثار العربية التي تكون فيها فائدة صناعية أو تاريخية ، وفي صيانة تلك الآثار ورعاية حفظها من التلف وعمل الرسومات والتصميمات للترميمات اللازمة لها وملاحظة تلك الترميمات .

ويرجع الفضل في توجيه الأنظار إلى العناية بالآثار القبطية إلى المرحوم مرقس سمبكية فهو أول من عنى بالآثار القبطية وعمل على صيانتها وجمع طرفها ، وهو الذي أنشأ المتحف القبطي بمصر القديمة سنة ١٩١٠ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وفي سنة ١٩١٨ صدر القانون الخاص بحماية آثار العصر العربي الذي نص على حماية الآثار العربية منذ فتح العرب لمصر إلى وفاة محمد على مما له قيمة فنية أو تاريخية باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية أو الحضارات المختلفة التي قامت على سواحل البحر الأبيض المتوسط وكانت لها صلة تاريخية بمصر ، وكذلك كل ما له قيمة تاريخية أو أثرية من الأديرة والكنائس القبطية المعمورة التي تقام فيها الشعائر الدينية والتي يرجع عهدها إلى المدة المنحصرة بين أوائل الدين المسيحي وبين وفاة محمد على .

وظل العمل سائراً بقانون سنة ١٩١٢ فيما يتعلق بالآثار المصرية وبقانون سنة ١٩١٨ فيما يتعلق بالآثار العربية إلى أن صدر القانون رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١ الذي شمل حماية الآثار جميعها في مختلف عصورها إلى نهاية عصر إسماعيل وهو القانون الجاري العمل به إلى الآن . إلا أنه قامت لجنة مشكلة من رجال الآثار في الإقليمين الشمالى والجنوبى للجمهورية العربية المتحدة بوضع مشروع قانون موحد لحماية الآثار في الإقليمين .

.

تنقسم الآثار إلى آثار ثابتة وآثار متحركة ، فالآثار الثابتة قصدتها الأبنية باختلاف أنواعها كالمعابد والأديرة والكنائس والمساجد وأسوار المدن والاستحكامات والبيوت والحمامات والوكالات ، وأما الآثار المتحركة فهي القطع الأثرية المصنوعة من الذهب أو الفضة أو النحاس أو من الزجاج والخزف أو المصنوعة من الأحجار أو الرخام بأنواعه أو من الخشب والسن والأبنوس وما إلى ذلك وكذلك الأبحاث الفنية .

والقاعدة العامة في ترميم الآثار الثابتة هو دعم القسائم من الأثر فقط "Up Keeping" دون تكلمة الفاقد منه ، وهذه القاعدة يجب اتباعها في الآثار المهجورة خارج المدن إلا أنه في بعض الحالات يكون جزء من الأثر مهدماً ومحتفظاً بأحجار هذا الجزء ففي هذه الحالة يمكن إعادة الجزء المهتم إلى

معين التاريخ لأهل التاريخ

ما كان عليه بأحجاره القديمة ، والدعم عادة يكون بتقوية الأساسات بعد حصب المباني القائمة على سطح الأرض أو بحقنها بالموثة أو بغير ذلك حسب حالة الأثر وطبيعته .

أما الآثار الواقعة في المدن وخصوصاً الأبنية الدينية القائمة فيها الشعائر كالمساجد والكنائس فلا اعتراض على إصلاحها إصلاحاً شاملاً وتكملة الفاقد منها "Restoration" والعودة بها إلى سابق مجدها وذلك في حدود شروط معينة بأن يكون لدى المهندس الآثارى من المستندات ما يجعله واثقاً تماماً من أن إصلاح الأثر وتكاملته سيأتى مطابقاً للأصل تماماً ، ومن هذه المستندات بقايا مبصرة هنا وهناك ، رسوم وصور قديمة . ونصوص تاريخية واقتباس من آثار معاصرة ، ومن الآثار التي أصلحت وأعيدت إلى أصلها مسجد الصالح طلائع ، وقبة قلاون ، ومسجد المارداني ، وخانقاه فرج برقوق ، ومسجد الأشرف برسباي بالخانكة ، وكنيسة أبي سيفين ، وكنيسة الأنبا شنوده ، وغيرها .

وما ينطبق على الأبنية في المدن من حيث إصلاحها وتكملة الفاقد منها يمكن تطبيقه على الأبنية المدنية كالمنازل والوكالات والأربطة وذلك لإبرازها كنهاذج لطراز ، وتخطيط هذا النوع من الأبنية في العصور القديمة وأيضاً لاستخدامها في الغرض الذي أنشئت من أجله ، ولدينا أمثلة على ذلك منزل السحيمي ، ومنزل جبال الدين الذهبي ، ومنزل الكريتلية وآمنة بنت سالم ، ووكالة قايتباي ووكالة الغورى .

وفي بعض الحالات يجد المهندس الآثارى نفسه مضطراً إلى فك جزء هام من الأثر وإعادة بنائه وذلك لخلل أو تصدع طرأ عليه ولا يجد من الوسائل الهندسية ما يساعد على علاج هذا الخلل مع بقاء الأثر قائماً كحادث في مسجد محمد على بالقلمة إذ ظهرت شروخ خطيرة في أرجل العقود الكبيرة الحاملة لقبابه رثى معها استحالة إصلاح التصدع دون الالتجاء إلى الهدم ، فقررت اللجنة المشكلة لدراسة حالة المسجد ووضع مشروع لإصلاحه

معين التاريخ لأهل التاريخ

هدم قبابه وإعادة بنائه ثم إعادة زخارفها ونقوشها طبقاً لقديمها . وكما حدث أيضاً في بعض المآذن التي ظهر بها ميل شديد هدها بالسقوط مما أدى إلى ضرورة هلمها وإعادة بنائها كما حدث لمئارة مسجد صرغتمش ، ومثدنة مسجد أبي العلا ، ومثدنة مسجد البرديني .

وفي كل هذه الحالات يجب اتخاذ الخطوات الآتية :

أ - إعداد رسوم هندسية كاملة للأثر (مقاط وقطاعات وواجهات وتفاصيل) :

ب - عمل مجموعة من الصور الفوتوغرافية للأثر في اتجاهاته المختلفة ولكل جزء من أجزائه وتكبيرها بالمقاسات المطلوبة .

ج - ترقيم أحجاره بمادة يسهل لإزالتها دون أن تترك أثراً وتوقيع هذه الأرقام على الرسم المعد لذلك .

د - فحص مادة البناء كيميائياً حتى يمكن تقوية الجزء الضعيف قبل فكه .

هـ - وبعد ذلك يشرع في فك الأحجار مدمكاً مدمكاً بكل حرص ودقة ، ويغلف كل حجر حتى ينزل سليماً إلى المكان المعد لرصه فيه بنظام تام .

و - بعد عمل أساسات جديدة يعاد البناء بعناية بنفس الأحجار المفككة والاستعاضة عن الأحجار المتآكلة بأحجار جديدة من نوع الحجر القديم وذلك في أضيق الحدود .

ي - يجب إعادة استخدام مواد البناء القديمة سواء الأحجار والأخشاب والرخام وغيرها بعد تقويتها وإصلاحها كيميائياً وصناعياً .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وفى بعض الحالات يتطلب الأمر نقل الأثر من مكانه للواحي الصمير فى المدينة كتوسيع شارع فيها أو لأسباب أخرى، وفى كل هذه الحالات يجب اتباع نفس الخطوات الموضحة فيما سبق . ومن أمثلة الآثار التى نقلت من أماكنها ؛ زاوية فرج بن برقوق ، وثكنة المغربى ، وصييل الست . صالحة بالقاهرة؛ وأخيراً معبد دابود وقرطاسى وطافه التى نقلت من منطقة بلاد النوبة التى مستغمرها المياه نتيجة لبناء السد العالى .

وبهذه المناسبة نأمل أن تستجيب السلطات المختصة لما أوصت به اللجنة التى شكلها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب من المحافظة على الطابع القديم لمدينة القاهرة بتحديد المناطق الواجب الإبقاء عليها دون أن يتناولها أى تعديل أو تخطيط جديد، وفى هذه الحالة قد لا نأجأ إلى نقل أثر من مكانه إلاّ فى النادر القليل .

هذا سرد للحالات التى تصادف المهندس الآثارى أو جزئياً فيها تقدم ، إلاّ أنى أريد أن أنبه إلى أن لكل أثر ظروفه وخصائصه التى تتطلب من المهندس بحثاً ودراسات مستفيضة قبل أن يقرر بشأنه العلاج الصحيح . الواجب إجراؤه له .

والآثار بصفة عامة يعثرها التلف والانحلال نتيجة عوامل كثيرة أهمها القدم والتقلبات الجوية وتغير طبيعة الأرض المقامة عليها مما يؤدى إلى تآكل بعض أحجارها كأن يحدث تآكل وتساقط أجزاء من كسوتها الرخامية ، أو عطب فى أخشابها ، أو تلف وتحلل فى شبائيكها الجصية أو زخارفها ونقوشها .. ويتضافر فى علاج هذه الحالات المهندس المعمارى والمرمم الكيافى والصناع الإخصائيون لذلك فإن الاهتمام بهذه الفئات وتدريبها وتوفير الحياة الكريمة لها من الأمور التى يجب أن تكون محل عناية الدولة وموضع تقديرها .

والمشكلة القائمة الآن فى الجمهورية العربية المتحدة هى قلة هذه الفئات من المختصين ومنهم من أوشك على الانقراض . فى الخمس والعشرين سنة

معين التاريخ لأهل التاريخ

الأخيرة انجبه عدد قليل من المهنيين العرب إلى دراسة الآثار ، منهم من يعمل الآن في الجامعات ومنهم من يعمل بمصلحة الآثار بالإقليم الجنوبي والبعض الآخر يعمل في مصالح مختلفة . كما أن هناك أيضاً عدداً قليلاً من المهنيين الممارسين الذين قضوا سنى حياتهم في ممارسة ترميم الآثار واكتسبوا خبرة فيها ، وللأسف لن تمضى خمسة أو ستة أعوام إلا وتنتهى خلمة الكثير منهم دون أن نعد من يحل محلهم إذ انقطعت دراسة المهنيين للآثار منذ أن أغلق معهد الآثار بكلية الآداب بجامعة القاهرة أبوابه أمام الراغبين في دراسة هذا العلم .

وما يقال عن المهنيين يقال عن المرممين فعدددهم قليل جداً ومنهم من حرس في الخارج ومنهم من اكتسب خبرة عظيمة من عمله في ترميم الآثار سنين طويلة وهؤلاء أيضاً أوشكوا على الزوال دون اتخاذ خطوات إيجابية لعلاج هذه الحالة .

أما الصناع الإخصائيون الذين ورثوا الصناعات المختلفة عن آبائهم وأجدادهم ، فهؤلاء أصبحوا يعدون على أصابع اليد الواحدة وانقرضهم أصبح وشيك الوقوع وقد أدركنا صفوة ممتازة من هؤلاء الصناع اضطرت الكثير منهم إلى الاتجاه إلى الأعمال الحديثة سعياً وراء رزقهم . وقد بذلت إدارة حفظ الآثار العربية منذ سنوات جهداً كبيراً في رعاية هؤلاء الصناع وتهئية وسائل الرزق أمامهم وذلك للاحتفاظ بهم وتشجيعهم على تدريب أبنائهم إلا أن الاعتمادات والورائح المالية كانت تقف في سبيلها وكثيراً ما نادينا بتدأرك الأمر كما نادى به الأستاذ حسن عبد الوهاب في مؤتمر الآثار في دمشق وفي بغداد ويتخذ المؤتمر في كل مرة قراراً بالتأييد والمواقفة .

ومنذ أن توليت أمر مصلحة الآثار بالإقليم الجنوبي لم أقف مكتوف اليدين أمام هذه الحالات بل عملت على إيجاد حل لكل منها فاقترحت منذ سنتين تقريباً إيفاد اثنتى عشرة بعثة إلى الخارج من الشبان الأثريين خريجي قسم الآثار بكلية الآداب والمهندسين والكيميائيين والرممين كدفعة أولى لتأهيلهم للعمل بمصلحة الآثار لسد الفراغ الذى أشرت إليه فيما تقدم

معين التاريخ لأهل التاريخ

وقد وافقت وزارة الثقافة والإرشاد القومي على هذا الاقتراح واستجابت إليه وزارة التربية والتعليم بعد أن اختصرت العدد المطلوب إلى أقل من النصف .

إن ترميم الآثار بأنواعها المختلفة وتهيئة المتخصصين فيه هو في نظري أهم من الحفر والتنقيب إذ الأولى للآثار أن تبقى مطمودة في باطن الأرض من أن تخرج منها ولائحد من يرميها ويصونها ويحفظها ، لهذا فلنرى الأخذ بالاقتراحات الآتية والعمل على وضعها موضع التنفيذ العاجل : -

١ - الاستمرار في سياسة إرسال بعثات من الشبان الأثريين من خريجي قسم الآثار بكلية الآداب من المشهود بكفائتهم وجهم للآثار وشغفهم بها ليتخصصوا في فروع الآثار المختلفة :

٢ - إرسال مهندسين معماريين يختارون من بين خريجي كليات الهندسة وكلية الفنون الجميلة ممن لهم ميل خاص للآثار للدراسة هندسة الآثار (الترميم المعماري) نظرياً وعملياً .

٣ - إرسال مرممين من خريجي أقسام الخزاف والنحت بكليتي الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ليتدربوا على أعمال ترميم الآثار وأقصد بالآثار هنا الطرف الأثرية بأنواعها المختلفة واللوحات الفنية والخزاف والتقوش وعمل النماذج وما إلى ذلك .

٤ - إعادة إنشاء معهد الآثار على أن تتعدد فيه برامج الدراسة فيكون فيه إلى جانب دراسة علم الآثار والتاريخ دراسة هندسة الآثار (الترميم المعماري) ، ودراسة ترميم الآثار ، ومبادئ الكيمياء ومبادئ الرسم الهندسي ، والرسم الخزفي للأثريين ، ويجب أن تكون للدراسات العملية نصيب وافر في هذه البرامج ، كما يجب العناية باختيار هذه الفئات ممن تتوافر لديهم الرغبة الأكيدة في هذه الدراسات .

أما الصناعات القديمة من تجارين وخرافين ومرمخين ومزخرفين وهم الذين ورثوا هذه الصناعات عن آبائهم وأجدادهم ونبغوا فيها لحبهم لها وشغفهم بها وعملهم المتواصل فيها سنين طويلة فقد أصبحوا قلة أوشكت على الانقراض لذلك كان على الدولة واجب رعايتها لمصلحة الآثار بجمع هؤلاء الصناع وعددهم قليل كما ذكرت وتعيينهم بها بأجور مجزية وتسد إليهم أعمال ترميم وإصلاح الآثار بمختلف أنواعها كل في حدود اختصاصه وتكليفهم بتدريب أبنائهم أو من يتوسمون فيهم الرغبة في ممارسة هذه الصناعات من الصبية الصغار . هذا حل ، وحل آخر أن تسند إليهم المصلحة هذه الأعمال دون التقيد بالمناقصات والممارسات وبذلك تفتح لهم سبل الرزق وتشجعهم على الاستمرار في العمل بالصناعات التي حذقوها . وفي زيارتي الأخيرة لدمشق شاهدت الحالة الأولى مطبقة في المتحف القومي بها .

وهناك ناحية أخرى يجب أن نلفت إليها النظر ، ففي مصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار فئة من المرممين ولو أنها قليلة العدد إلا أنها فئة ممتازة برزت في ترميم الآثار وانتزعت إعجاب كل من شاهد أعمال الترميم التي قامت بها من أجنب وغير أجنب ، فياحذا لو تدرب مع هؤلاء المرممين شبان في مقتبل العمر وتعلموا عليهم . وأذكر على سبيل المثال المرمم الأستاذ أحمد يوسف فهو نفسه مدرسة قائمة بذاتها يستطيع في هذا المضمار أن يسدى للآثار خدمات جليلة .

المعجزة البازنخية والأثرية

معين التاريخ لأهل التاريخ

المبحث الثاني في التأريخ

أصبح الباحثون اليوم في تاريخ العرب والإسلام أمام أمرين ، إما أن تهمل تلك البحوث لوعورة سبلها وتشتت موضوعاتها في مختلف الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وإما أن تبحث غالبا بحثا غير مجد يعوزه كثير من أصول البحث والدرس .

ولهذا يجدر بالباحثين أن يلجئوا إلى وضع معاجم في التاريخ والآثار ، تسهل للدارس مهمته وترشده إلى الطريق السوي ، وبذلك نحافظ على تراثنا الزاخر بأنواع العلم والأدب والفن والسياسة والحرب الخ ... فنسهم في تطور تاريخ العرب والإسلام والنهوض به من كبوته إلى أوج العز والازدهار أسوة بأسلافنا الذين قاموا بقسط وافر من العناية بهذا التاريخ فألفوا المعاجم في تراجم المحدثين والمفسرين والفقهاء والأطباء والأدباء والنحاة والحكماء وغيرهم أمثال ابن سعد كاتب الواقدي، والخطيب البغدادي، والسماعاني، وابن عساکر، وابن أبي أصيبعة ، وابن خلكان ، والذهبي ، والصفدي، وابن حجر العسقلاني ، وانبساطي ، والنجم الغزالي ، والحلي ، والشوكاني ، والمرادي ، وغيرهم .

وبالرغم من الفوائد الجليلة التي أحدها هذه المعاجم ، فلها تحتاج إلى تطور يناسب مع هذا العصر ، فكثير منها يتقصه الترتيب المعجمي التام ، فابن خلكان في وفيات الأعيان، والحلي في خلاصة الأثر، والمرادي في سلك الدرر، وغيرهم اقتصروا على اسم المترجم ولم يعتبروا اسم أبيه وجده في الترتيب .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وأما مصنفو الطبقات ، فابن أبي أصيبعة ذكر في طبقاته ، عيون الأنباء ، الأطباء حسب عصورهم ثم ذكرهم حسب بلدانهم ، وأما القراء والسبكي وابن قُطُوبُيُغَا وسواهم فقد رتبوا المترجمين حسب طبقاتهم مع مراعاة كثير منهم للترتيب المعجمي للطبقة للمترجمة .

ومن المصنفين في التراجم ، من صنف التراجم حسن الدول مثل الكندي في كتابه الولاة والقضاة، وأما ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن حجر في تهذيب الكمال في معرفة الرجال والشوكاني في البدر الطالع وغيرهم ، فقد راعوا غالباً اسم المترجم واسم أبيه .

وأما المصنفات التي تعتبر من كتب الخطوط والآثار كالمواعظ والاعتبار للمقرئزي ، والدارس في المدارس للتعمي ، فقد وردت في الأول المباحث حسب أنواعها بدون مراعاة للترتيب المعجمي ، وأما الثاني فقد راعى مؤلفه ترتيب الحروف الأولى فقط .

ومن المعاجم التي ألفت في العصر الحديث ، الدر المشور في طبقات ربات الخلدور لزينب فواز ، ترجمت فيه لعدد من شهيرات النساء العربيات والغربيات ورتبتهم على حروف المعجم وخالفت هذا الترتيب أحياناً .

ومنها معجم الأطباء من سنة ٦٥٠ هـ إلى يومنا هذا لأحمد عيسى ، ذيل به على عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ورتبهم على حروف المعجم ، وذكر النسبة والشهرة للمترجم وأحال على اسمه .

ومنها حلية البشر في تراجم القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ، فقد ترجم فيه مشاهير هذا القرن ورتبهم على حروف المعجم وشذ أحياناً في بعض التراجم عن هذا الترتيب .

ومنها روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر لمحمد جميل الشطلي ، فقد ترجم لهؤلاء ورتبهم حسب اسم المترجم فقط .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وقد نشط بعض الباحثين المعاصرين ، فألفوا بعض المعاجم التاريخية كالإعلام للزركلى فى عشرة أجزاء وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، وقد اقتصر المؤلف فى الترتيب المعجمى على اسم المترجم وأبيه ، واعتبر تاريخ الوفاة للتقديم والتأخير بعد اسم أبيه ، كما أثبت الشهرة التى عرف بها المترجم وأحال على الاسم .

كما أن كاتب هذه السطور قد صنف أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام فى خمسة أجزاء ، ثم أعقبه بمعجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، فمعجم المؤلفين وقد صدر منه اثنا عشر جزءاً ، وسيتم إن شاء الله فى خمسة عشر جزءاً وقد رتبنا هذه المعاجم على حروف المعجم فراعيناه فى الترتيب اسم المترجم فاسم أبيه فجده الخ ... وقد أثبتنا فى صلب كل مادة المصادر التى اعتمدنا عليها من مخطوط ومطبوع ومجلة وجريدة ، وقد جعلنا لمعجم المؤلفين فهرساً خاصاً للنسب والكُنى والألقاب التى عرف بها أصحابها ، فأحلنا على اسم المترجم مع رقمى الجزء والصفحة .

•

وبهذه المناسبة أقترح أن يتفرغ بعض العلماء من المؤرخين فى الإقليمين المصرى والسورى وأن تبذل لهم المعونة المادية والمعنوية ليتمكنوا من البحث والتنقيب والتأليف كى يشرفوا على وضع المعاجم التاريخية والأثرية ، العربية والإسلامية ، التى أقترح تأليفها وهى :

- ١ — معجم الملوك والأمراء والولاة .
- ٢ — معجم لقواد الجيش .
- ٣ — معجم للقضاة والفقهاء .
- ٤ — معجم للأطباء والصيادلة .
- ٥ — معجم للرياضيين والفلكيين والطبيعيين .
- ٦ — معجم للفنانين والمغنين .

معين التاريخ لأهل التأريخ

- ٧ - معجم للأدباء والكتاب والشعراء .
- ٨ - معجم للفلاسفة والحكماء .
- ٩ - معجم تاريخي للبلدان العربية .
- ١٠ - معجم تاريخي للأمكنة في الإقليم المصري .
- ١١ - معجم تاريخي للأمكنة في الإقليم السوري .
- ١٢ - معجم للأبنية الأثرية في الإقليم المصري .
- ١٣ - معجم للأبنية الأثرية في الإقليم السوري .
- ١٤ - معجم للمعارك الحربية .
- ١٥ - معجم للاصطلاحات التاريخية .
- ١٦ - معجم للاصطلاحات الأثرية .

ويستحسن في تأليف هذه المعاجم أن تؤلف لجنة رئيسية تشرف على نشرها ويعهد إليها الاتصال بأهل البحث والأخصائيين لكتابة مباحثها وأن تذيل هذه المباحث بالمصادر والمراجع المختلفة من كتب مخطوطة ومطبوعة ومجلات ووثائق وصحف في اللغات المختلفة يرجع إليها الباحث في دراساته .

المَلَأْسُ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ وَقَامُوسُ وَزِي

معين التاريخ لأهل التأريخ

الملابس في العصر الأموي والعباسي

كان نصيب تاريخنا الاجتماعي من جهد المؤلفين المحدثين في التاريخ نصيباً متواضعاً ، لاسيما إذا قدرت بالجهد الذي بذله هؤلاء المؤلفون في استجلاء غوامض تاريخنا السياسي . لذا بقي الكثير من قضايا هذا التاريخ معلقاً أو مهملاً ينتظر يد الباحث الذي يملك من الصبر ما يعينه على السير في دروب البحث الطويلة . ولعل أهم العراقيل التي وقفت في سبيل دراسات التاريخ الاجتماعي هو قلة المصادر التي تهيئ المادة الأولية للباحث واضطراره للاعتماد على معلومات غير مباشرة مبثوثة في ثنايا أخبار وروايات لم يقصد أصحابها من روايتها إشباع هنما إلى معرفة حياة المجتمع أو نوعية طعامه ولباسه . وبكلمات قليلة ليس لتاريخنا الاجتماعي حولية كمحولية الطبری مثلا تزود الباحث بمادة لا بد له منها في بحثه .

من مواد تاريخنا الاجتماعي التي لم تحظ بقسط كاف من دراسات المؤرخين المحدثين موضوع الملابس . وإذا استثنينا قاموس دوزي R. Dozy Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes الذي سنعود للحديث عنه عما قليل ، لما وجدنا سوى كتاب ماير M. Mayer Mamluk Costume (Genève, 1952) الذي يبحث في الثياب في العصر المملوكي بحثاً فيه كل ما يتطلبه تلميذ التاريخ الاجتماعي ، ومقالات ر . ب . سارجنت عن الأقمشة والمنسوجات التي لها نفس القيمة العلمية . هذا طبعاً إلى جانب الإشارات والمعلومات غير المباشرة التي تتعلق بموضوع الملابس والتي نجدتها في بحوث ومؤلفات أخرى .

معين التاريخ لأهل التاريخ

ومعجم دوزى ، الذى هو المصدر العام الوحيد لموضوع الملابس فى العصور الأولى من تاريخنا ، معجم قديم وناقص ولا يخلو من أخطاء . لقد ألف هذا المعجم ، كما هو معلوم ، فى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٤٥) واعتمد صاحبه فى جمع مادته على معاجم اللغة ولم يستعمل ماتقدمه كتب الأدب والتاريخ من مادة تتعلق بالموضوع . ولأقلم مثلاً على نوعية الأخطاء التى يقع فيها دوزى فى قاموسه عن الملابس . يقول الأعشى فى إحدى قصائده :

وتقل تجرى بيننا . ومُقدمٌ يسى بها
ديوان الأمشى - ط . م . حين ، القاهرة ١٩٥٠ قصيدة ٢٩ ، بيت ٢٤

ويقول أيضاً :

يطوف بها ساقٍ علينا مُقُومٌ . خفيف دفيق ما يزال مُقدمًا
ديوان الأمشى ، قصيدة (٥٥) بيت (٦)

وتستفتى قاموس دوزى فى أمر كلمة «مقدم» فإتيك الجواب التالى :

« . عمامة *Ce mot désigne, suivant le Kamous, le turban* »

(انظر صفحة ٣٢٦ من القاموس المذكور)

فقدام عند دوزى إذن تعنى العمامة ؛ ولكننا نلاحظ أن صاحب تاج العروس لا يفتق مع دوزى فى هذا التعريف ، فيقول إن «مقدم» مشتقة من «قدم» التى تعنى أن الشخص غطى فيه بـ «القدم» وأن «القدم» قطعة من قماش كان الفرس والمجوس يربطونها حول أفواههم عند تقديمهم الشراب للشرب . وإذا سرنا شوطاً أبعد فى استقصاء أصل هذه الكلمة ومعناها لوجدناها مأخوذة عن كلمة «بدم» الفارسية التى لها صلة بطقوس عبادة النار

معين التاريخ لأهل التاريخ

وقطفية الفم عند تقديم الأضاحي ، وأن عادة وضع « الفدام » انتقلت إلى مجالس الشراب عن الفرس فكان الساقى يضع فداماً أثناء تقديم الشراب . وقد نص صاحب « تاج العروس » على خطأ تفسير « الفدام » بالعمامة ، فقال : « فدام .. العمامة في سائر النسخ ، والصواب والقدامة العمامة وهو ما يوضع على فم البعير » . (انظر مادة « فدام » في تاج العروس ، ج ٩ ، ص ١٠) .

هذا مثال واحد على ما قد يصادف الباحث من أخطاء في قاموس دوزى قصدت به التعريف لا الحصر ، والأمثلة الأخرى غير قليلة . وإذا تركنا الأخطاء جانباً لوجدنا في القاموس نقصاً كبيراً في المادة وانعداماً للتقسيم أو التبويب حسب الموضوعات وهو أمر أساسي في قاموس من هذا النوع . لهذا كله نرى أنه من الضرورة بمكان العمل على تأليف قاموس للملابس يسد الفراغ الكبير في مكتبتنا التاريخية .

وإذا كانت الحاجة ملحة إلى قاموس جديد للملابس فلما نرى ألا يكون هذا القاموس الجديد جامعاً للموضوع في مختلف مراحل تاريخنا الطويل ، بل نرى أن يصار إلى تأليف قواميس أو بحوث تتناول الموضوع في حقة معينة وذلك لاتساع الموضوع ووفرة المادة المتعلقة بكل دور من الأدوار التاريخية والتطور الكبير الذي دخل على معنى الكلمة الواحدة ومدلولها بتطور العصور ودخول المؤثرات الجديدة واختلاف الحاجات اليومية .

والملابس في العصر الأموي تستحق منا وقفة طويلة تفتح بها جبهتنا في هذا الموضوع . وذلك لأن اللباس في هذا العصر يمثل التحول الذي طرأ على زى أبناء الجزيرة في تطورهم من بداءة وسكان خيام إلى رافهين مترفين يسكنون القصور وينعمون بمعطيات حضارة الرومان وغيرهم من الأمم التي تعاقبت على حكم بلاد الشام ومقاطعات الإمبراطورية الإسلامية الجديدة الأخرى . ونحن وإن كنا لا نشك في أن ميدان الملابس كان من جملة الميادين التي شملتها علبسة الفماذج والاختلاط بين الحاكين والحكومين فلما لا نستطيع رسم حدود التأثير الجديد في زى عرب الجزيرة وملابسهم بوجه

معين التاريخ لأهل التاريخ

عام، وإن كان من المعروف أن الخطوط العامة لهذا الزى وهذه الملابس ظلت محافظة على الشكل والإطار اللذين خرجت بهما من الجزيرة العربية أول ما خرجت . فلنا نملك إذن حقيقة عامة عن الملابس في عصر بني أمية أو الموترات التي أثرت بها كما نملك عنها في عصر بني العباسي حين وضع التأثير الفارسي في هذا القطاع وغيره من قطاعات الحياة .

والبحث في الملابس في العصر الأموي أمر يقتضي منا تحديد المصادر التي يجب أن تعتمد في جمع مادة هذا البحث . لقد دلتني خبرتي المتواضعة في ميدان بحوث التاريخ الاجتماعي أن المادة الأولية لبحث كهذا متفرقة على مصادر كثيرة جداً تجعل الطريق شائكاً معقداً لا ينتهي . لهذا أرى أن تحدد مصادر البحث وأن تكون تاريخية وأدبية ومعاجم لغة ، وسأعود في نهاية الحديث لاقتراح أسماء بعض المصادر التي أرى أن يقتصر عليها في جمع مادة معجم الملابس في عصر بني أمية .

إن اتساع وتفرق مادة بحث الملابس ، الأمر الذي ينطبق على مادة أغلب بحوث تاريخنا ، يجعلنا نحلم بقيام تعاون علمي بين المهتمين بمادتي التاريخ والآثار في إقليمى جمهوريتنا العزيزة يسهل عليهم حل الكثير مما قد يتصور طريق بحوثهم من مشكلات . إننا نحلم أن يكون هذا التعاون على شكل إصدار نشرة دورية سنوية مثلاً تعرف المهتمين بمادتي التاريخ والآثار بالبحوث التي يقوم بها رجالاات هذين الموضوعين في إقليمى الجمهورية العربية المتحدة .

إن أهم ثمار صدور نشرة كهذه هي تبادل الباحثين للمعلومات التي قد يعثر عليها أحدهم في موضوع يهم زميلاً له فيوافيه بها ليتلقى منه معلومات تهتم هو وهكذا . هذا إلى جانب أن إصدار نشرة كهذه يحل مشكلة ازدواج البحث وانهماك اثنين في دراسة الموضوع الواحد .

معين التاريخ لأهل التاريخ

في نهاية هذا الحديث المختضب الذي أعرف أنى لم المس فيه من الموضوع إلا بعض جوانبه ، أرى أن أجمل ما قلمت في المقترحات التالية :

أولاً : أن يصار إلى التوصية بتصنيف قاموس للملابس في العصر الأموى ، وأن يكون هذا القاموس شاملاً لجميع أنواع ملابس الذكور والإناث ، وأن يلحق ببحث ملابس النساء قسم تدرس فيه الأشياء المتعلقة بزيتهن وحليهن . كما أن القاموس الجديد يجب أن ينسج على غرار قاموس ماير (Mamluk Costume) من حيث شموله على بحث الظرف التاريخي والاجتماعي الذي نشأ فيه النوع من الملابس الذي هو موضوع الدراسة . وطبعاً أن يصار إلى تصنيف قاموس للملابس العصر العباسي بعد هذا ، وهكذا .

ثانياً : أن يقتصر في جمع مادة هذا القاموس على المصادر التالية :
من كتب الأدب : الأغاني ، العقد الفريد والكمال للمبرد .
ومن كتب التاريخ : الطبرى .
هذا طبعاً إلى جانب معاجم اللغة .

ثالثاً : إصدار نشرة دورية تعرف المهتمين بموضوع الدراسات التاريخية والأثرية بما يقوم به الاختصاصيون من بحوث في هذين الحقلين ، وبالتالي تسهل عملية تبادل المعلومات بين المختصين التي أشرنا إليها قبلاً .

معين التاريخ لأهل التأريخ

٩-

بشير زهدى

المتاحف في الأقاليم السورية

معين التاريخ لأهل التأريخ

للمتاحف الأثرية السورية

إن تأسيس المتاحف في الإقليم السوري ثمرة من ثمرات الوعي القومي ، ومظهر من مظاهر البحث العلمي ، ونتيجة للحرص على حفظ تراث الماضي ، فبعد ما تم تحرير البلاد من الحكم العثماني ، وإعلان استقلال سورية عام ١٩١٩ ، أسست (دار الآثار) مع مؤسستين علميتين هامتين هما الجمع العلمي العربي ، والمكتبة الوطنية في المدونة العادلة بدمشق ، فكان في تأسيس (دار الآثار) خلية كبرى عادت على البلاد بأجل الفوائد ، ومن الإنصاف أن نشيد بجهود علامة الشام المرحوم محمد كرد علي رئيس الجمع العلمي بدمشق .

ورغم الأحداث المختلفة التي شهدتها الإقليم السوري طيلة فترة الاحتلال الفرنسي ، فإن نتائج الحفر والتنقيب في أماكن مختلفة (دورا ، أوربوس ، أوغاريت ، أرسلان طاشي ، تل أحمر ، ماري . تدير ، قصر الحير الغربي . . . الخ) كانت مشجعة على الاستمرار في الحفر والمتابعة في التنقيب ، لهذا كان لابد من بناء متحف وطني يليق بعاصمة الأمويين وذلك لحفظ وتعرض فيه الآثار المكتشفة . وقد جرى بناء هذا المتحف على عدة مراحل . فقد بنىء ببناء القسم الأول منه عام ١٩٣٦ ، فأعيد فيه بناء الكنيس المكتشف في (دورا أوربوس) ، وملفن يرحاى المكتشف في تدير . كما بنىء عام ١٩٣٩ - ١٩٥٠ بإعادة بناء واجهة قصر الحير الغربي الأموي ، ولاشك أن نشاط أعمال الحفر والتنقيب في الإقليم السوري تتطلب متابعة بناء بقية أقسام المتحف في عام ١٩٥٣ و ١٩٥٧ وكذلك تم بناء أقسام

معين التاريخ لأهل التاريخ

المتحف الذى تقدر مساحته بنحو ١١,٠٠٠ متر مربع . ومن الإنصاف أن نذكر جهود مدير الآثار السابق الأمير جعفر الحسيني ، ومدير الآثار والمتاحف الحالي الدكتور سليم عادل عبد الحق الذى قام بتقسيم المتحف الوطنى بدمشق إلى أربعة فروع عرضت فى كل منها الآثار المكتشفة وذلك وفقاً لتسلسل عهدها التاريخية كمايلى :

١ - فروع الآثار السورية القديمة :

عرضت فيه الآثار المكتشفة فى أوغاريت (الأجدية الأولى " ، الرقم الفخارية ، الأسلحة ، البوق العاجى ، المنضدة ، واللوح العاجى ، ورأس الأميره ...) وعمريت (الفخار والفتوس) و (المعاهدة الآرامية المكتشفة فى سفيره ...) ومارى (تماثيل ملك وأمراء المدينة وتمثال مغنية المعبد أورنيثا ، وأصداف مشهد استعراض الملك وحاشيته للأسرى ، والاختام ...) وستعرض قريباً الآثار المكتشفة فى تل خويبره ، وتل رفعت ، وتل الكرل .. الخ .

٢ - فرع آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية :

أعيد فيه بناء الكنيس المكتشف فى دورا أوروبوس ، والرسوم الجدارية المكتشفة فى المعبد التلمرى ، ومدفن يرحاى التلمرى ، وقطع القسيفساء المكتشفة فى شها وغيرها ، والتماثيل المكتشفة فى اللاذقية ، وتلمر ، والسويداء وحوران ... ولا سيما نماذج من مجموعات الزجاج (المصنوع بطريقة الصب على جسم رمل ، والزجاج القسيفساى ، وزجاج ملفبورى ، والزجاج المنفوخ فى قالب ، أو فى الهواء .) والأيقونات وقطع المنسوجات المكتشفة فى تلمر وضواحيها ، والنقود المختلفة .

٣ - فرع الآثار الإسلامية والعربية :

أعيد فيه بناء واجهة قصر الحير الغربى وأحد أروقه ، ونماذج من روائع الزخارف الجصية ، والرسوم الجدارية ، وتمثال الفارس المكتشف فى

معين التاريخ لأهل التاريخ

الرقعة ، والخزف الإسلامي المكتشف في الرقة وحماه وغيرها ، وبعض الكتابات العربية الكوفية ، ونماذج من مجموعات الزجاج الإسلامي والتقود ، والأصاحف ، والخشب المدهون ولا سيما المخطوطات العربية ، والأدوات الفلكية .

٤ - الفرع الحديث :

عرضت فيه اللوحات والتمائيل التي أبدعها فنانون الإقليم السوري (السادة: محمود جلال ، وميشيل كرشه ، وناظم الجعفرى ، ونصير شورى ، ورشاد قصيباتي ، وجاك وردة ، وصلاح الناشف ، ومحمود حماد ، وأدهم ونعيم إسماعيل ، وفاتح المدرس ، وأنور الأرناؤوط ، وزهير الصبان وغيرهم ...) .

متحف التقاليد الشعبية والصناعات الوطنية :

قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بترميم واستملاك القصر الذي كان قد بناه حاكم دمشق أسعد باشا العظم في ١٧٤٩ خلال اثنتي عشرة سنة . فحولته إلى متحف جديد عرضت فيه مشاهد تتعلق بالحياة القديمة في داخل قصور وبيوتات دمشق ، ومساكن حوران وجبل العرب ، ومجموعات نادرة من الزجاج الأوربي ، والخزف الصيني ، والتحف المختلفة النادرة التي جعلت لهذا المتحف شهرة كبرى تحت الزائرين والسائحين على زيارته ، ويكفي أن نذكر أن عدد زواره عام ١٩٥٩ بلغ ٧٩,٨٢٥ زائر . ومن الإنصاف أن نذكر جهود السيد شفيق الإمام محافظ متحف التقاليد الشعبية والصناعات المحلية .

متحف دمشق الحربي :

رغب المسؤولون في وزارة الدفاع الوطني في إخراج فكرة تأسيس المتحف الحربي إلى حيز الوجود ، فوقع اختيارهم مؤقتاً على قسم التكية السلمانية في دمشق ريثما يبدأ ببناء جديد للمتحف . والجدير بالذكر أن المديرية العامة

معين التاريخ لأهل التأريخ

للآثار والمتاحف وضعت كل طاقاتها في سبيل إخراج هذا المتحف الجديد في أجمل مظهر وأحدث طريقة في عرض الأسلحة فخصصت إحدى القاعات لإعطاء الزائر لمحة عن الأسلحة التي استخدمت في الإقليم السوري (منذ العصور الحجرية ، وعهود العموريين والكنعانيين ، والحيتيين والآراميين والتدمريين والمنافرة ، حتى الفتح الإسلامي) . وخصصت القاعة الثانية لذكريات الجيش السوري ، وعرض في القاعة الثالثة نماذج من الأسلحة المختلفة التي كانت مستعملة في النصف الأول من القرن العشرين ، وفي القاعة الرابعة عرضت المدافع المختلفة التي تعود من عهد إبراهيم باشا حتى مدافع الهاون ومصنوعات الجيش السوري .

متحف حلب :

وضع مشروع بناء جديد لمتحف حلب وبدء بتنفيذه لتعرض في المتحف الجديد روائع الآثار المكتشفة في ماري وأرسلان طاش ، وتل أحمر وعين دارا ... الخ .

متحف تلمر :

أوشك المتعمهون على الانتهاء من بناء متحف تلمر، وستعرض فيه الآثار المكتشفة في تلمر ولا سيما روائع فن النحت التدمري ...

متحف طرطوس :

لقد تم تحويل بناء المعهد القديم إلى متحف إقليمي عرضت فيه نماذج من الآثار المكتشفة في تلال المنطقة (تل سوكاس ، وتل الكزل ، وتل سمريان ، وعمريت ، وأوغاريت ..) ونماذج مصغرة للسفن الفينيقية الأروادية القديمة ، وبعض الأدوات الخاصة بالصناعات المحلية كمعاصر الزيت وبعض الملابس المحلية القديمة والنقود التي كانت متداولة .

متحف حياه:

لقد تم تحويل قصر العظم في حياه إلى متحف وطني، وبدأت المديرية العامة للآثار والمتاحف في عرض الآثار فيه .

مشروعات متاحف جديدة:

وتقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف بإعداد مشروع بناء متحف في دير الزور لتعرض فيه الآثار المكتشفة في مدينة مارى والركة ، ... الخ. ومشروع تأسيس متحف في اللاذقية وآخر في أوغاريت، وقد لا يمضي وقت طويل حتى يؤسس متحف جديد في السويداء لتعرض فيه التماثيل البازلتية وقطع الفسيفساء المكتشفة في جبل العرب، ومتحف آخر في (بصرى) لتعرض فيه التماثيل والفخار والزجاج الجولاني .

المتحف الزراعي :

وتقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف بالإسهام في إخراج المتحف الزراعي إلى حيز الوجود .

عرض النقود والطوابع :

وعلمت أن لدى البنك المركزي فكرة عرض مجموعات مختلفة من النقود ، وقد لا يمضي وقت طويل حتى تبدأ مديرية البريد والبرق والهاتف بإعداد ما يلزم لعرض مجموعات الطوابع .

إغناء المتاحف بالآثار :

يستجيب مما تقدم مدى الاهتمام بالمتاحف في الإقليم السوري وتزايد عددها ومختلف أنواعها ، وأهمية غاياتها ، مما يتطلب استمرار زيادة عدد الموظفين والمستخدمين والحراس والعمال ، وضرورة تأسيس دوائر جديدة تابعة للمديرية وزيادة عدد موظفيها مثل دائرة التفتيش والمهندسة ، والمعمل

معين التاريخ لأهل التاريخ

القنى ، وفرغ التصوير ، والمكبسة ، ولا سيما دائرة الحفريات والدراسات التي تهتم بالإشراف على أعمال البعثات العلمية الأجنبية (البعثة الفرنسية برئاسة الدكتور كلود شيفر في رأس شمرا) و (البعثة الفرنسية برئاسة الأستاذ اندره بارو في تل حريري) ، و (البعثة الإنكليزية برئاسة الدكتور سيتون وليامس في تل رفعت) و (البعثة الألمانية برئاسة الدكتور انطون مورتفات في تل خويره) و (البعثة الألمانية برئاسة الأستاذ كولونز في الرصافة) و (البعثة السويسرية برئاسة الأستاذ كولار في معبد بعل شمين التلمري) و (البعثة البولونية برئاسة الأستاذ ميخالوفسكى في معسكر ديوكليسيان في تلمر) و (البعثة الدانمركية برئاسة الأستاذ ريس في تل سوكاس) . كما تقوم بأعمال الحفر والتنقيب بإشراف خبراء المديرية في تل الكزل والرة .. إلى آخره . كل ذلك مما يساعد على إغناء المتاحف بروع الآثار والتحف الجميلة ، مما يتطلب تأسيس متاحف جديدة ، والتفكير جدياً في جعل بعض الفروع متاحف مستقلة كما هو الحال بالنسبة لقرع الآثار السورية القديمة في متحف دمشق .

مشكلة الحفائر السرية :

كما أن انتشار الآثار في مختلف تلال الإقليم السوري ، وكثرة الطلب باستمرار على الآثار السورية ، مما شجع بعض العمال على القيام بحفائر سرية وقد وجدوا من التجار من يدفع لهم مقابلها مبالغ كبيرة ، ومن حسن الحظ أن بعض التجار بحرصون على حفظ تراث الماضي في الإقليم السوري مما يدفعهم إلى بيع الآثار المشتراة إلى المتاحف السورية ولكنهم قلما يصدقون القول في تعيين الأماكن المكتشفة حرصاً منهم على استموار شراء الآثار من شركائهم ، وهناك بعض التجار الذين تغريهم الأسعار الدولية للآثار مما يجعلهم يفضلون بيعها في خارج الإقليم السوري وهذا هو موضوع مشكلة الدماح أو عدم الدماح بتجارة الآثار . إذ أن منع التجارة

معين التاريخ لأهل التاريخ

بالآثار لا لتحقيق الغاية منه بمجرد صدور قانون بذلك بل لابد من زيادة المراقبة على الحدود وفي مناطق التلال الأثرية ، ومنح بعض الصلاحيات للمفتشين الخ وتخصيص المكافآت لكل من يساعد أو يسهم في منع الحفائر السرية ، وحفظ الآثار في البلاد ، وإن خطورة هذا الموضوع وأهمية النتائج المترتبة على الحلول تجعلني أقترح تأليف لجنة من خبراء ومفتشي الآثار في الإقليمين للدراسة هذا الموضوع وكل الاحتمالات المتوقعة من نتائج الحلول التي يتوصلون إليها .. حفظا على الآثار المكتشفة ، ومعرفة مكان اكتشافها ، واتخاذ مبدأ سليم فيما يتعلق بطلبات بعض التجار بتصدير بعض الآثار ، وكل ما يتفرع عن هذا الموضوع من تفاصيل .

وختاماً أرجو أن تفضلوا بالاطلاع على الاقتراحات الآتية :

- ١ - الاهتمام بدراسة اللغات القديمة ، وتأسيس معهد للفن والآثار يلحق بالمديرية العامة للآثار والمتاحف .
- ٢ - تأسيس المكتب العربي للمتاحف على أن يكون مرتبطاً باللجنة الثقافية في الجامعة العربية .
- ٣ - تشجيع هواة الآثار على تأسيس جمعيات (أصدقاء المتحف) .
- ٤ - الاهتمام بالمتاحف المدرسية . وتوجيه الطلاب إلى أهمية التحف وضرورة المحافظة عليها .
- ٥ - لفت أنظار المدرسين والمعلمين إلى أهمية المتاحف وغاياتها التربوية وكيفية اعتبار الآثار من أحسن وسائل الإيضاح .
- ٦ - ترغيب الطلاب في اختيار مواضيع رسالتهم الجامعية في المواضيع المتعلقة بتاريخ وطننا العربي وآثاره ، وتسهيل مهمة الباحثين .
- ٧ - تعريف المواطنين بأوابد وآثار الإقليمين ، وذلك بإفراح المجال أمام المختصين للدراسة ونشر وإذاعة بحوثهم ودراساتهم .
- ٨ - إخراج أفلام سينمائية تمثل الأوابد والآثار في إقليمي الجمهورية لتعميم الثقافة في الداخل . وتأمين الدعاية لنا في الخارج .

معين التاريخ لأهل التاريخ

- ٩- تنظيم معارض متنقلة بين مدن الإقليم والدول الصديقة .
- ١٠- منح بعض الامتيازات للمختصين ، وتشجيعهم على الاستمرار في التوسع في اختصاصاتهم والاطلاع على آخر ما وصل إليه زملاؤهم المختصون في المواضيع إلى يهتمون بها .
- ١١- الحرص على الاشتراك في مؤتمرات لجان المتاحف الوطنية التي تعقد في الدول الصديقة .
- ١٢- إيفاد المختصين للاطلاع على مجموعات المتاحف الأخرى ، وتشجيعهم على إلقاء محاضرات علمية في تلك البلاد .
- ١٣- تأليف لجنة من المختصين للبحث جدياً في توحيد المصطلحات المتعلقة بفن الرسم والنحت والعمارة وأسماء مختلف القطع الأثرية الخزفية والزجاجية . وتوحيد أسماء الوظائف في الإقليم .
- ١٤- توجيه أنظار طلاب معاهد الفنون التشكيلية في إقليم الجمهورية إلى أهمية دراسة الأوابد الأثرية والتحف الفنية القديمة .
- ١٥- تزويد العامل الفني بكل مايلزم لمعالجة الآثار (ولا سيما المعدنية والعاجية والمنسوجات) بأحدث الطرق العلمية ، وإرسال المختصين إلى البلاد الأجنبية المتقدمة في ميدان معالجة الآثار وذلك للاطلاع على الابتكارات الجديدة وترشيح المبرزين من الفنانين العرب كخبراء دوليين .
- ١٦- تشجيع مؤلفي قصص الأفلام السينمائية على زيارة الأوابد والأماكن الأثرية للعمل على تأليف قصص أفلام تتعلق ببطولات خالدة في تاريخنا .
- ١٧- توجيه أنظار الملحقين الثقافيين في سفارات جمهوريتنا في الدول الأجنبية إلى ضرورة تزويدنا بقوائم المؤلفات والبحوث المتعلقة بتاريخنا وآثارنا .
- ١٨- تأليف دليل آثار لكل من الإقليمين في إطار تاريخي .

وَجُورُ الْعَوْدَةِ لِلنَّالِيَةِ النَّارِ نَحْنُ عَلَى سَائِسِ الْخَطِّ

معين التاريخ لأهل التأريخ

فصل العشر في الأسلوب الخاطي

١٥ - نعرف للأقدمين فضل ابتداء أسلوب من أساليب تكوين التاريخ كبير الفوائد . ذلكم هو أسلوب التاريخ الآثري (الآثار بكل أنواعها) ، وهو أسلوب الخطط . وهذا الأسلوب في يد من يحسن استخدامه يجمع بين مزايا المرجع ، يرجع إليه الإنسان لتحقيق جزئ أو تفصيلي ، ومزايا الدراسة المستفيضة لموضوع أو لمطلب . فإن شئت مثلاً بياناً عن مكان أمكنك أن ترجع إلى المعجم المفهرس للأمكنة ، فتجد فيه بياناً عما هو عليه المكان الآن ، وعما حدث فيه في الماضي من أحداث . وإن شئت بياناً عن رجل أمكنك أن تعرف سريعاً على ما يهملك من أمره في المعجم المفهرس بأسماء الرجال . وإن شئت بحثاً تاريخياً عن موضوع اقتصادي أو اجتماعي ، فإنك تجده في قسم الدراسات التاريخية المتنوعة للموضوعات . ولهذا الأسلوب فضل الجمع بين العلم القديم الموروث ، وبين ما طرأ عليه من تجديد أدى إليه تقدم البحوث .

•

٢٠ - والخطط مما ينبغي تجديده من وقت لآخر .

وآخر ما لدينا منه ما كتبه على مبارك (وبعبارة أصدق ما نشره على مبارك تحت اسمه) ، وصفة الجمع تغلب على خططه ، كما أن ترتيب مواده يقتضي من الباحث عناء وقتاً ، وعلى كل حال فقد مضى على نشره زمن طويل جعل أكثر مادته التاريخية الجغرافية بحاجة إلى إعادة الكتابة .

معين التاريخ لأهل التأريخ

وآخر ما لدينا عن الشام خطط كرد على ، وهذه بها ميزات المصنف الذى يصدر عن مؤلف واحد ، ولكن الخطط ليست من المشروعات التى يستطيع فرد أن ينهض بها وحده ، وعلى مبارك استعان بالكثيرين من رجال التعليم وغيرهم .

هنا وإن ما بلغه العلم من تقدم يقتضى إعادة الكتابة فى أكثر موضوعات خطط كرد على وخطط على مبارك ، كما أن المرحلة الحاضرة من التاريخ التى نعيشها الآن تقتضى من المشتغلين بالتاريخ أن يقدموا للباحثين والقارئ والمعلمين ومن إليهم أضيف المعلومات وأدقها . يكون الاهتمام فيها بضبط الحقائق أغلب على التأويل . أخيراً تنجح الوحدة المصرية السورية فرصاً فينبغى انتهازها لتنظيم الجهود والانتفاع من الكفايات .

٣- بعض صعوبات المشروع :

وأهم هذه الصعوبات أن حدود الجمهورية العربية لا تتفق مع ما تقتضيه الدراسات من مجاوزة لتلك الحدود . وأقترح لذلك أنه كلما اقتضى البحث أن نجتاز الحدود فلا نتردد فى اجتيازها - فالنيل مثلاً لا يبدأ عند خط العرض ٢٢ شمالاً ، ولا يفهم إلا إذا بدأنا به حيث ينبع فى الهضبة الاستوائية ، أو هضبة الحبشة ، والفرات فى مجراه من منبعه إلى مصبه أكبر من الجزء المار بالشام - فلا نتردد فى الدراسة الجغرافية من أن نجعلها شاملة الشمول الطبيعى البشرى . الذى يقتضيه المنهج العلمى ، ومثل هذا يقال عن تاريخ الدول المصرية السورية ، فلا نتردد فى أن ندرسها وأن نضعها مع ما كانت عليه ، وكذلك بالنسبة لتراجم رجالها وأماكنها .

معين التاريخ لأهل التأريخ

٤ - أقسام الكتاب وأبوابه :

القسم الأول :

الباب الأول : الوصف الجغرافى ، الفصل مرتب إقليمياً .

الباب الثانى : الوحدات السياسية العامة والخاصة ، مرتبة إقليمياً
ترتيباً زمنياً .

الباب الثالث : تعاقب الحضارات ، مرتب إقليمياً ترتيباً زمنياً .

القسم الثانى :

ويحتوى على دراسات تحقيقية تتعدى حدود الزمان والمكان ،
كالتجارة والسكة .

القسم الثالث :

الباب الأول : المعجم الجغرافى ، ويرتب هجائياً ترتيباً عاماً .

الباب الثانى : تراجم الرجال ، ويرتب هجائياً ترتيباً عاماً .

الباب الثالث : الأطلس الجغرافى .

الفهارس العامة :

- - إذا أقرت الندوة المشروع من حيث المبدأ ، تكون المرحلة الأولى تقسيم العمل بين المؤرخين والجغرافيين فى لجان المجلس ، وذلك لوضع أسماء الفصول المختلفة فى جذاذات مستقلة . وعلى هذا الأساس يعاد عرض الموضوع فى اجتماعات مشتركة ، لتقدير ما يلزمه من مال ووقت ووسائل . نتقدم بطلبها من أولى الأمر .

معين التاريخ لأهل التأريخ

دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

معين التاريخ لأهل التأريخ

١- كتاب التاريخ الاقتصادي

المقرىزى المؤرخ ، وهو شيخ الكثيرين من المشتغلين بالدراسات التاريخية في الجمهورية العربية المتحدة ، له كتاب مطبوع ضمن مؤلفاته الصغرى عنوانه « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، أحصى فيه مؤلفه ما اجتازته مصر من كوارث الغلاء والحجاعة ، منذ ما قبل الطوفان إلى عصره . والمقرىزى في هذا الكتاب - فيما نعلم - هو المؤرخ العربى المصرى الأول الذى تعرض بالبحث العلمى لهذه انتاحية الاقتصادية الاجتماعية فى التاريخ المصرى ، بقلدر ما سمحت به المنهجية العلمية من طاقة محدودة وأفق محدود فى العصور الوسطى . ومع هذا حاول المقرىزى فى تدوينه لأخبار الأغيلة والحجاعات أن يتقصى أسباب هذه الظواهر بروح عقلية ، بل اقترح بعض الوسائل الاقتصادية السليمة لعلاجها ، أو الوقاية منها ، كما أنه تناول طبقات المجتمع المصرى فى زمنه بالتقسيم والتصنيف ، ووصف كل طبقة من طبقاته فى شيء من التفصيل التشرىحي .

ويشير المقرىزى فى عباراته الافتتاحية إلى سبب تأليف هذا الكتاب ، وهو أن جماعة طويلة متقطعة حدثت فى زمنه من سنة ١٣٩٣ إلى ١٤٠٥م (٧٩٦ - ٨٠٨ هـ) ، أى مدة اثنتى عشرة سنة ، حين كان عمره فى بدايتها ثلاثين سنة ، فرأى أن أسبابها وأسباب ما سبقها من غلاء متكرر ليس مرجعها دائماً إلى نقص النيل فقط ، كما زعم الناس دائماً ، بل توجد ثلاثة أسباب جوهرية أخرى ، أفاض هوفى شرحها فى فصل تحليلى طويل .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وهذه الأسباب هي : (أولاً) ولاية الوظائف السلطانية والمناصب الديفية بالرشوة ، و (ثانياً) غلاء إيجار الأطنان وزيادة قفقات الحرث والزراعة على مبلغ ما تغله الأرض من محصول ، و (ثالثاً) رواج القلوس النحاسية - وهي المحقرات - في المعاملات ، على حين ينبغي أن يستند النقد والتعامل على قاعدة الذهب والفضة .

ومن الجديده كذلك في هذا الكتاب أن المقرئ يرى شرح هذه الأسباب شرحاً عقلياً ، تخلله إشارات واضحة إلى نظرية دورية الأنزمات الاقتصادية ، وقانون طرد النقود الرديئة للنقود الجيدة من الأسواق والمعاملات ، وعملية إيقاف التضخم المالى ، بتثبيت النقد على قاعدة الذهب والفضة .

وأدرك المقرئ ما يتأتى عن الأغلبية والمجاعات من الطوائع ، دون أن يتناول هذه الإشارة بشيء من التفصيل . غير أنه من المعلوم لدينا أن هذه الظواهر المتكررة ، في الشرق والغرب في العصور الوسطى ، تتحرك في العادة حركة دورية متتابعة الدوائر ، بحيث تكون الظاهرة الواحدة منها سبباً للظاهرة اللاحقة لها ، ونتيجة للظاهرة السابقة عليها ، وهكذا .

ومن الطوائع التي ملأت أخبارها الشعاء كتب التاريخ ، في الشرق والغرب ، طاعون عام اشتهل وانتشر بالعالم القديم منذ سنة ١٣٤٦ م (٧٤٩ هـ) ، وسماه المؤرخون المعاصرون في مصر سنة الفناء ، وسماه المؤرخون الأوروبيون عندهم الموت الأسود . ووصف المقرئ في هذا الوباء في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (ج ٢ ، ص ٧٧٣ وما بعدها) وصفاً رائعاً ، متقولاً من مرجع معاصر لذلك الوباء ، ويبدو أنه مفقود ، أو أنه على الأقل غير معروف لي ، ولهذا هو نص افتتاحية المقرئ : « ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم ، بل عم أقاليم الأرض شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، وجميع أجناس بني آدم وغيرهم ، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر . وأول ابتدائه كان من بلاد القان الكبير . . . وبعدها من توريز ... ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها ، وبلاد

معين التاريخ لأهل التاريخ

أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم، ودخل إلى أنطاكية... (ص ٧٧٤) وهم
الوباء بلاد قرمان... وبيغلاد، وأرض حلب، والشام ومصر وبرقة وإفريقية
وبلاد الفرنج. ويستمر المقرئ في ذكر أخبار هذا الوباء حتى تبلغ صفحاته
عشرين صفحة مطبوعة من القطع الكبير، وهذه الأخبار واردة بنصها وفصها في
الجزء العاشر من كتاب «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، لابن تغري بردى»
في عدد مقارب لذلك العدد من الصفحات. والمعروف أن ميلاد المقرئ كان
بعد وقوع هذا الوباء بثمان عشرة سنة، وأن ميلاد ابن تغري بردى كان بعد
ميلاد المقرئ بسبع وثلاثين سنة، وأن ابن تغري بردى تتلمذ على المقرئ
وأخذ عنه، ونقل منه أخبار الوباء، وغيره من الأخبار، ومع هذا حلا
لابن تغري أن يختم صفحاته في وصف هذا الوباء بما نصه: «ورأيتُ أنا من
رأى هذا الوباء، فكان يسميه الفصل الكبير، ويسمونه أيضا سنة الفناء»،
ويتحكون عنه أضعاف ماحكيانه، يطول الشرح في ذكره، وأراد ابن تغري
بردى بهذه العبارة المستندة إلى ضمير المتكلم أن يضيف على صفحاته هالة
المعاصرة أو شبهها، مع العلم بأن ستا وخمسين سنة تفصل بين ميلاده وتاريخ
هذا الوباء، على حين سبقه المقرئ إلى نقل أخبار هذا الوباء من مرجع
لم يذكره، لكنه لم يعقب على ما نقله بقليل أو كثير.

أما المراجع الأوروبية الخاصة بأخبار هذا الوباء في أوروبا، فأهمها في قائمة المؤلفات
المعاصرة كتاب ليالي ديكاميرون، وهو الكتاب الذي ألفه بوكاشيو الفلورنسي،
ووصف فيه تجارب فئة من الفلورنسيين أيام الوباء، ويلي ذلك عدد من المقالات
أحصاها المؤلف الألماني الحديث نوهل "Nohl" في قائمة المراجع، بكتابه الذي
عنوانه «الوباء الأسود». ومن هذا الكتاب الحديث وغيره من الكتب
الأوروبية المكتوبة في أسلوب تاريخي منير يتضح أن هذا الوباء امتد - كما ورد
في المراجع العربية التي تقدم ذكرها - من بلاد الصين وتركستان عبر طرق
التجارة الآسيوية البرية إلى أوروبا والشرق الأدنى في العصور الوسطى،
فانتقل من آسيا الصغرى إلى إيطاليا وإسبانيا، ثم زحف إلى فرنسا عن

معين التاريخ لأهل التاريخ

طريق مرسيليا ؛ ودخل إنجلترا عن طريق مقاطعة دور تشستر ، ثم تحول شرقا فاجتاز ألمانيا وبلاد شبه جزيرة اسكنديلوة ، ومنها اشتغل في بولنجه وولفسا وروسيا .

على أن هذه الإشارات الدالة على خط سير الوباء الأسود ، ومطابقة هذا الخط في جميع الأحوال لطرق التجارة الداخلية في أوروبا ، ليس غرضها هنا التمهيد لشرح حوادث هذا الوباء في البلاد الأوروبية ، أو مقارنة هذه الحوادث بأشباهاها المتوازية معها زمنيا ببلاد الشرق ، بل غرضها أولا معرفة ما نجم عن هذا الوباء في أوروبا ، وهو ما جهلت البحوث الأوروبية في استخراجها من كتب الأخبار والتاريخ التي أعقبت هذا الوباء ، ورتبت عليه معظم الحركات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في أوروبا ، منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ، فصاعدا .

لذا تكفى الإشارة هنا إلى أن هذا الفناء العظيم كان طاعونا دُمليا ، وأنه عكف على اختيار الشباب الأقوياء ، وأنه لم يهمل فريسة من فرائسه إلا يوماً أو بعض يوم ؛ وهكذا كان الحال في الغرب والشرق سواء . أما نتائج هذا الفناء في أوروبا ، فينبغي أولا أن ندرك أنه لم يأت بانقلابات مفاجئة للمجتمع الأوروبي ، إذ الأقرب للمعقول والمقبول تاريخياً أنه حرك بمختلف البلاد الأوروبية الناقصة سلسلة وثيدة من التغيرات التي بلغت في مجموعها - وشمولها ونتيجتها - مبلغ الانقلاب العام . ففي الأديرة اضمحل النشاط الأدبي ، وفسد النظام الديري . وفي البلاد التي أباد الفناء معظم أهلها أقفرت كنائس الأبرشيات من القسس والمصلين . وفي إنجلترا حلت اللغة الإنجليزية محل الفرنسية في المدارس ، لأن المعلمين الإنجليز نورمانين كانوا قلة أخذ الوباء أكثرها ، ولذا قامت على التعليم طبقة قومية جديدة من المعلمين الإنجليز ، كما بدأ التعليم يعتمد تدريجياً على اللغة الإنجليزية القومية .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وفى فن العمارة وهندسة البناء غلب الطراز المتعامد على الطراز القوطى القديم ، لبساطة التعماد وسهولة أشكاله وملاءمته لطاقت الممارين ، بعد أن غلوا فئة قليلة مضطرة إلى سرعة الإنجاز وسرعة التنقل بين البلاد . وفى المزارع كذلك خطت حركة استبدال الأجور بالخدمة فى الحقول خطوات بالغة السرعة ، وهى الحركة التى أدت أخيراً إلى اختفاء القنية من الزراعة ، وتحطيم نظام المشاع والحقول المفتوحة فى زراعة الأرض فى العصور والوسطى .

أما السبب فى هذه الحركة الزراعية التى لم تقتصر على إقليم دون إقليم فى غرب أوربا ، فهو أولاً قلة الأيدى العاملة فى الزراعة ، بسبب الفناء ، ومطالبة الفلاح القنّ لنفسه بأجر نقدى أحسن وأكثر إغراء من الخدمة فى الأرض ثمناً لمرق جبينه ، وهو ما جعل السادة الإقطاعيين أصحاب الضياع غير قادرين على زراعة أراضيهم إلا بتأجير الفلاحين بأجور نقدية ، من مختلف الجهات والبلاد الخارجة عن حيازتهم الإقطاعية .

وترامت هذه الحال الجديدة فى وضوح لأهل الطبقة الإقطاعية الحاكمة فى إنجلترا وفرنسا ، وأفزعهما ما سوف يترتب عليها من نتائج ثورية ، فسنت فرنسا قوانين حرّمت على الفلاحين وسائر عمال الحرف أن يأخذوا أكثر من الثلث ، فوق أجورهم السابقة على الفناء . وقرر البرلمان فى إنجلترا بقانون العمال عودة الأقتان وعمال الحرف إلى أجورهم القديمة ، كما حرّم عليهم الانتقال من جهة إلى أخرى .

غير أن نوااميس الاقتصاد لا تستطيع أن تقف جامدة راکدة ، وإن كان من المستطاع تعطيلها مدة قصيرة بقوة اتقانون ، ولذا لم تلبث القوانين التى شرعها إنجلترا وفرنسا أن عجزت عن تعويق حركة أنشطتها الأحوال العامة المعاصرة ، بل بقدر ما قلت خدمة الفلاحين الأقتان فى أرض السادة الإقطاعيين على الطريقة القديمة ، وضحت فائدة استخدام الفلاحين الأحرار من مختلف الجهات ، على قاعدة الأجور النقدية .

معين التاريخ لأهل التأريخ

وهكذا أخذت العوامل الاقتصادية الجديدة تقوّض من دعائم نظم العصور الوسطى شيئاً فشيئاً ، حتى إذا تحلل الفلاح القرن مما يربطه بالأرض من قيود العرف الإقطاعي ، وغدا حراً في تسعير خلماته في سوق العمل ، لم تلبث الأصوات الاقتصادية الجديدة أن ارتفعت متحدة النظام الاجتماعي الأوروبي كله ، منكرة بما سوف تمتلئ به أواخر العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة من ثورات الفلاحين في إنجلترا وفرنسا وألمانيا والأراضي المنخفضة .

وبما ترتب على ذلك الوباء الأسود كذلك في غرب أوروبا أن كثيراً من المدن الأوربية الكبرى قامت بسلسلة من المذابح والتخريب ضد سكانها من اليهود ، على عادة الأوربيين ، ولا سيما في العصور الوسطى ، عند كل كارثة تنزل بأوروبا ، على حين عاش اليهود بالشرق الإسلامي في رغد واطمئنان في كل العصور ذلك أن الأوربيين اعتقدوا أن كل الكوارث كان سببها دائماً هم اليهود ، وقالوا مثلاً إن الوباء الأسود مكيدة خبيثة من أبناء هذا الجنس ، للقضاء على المسيحية الكاثوليكية .

وبقدر اشتعال الوباء في مختلف المدن الأوربية كان اشتعال الحرائق وخاصة في المدن الألمانية ، حيث سبقت المئات والألوف من اليهود للموت حرقاً بالنار ، ونجم عن هذه الأعمال أمر على جانب من من الأهمية في التاريخ الأوربي ، إذ وجد اليهود الذين استطاعوا الهرب من غرب أوروبا ملجأ في بولندة وغيرها من أقاليم أوروبا الشرقية ، أي أن كارثة الوباء الأسود أدت إلى تغيير التوزيع السكاني اليهودي في العصور الوسطى وما تلاها من العصور الحديثة .

ولكارثة الوباء الأسود نتائج أخرى ، ففي فلورنسا نقلا عن الوصف المعروف الذي كتبه بوكاشيو في أخبار الوباء بتلك المدينة ، أسلم البعض أنفسهم لأنواع المللّات ، واستولى على البعض طوف ديني ، وأولئك هم السياطيون الذين ساروا جماعات في طرقات المدينة يضربون أنفسهم

معين التاريخ لأهل التأريخ

بسياط من حديد ، تكفيراً عن ذنوب المذنبين من الناس ، وتزلفاً إلى السماء أن ترفع غضبها عن المخلوقات ، على حين اتخذ فريق لم يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء حياة اللصوصية وقطع الطرق سبيلاً للعيش .

وثمة نتيجة عابرة أخرى من نتائج هذا الوباء ، هي أن البابا كلمنت السادس – والكرسي البابوي وقتذاك في آفنيون بفرنسا – دعا أبواب الطب إلى محاولة جريئة فريدة في تلك العصور الوسطى ، لتشخيص أسباب الوباء ، فنبشت قبور ، وأخرجت جثث للفحص . ومع أن هذه المحاولة الطبية الجريئة انتهت إلى لا شيء ، فإنها غيرت على الأقل من موقف الكنيسة نحو تشريح الجسم البشري ، في سبيل المعرفة والعلم .

هذه خلاصة ما جاءت به البحوث الأوروبية في نتائج الوباء الأسود الذي بدأ في الشرق الأوسط كما تقدم ، وظل مشتتاً به مدة أطول مما اشتعل في أوروبا ، وهي خلاصة شارحة تجمل كثيراً من ملامح التاريخ الأوروبي منذ أواخر العصور الوسطى واضحاً مفهوماً ، للمشتغلين بتاريخ أوروبا الحديث : وينبغي أن يكون لدينا من نتائج بحث الباحثين في تاريخ هذا الوباء في الشرق الأوسط كله ما نستطيع به أن نفسر جوانب تاريخ مصر والشام مثلاً ، منذ القرن الرابع عشر الميلادي ، تفسيراً جديداً ، لأنه لا شك أن المجتمع في مصر والشام لم يقل حساسية عن المجتمع الأوروبي ، ولا بد أن الوباء أحدث بمصر والشام مثلاً أحداثاً ينجلتراً وفرنسا ، أو ما هو أكثر من ذلك ، نظراً لزيادة طول مدة اشتعاله بالشرق .

وفي صفحات المراجع العربية المعاصرة للوباء أو القرية منه ما يسعف الباحث بالمادة الوفيرة ؛ ومثال ذلك ما أورده المقرئ في « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » من إشارات متنوعة متقطعة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، فضلاً عما سبق لإيراده هنا من أخبار هذا الوباء ، ما كتبه المقرئ بالجزء الثاني من هذا الكتاب هكذا :

معين التاريخ لأهل التاريخ

(ص ٧٧١) « وفيه انحلت إقطاعات كثيرة لموت الناس ... » .
(ص ٧٧٢) « فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام ،
من كثرة النفاق ، وقطع الطريق ... » .

(ص ٧٧٥) « وشمل الموت أهل البرلس ونسراوة ، وتعطل الصيد من
البحيرة لموت الصيادين ... وعمّ الوباء جميع تلك الأراضي ، ومات الفلاحون
بأسرهم ، فلم يوجد من يضمّ الزرع ، وزهد أرباب الأموال في أموالهم ،
وبذلوا للفقراء ... » .

(ص ٧٧٩) « وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها ، وجفّت أشجارها ،
لكثرة موت أهلها ودوابهم ... » .

(ص ٧٨٥) « ثم كان الحال كذلك بأراضي مصر ، فاجاء أوان الحصاد
حتى في الفلاحون ، ولم يبق منهم إلا القليل ، فخرج الأجناد وغلبهم لحصد ،
ونادوا : من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده . فلم يجلبوا من يساعدهم
على ضمّ الزروع ، ودرسوا غلالهم على خيولهم ، وذروها بأيديهم ، وعجزوا
عن كثير من الزرع فتركوه . وكانت الإقطاعات قد كثرت ثقلها من كثرة
موت الأجناد ، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى
يأخذه السابح والثامن . فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الحياطين
والأساكفة والمسادمين (كذا) ، وركبوا الخيول ، ولبسوا الكلفة
والقباء ... » .

(ص ٧٨٦) « وتعطلت أكثر الصنائع ، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال
الموتى ، وتصدى كثير منهم للتداع على الأمتعة ، وانحط سعر القماش ونحوه ،
حتى بيع بخمسة ثمنه وأقل ، ولم يوجد من يشتريه . وصارت كتب العلم
يتنادى عليها بالأحمال ، فيباع الحمل منها بأخمس ثمن وانضعت أسعار المبيعات
كلها ، حتى كانت الفضة النقرة التي يقال لها بمصره الفضة الحجر تباع
العشرة منها بتسعة دراهم كاملية ، وبقي الدينار بخمسة عشر درهما ، بعد ما

معين التاريخ لأهل التاريخ

كان بعشرين . وعلمت جميع الصنائع ، فلم يوجد سقاء ، ولا بابا ولا غلام . وبلغت جامكية غلام الخليل ثمانين درهماً في كل شهر ، بعد ثلاثين درهماً . فتودى بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صناعته ، وضرب منهم جماعة . وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم ، لقلة الرجال والمال ، وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهماً

•

ومن الواضح من هذه الاقتباسات أن المقرئ مزج بين النتائج السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نتجت عن هذا الوباء الكبير في مصر والشام ، وأنه لم يفرق بين القريب والبعيد من هذه النتائج .

على أن موضع الأهمية هنا هو وجود هذه الحقائق وأشباهها في المراجع العربية الكبرى ، دون أن يجعل منها مؤرخ مصرى أو سورى في العصر الحاضر بحوثاً تمهيدية لتاريخ اقتصادى للشرق الأوسط ، أو وسيلة لإضافات تفسيرية لتاريخ الدولة المملوكية الأولى منذ بداية عصر أولاد السلطان الناصر محمد إلى نهاية هذه الدولة .

ذلك أن المواتر في المؤلفات التاريخية العامة أن سلطنات أولاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وهم الذين تصف المراجع الصامة عهدهم وأشخاصهم بالضعف ، هي التي أدت إلى نهاية هذه الدولة في سلسلة من اضطرابات وفتن داخلية ، محورها عجز أمراء الدولة عن أن يجندوا في تكوينهم المملوكى العسكرى متسعاً لقبول مبدأ التوريث في السلطنة ، أو أن يروا في السلاطين أولاد الناصر محمد موضعاً لاحترام أو هبة أو خشية ، وكل من أولئك السلاطين في الواقع أسوأ من غائب عن شئون السلطنة . ولهذا وذلك عمل كل أمير من أمراء الدولة لحسابه في عنف وأنانية واستهتار ، وبدا المجتمع المملوكى في مصر والشام كأنما لكل أمير فيه قانون خاص به ، يجمع الثروة والتفوذ لنفسه على مقتضاه ، ويبنى المسجد والمدرسة والزاوية

معين التاريخ لأهل التأريخ

واقبة والفریح باسمه استجابة لمظاهر الدين ، أو إشباعاً للتقوى ، أو حباً للذكرى . على أن ذلك كله لم يكن مرجعه ضعف السلاطين الأنجال فحسب ، بل مرجعه كذلك ما طرأ على المجتمع المملوكى المصرى من تغيرات عميقة بسبب الفناء الكبير ، والأدلة على ذلك لا تقتصر على ما نقلت الإشارة إليه من تعميمات المؤرخين ، بل تتراءى مبعثرة فى أخبار الدولة المملوكية وتكوين الجيش المملوكى ، وثورات الفلاحين والعربان .

ويقال مثل ذلك بصدد عجز الدولة المملوكية الثانية عن دفع الخطر التيمورى عن مصر والشام ، إذ تروى المراجع العامة أن هذه الدولة الناشئة لم تستطع أن تقف فى وجه تيمورلنك ، أو أن تمنع مذلات الاحتلال التيمورى للمشرق ، لاسبب سوى ضعف السلطان برقوق وابنه فرج ، بدليل أن هذه الدولة الجديدة لم تكن أقل قوى اقتصادية أو طاقات بشرية من دولة المماليك الأولى التى وقفت وقفها التاريخية الهيدة زمن السلطان قطز ضد هولاكو وجنوده ، أى قبل كارثة تيمورلنك بمائة وخمسين سنة تقريباً . غير أن هذا القول العام فيه شىء كثير من التناقض ؛ لأن السلطان برقوق مثلاً هو الذى أقام الدولة المملوكية الثانية ، وبرهن على مقدرات ومواهب خاصة ليس الضعف الشخصى جزءاً منها . ثم إن القوى الاقتصادية والطاقات البشرية التى تيسرت للسلطان فرج وبرقوق ، لم تكن شيئاً مذكوراً بالقياس إلى نظائرها السالفة زمن السلطان قطز . ولذا فالأقرب للمقول فى ضوء الحقائق التاريخية غير الملحوظة ، أن المجاعة التى أكلت الحرث والتسل لمدة اثنتى عشرة سنة فى مصر والشام ، من منتصف عهد برقوق إلى منتصف عهد فرج ، والتى ذكرها القرىزى فى كتابه إغاثة الأمة ، هى التى أوهت قوى المقاومة المملوكية ضد تيمورلنك وجنوده ، وملأت البلاد بثورات الأمراء المماليك ، ومحاولة الخليفة العباسى وقتذاك أن يجعل شخصه مستودع السلطنة والخلافة مما . والمعروف أن هذه المجاعة الطويلة تخللها وباء كبير ، وهذا الباء الذى

معين التاريخ لأهل التأريخ

أعجز بنية الجيوش المملوكية عن القيام بأية حركات هجومية ضد الدولة حتى زمن السلطان يرسباى .

وليس يكفى للمؤرخ هنا أن يكون عليا بقواعد البحث والكتابة فى التاريخ ، من جرح وتعديل وحساسية لمقتضيات التوزيع والتناسب والتنسيق والتركيز ، بل لابد له أن يكون كذلك عارفا ، معرفة عملية على الأقل بنظريات علوم الاقتصاد والاجتماع وشروحها وبراهينها .

•

ولنا ينتهز كاتب هذه السطور ما لديه هنا من فرصة ، للدعوة إلى ضرورة إدخال علوم الاقتصاد السياسى والاجتماع والفلسفة السياسية كذلك ، مع الجغرافيا واللغات الأجنبية ، فى أقسام التاريخ ، للتخصص فى هذه المواد تخصصاً ملائماً للأغراض التاريخية ، بحيث يغدو محتملاً أن نرى مؤلفات وطيلة القيمة العلمية فى جميع عصور التاريخ الاقتصادى ، والتاريخ الاجتماعى ، فضلاً عن مؤلفات جديدة فى التاريخ السياسى العام ، للشرق العربى كله ، فى المستقبل القريب .

معين التاريخ لأهل التأريخ

الدكتور محمد كامل عياد

— ١٢ —

المُسْتَشْرَقُونَ وَالتَّائِيخُ الْعَرَبِيُّ

معين التاريخ لأهل التأريخ

المستشرقون كتاب التاريخ العربي

هناك كتابان فقط بالعربية يبحثان في الاستشراق : أولهما « المستشرقون » بقلم نجيب العقيقي ، وهو عبارة عن فهرس يتضمن تراجم أحوال المستشرقين من مختلف الجنسيات مع أسماء مؤلفاتهم ثم ، في خاتمة بحث عام للإشادة بفضل المستشرقين والرد على الانتقادات التي وجهت إليهم . والكتاب الثاني هو « الإسلام والحضارة العربية » الذي ألفه الأستاذ محمد كرد علي للرد على مطاعن المستشرقين والشعوبيين في العرب والإسلام . وعلى الرغم من أن الأستاذ كرد علي كان قد أشار في محاضرة له إلى « أن أكثر المستشرقين قد جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم » فهو لا يتعرض إلا إلى القلائل من المعروفين بالتعصب الديني ، كما أنه يعتمد كل الاعتماد على مستشرقين وكتاب غربيين آخرين في الدفاع عن العرب والإسلام .

إن موضوع الاستشراق خطير جداً ، وهو يحتاج إلى مباحث كثيرة ودراسات واسعة عميقة . ومهما كان رأينا في نوايا المستشرقين فلا بد لنا من الاهتمام بأعمالهم ، فنحن بحاجة إلى اقتباس طرائقهم في البحث العلمي والتدقيق التاريخي ، ولا يمكننا إدراك نقاط الضعف فيها وتكوين فكرة صحيحة عن أنفسنا إلا إذا عرفنا ما يقوله الآخرون عنا . ولا جدال في أن كل من يرغب في دراسة تاريخ العرب وحضارة الإسلام لابد له في الوقت الحاضر من الرجوع إلى مباحث المستشرقين . فإن هؤلاء قد سبقونا وأخلوا منذ أوائل القرن التاسع عشر ينشرون أهم المصائد عن تاريخنا وحضارتنا مع بكل

معين التاريخ لأهل التاريخ

أعظم الجهود في تحقيقها علمياً ووضع الفهارس الضرورية والشروح الوافية لها . وقد أعيد طبع بعض هذه المصادر في البلاد العربية ولكن ، مع الأسف ، بصورة ناقصة ، مغلوطة ومشوهة ، في حين أن قسماً آخر هاماً لم نقدم على نشره حتى الآن . وإذا كنا قد بدأنا في السنوات الأخيرة نتبع طريقة المستشرقين في إحياء تراثنا القديم فلأننا مازلنا مضطرين عند دراسة تاريخنا إلى الاعتماد على الطبقات الأوربية لمصادر عربية أساسية مثل الطبقات الكبرى لابن سعد ، وفتوح البلدان للبلاذري ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وتجارب الأمم لابن مسكويه والآثار الباقية عن القرون الخالية لليروني ، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي وغيرها .

كذلك سبقنا المستشرقون إلى التنقيب عن آثار أجدادنا . وقد انتقل أكرم هذه الآثار ، ولاسيما النقوش الكتابية التي ظهرت في اليمن ، إلى المتاحف الأوربية .

أضف إلى ذلك الدراسات التي قام بها المستشرقون بالاستناد إلى الأخبار والوثائق والآثار التاريخية . ومن السير جداً إحصاء المؤلفات التي نشرها المستشرقون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم والتي تبحث في تاريخ العرب والإسلام من مختلف النواحي السياسية والدينية والفكرية والفنية . ولا بد من الاعتراف بأننا مازلنا عالة على هؤلاء المستشرقين عند دراسة النقوش الكتابية في اليمن وتدمير البترا وعند معالجة الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب القديم على عهد الآشوريين والآراميين واليونان والرومان والبرنطيين والتي تتطلب معرفة اللغات القديمة .

والآراء متضاربة بشأن مباحث المستشرقين في سيرة الرسول والفتوحات العربية وحكم الأمويين والعباسيين والحروب الصليبية والحضارة الإسلامية والنهضة العربية الحديثة . لأنه لاغنى لنا ، على كل حال ، عن الاطلاع على هذه المباحث سواء للاستفادة منها أو للرد عليها .

معين التاريخ لأهل التاريخ

إننا لانستطيع تحديد موقفنا من الاستشراق إلا بعد دراسة دقيقة له كحركة عامة تشمل فروعاً عديدة من الدراسات في المعاهد العلمية العالية والمؤسسات الخاصة من جمعيات ومجلات ومؤتمرات دولية . وهنا نصطلم بكثير من الأسئلة الشائكة والنقاط الغامضة التي تحتاج إلى الإجابة والتوضيح:

متى وكيف بدأ الاستشراق ؟ لماذا شعر الأوروبيون بالحاجة إلى دراسة (الشرق) على وجه التخصيص ؟ ثم ماذا يقصد بالشرق ؟ وكيف تحول هذا الاصطلاح الجغرافي - الفلكي إلى مفهوم سياسي - تاريخي ، وما هي الاختلافات والمنازعات التي رافقت ذلك على عمر العصور بين شعوب أوروبا من جهة وشعوب آسيا وإفريقيا من جهة ثانية ؟

عند الإجابة على هذه الأسئلة يتبين أن الاستشراق قد بدأ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر لأهداف دينية وعلى الأخص للرد على الإسلام وللتبشير بالمسيحية بين المسلمين واليهود والصينيين والهنود . كذلك كانت البابوية تهتم بتوحيد الكنائس الشرقية والغربية وكان لابد من معرفة العربية واللغات الشرقية الأخرى في سبيل تحقيق هذا الهدف . وتأسيس الطباعة العربية في إيطاليا في أواخر القرن السادس عشر إنما تم بجهود الكنيسة ولأغراضها التبشيرية . وهناك عامل ديني آخر دفع إلى دراسة اللغة العربية وأعنى بذلك الإصلاح البروتستانتي ومرافقه من رغبة في قراءة الكتب المقدسة بلغاتها الأصلية وضرورة الاستعانة بالعربية في تفسيرها وفهمها .

لا شك في أن هذه النواضع الدينية قد تضاءل شأنها في العصور التالية وكادت تزول في بعض العهود وصار الكثيرون من المستشرقين ينكرون أحياناً الانقياد إليها ومحاولون أحياناً أخرى إخفاءها . ولكن تأثيرها ما زال ظاهراً حتى اليوم في معالجة الموضوعات الشرقية عامة والتاريخ الإسلامي خاصة . ويلاحظ أن عدداً كبيراً من المستشرقين الأوروبيين والأميركيين قد بدعوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل الانتقال إلى الاستشراق وأن

معين التاريخ لأهل التاريخ

البعض من هؤلاء ظلوا يتولون وظائف دينية وتبشيرية وأن طائفة منهم ما زالت تتصيف بالتمصب الشديد حتى في هذا العصر .

على أن الدافع الديني وحده لم يكن كافياً لتقدم الدراسات الشرقية واتساعها . وفي الحقيقة لم يتطور الاستشراق إلا بتأثير الاستعمار الغربي ولأجل تحقيق أغراضه السياسية والاقتصادية . ومن المهم جداً بالنسبة لنا أن نكشف عن العلاقة الوثيقة بين الاستعمار والاستشراق وأن نشرح كيف اندفع المولنديون مثلاً إلى دراسة اللغات والديانات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية والعقيدة الإسلامية حرصاً على مصالحهم التجارية الواسعة في البلاد العربية وسعياً وراء مطاعمهم الاستعمارية في الهند الشرقية . ويجب أن نوضح كيف تأسست معاهد الاستشراق وجمعيات المستشرقين مثل « معهد اللغات الشرقية » الذي أسسه بطرس الأكبر في روسيا و « الجمعية الآسيوية للبنغال » التي أسسها الإنكليز و « الجمعية الآسيوية » في فرنسا و « جمعية المستشرقين الألمان » وغيرها ، ولماذا كانت الحكومات تشجعها وتقدم لها الأموال الطائلة وكيف أنها جميعاً ، رغم تظاهرها بالسعى وراء أهداف علمية ، كانت ترمى إلى أغراض اقتصادية وسياسية ودينية . ولما كانت العلاقة بين الاستعمار والاستشراق متشعبة متشابكة معقدة ؛ فلا بد لنا من التعرض إلى مسائل كثيرة عريضة . هكذا مجلد بنا أن نتابع تطور دراسة المستشرقين واختلاف الموضوعات التي كانت تسرعى انتباههم في شتى أدوار الاستعمار من دور الغزو والتوسع إلى دور توطيد النفوذ الأوروبي في الشرق ثم دور مقاومة الثورات القومية التحررية . وينبغي أن نحصل على معاوومات كافية عن المهمات التي كان يعهد بها إلى علماء الاستشراق ، إذ من المعروف أن كثيرين بين هؤلاء لم يكونوا أساتذة في الجامعات والمعاهد العالية وأعضاء في البعثات الأثرية فحسب ، بل كانوا أعضاء مستشارين وموظفين وجواسيس في دوائر الخارجية والمستعمرات والاستخبارات . ولا مناص لنا من التساؤل عن العلاقة بين جهود إنكلترا السياسية في القرن التاسع عشر لتأمين سلامة

معين التاريخ لأهل التاريخ

طريق الهند وبين نشاط المستشرقين الإنكليز ورحلاتهم إلى الجزيرة العربية .
ومن المعلوم أن الدراسات العربية لم تتسع في فرنسا إلا بعد الاستيلاء على
الجزائر وتونس . وإذا رأينا المستشرقين الفرنسيين يوجهون كل عنايتهم
إلى قبائل البربر ويدرسون تاريخها وعاداتها وتقاليدها فالغاية الاستعمارية
واضحة .

ثم ما هي الأسباب التي تدفع المستشرقين عامة إلى تركيز اهتمامهم على
تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد وإهمال تطور هذه الشعوب في
العصور الحديثة والسكوت عن نهضاتها القومية وحركاتها التحررية الحاضرة ؟
ولماذا يبالغون في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة ولكنهم يقتصرون على
وصف العناصر البالية الميتة في هذه الحضارات دون الإشارة إلى عناصرها
الصالحة للحياة والتي كان لها تأثير في تقدم الإنسانية ؟

إن مباحث المستشرقين في النهضة العربية الحديثة قليلة جداً وهي مختصرة
وسطحية على العكس من دراساتهم عن تاريخ العرب القديم وعن التاريخ
الإسلامي ، فلها كثرة تكاد لا تحصى وهي تتعرض إلى عدد كبير من
المسائل ولكنها تحوم في الغالب حول الفتن الأهلية والحلقات المذهبية ومظاهر
الانقسام والتفخخ . وهذه الدراسات قلما تعالج الحياة الاقتصادية والاجتماعية
والحركات الشعبية وتطور الأنظمة السياسية . إنها تتمركز حول المسائل
النفوية والنصوص الدينية وأخبار قصور الملوك والأمراء والخفريات الأثرية .
ومن الغريب أن نرى المستشرقين يبذلون كل جهودهم للكشف عن العوامل
الخارجية والعناصر الغربية التي كان لها بعض التأثير في نشأة الإسلام والحضارة
العربية في حين أنهم يذكرون باختصار أو بالأحرى يهملون بالمرّة مظاهر
التطور والتجديد والابتكار عند العرب . على أن هؤلاء المستشرقين الذين
يحاولون إرجاع الفلسفة والعلوم العربية إلى أصولها اليونانية يعودون من جهة
ثانية ويتوسعون في بيان الفروق الجوهرية بين الشرق والغرب ، وينكرون
على الشرقيين وبينهم العرب أن يكونوا قد بلغوا مستوى اليونان القدماء

معين التاريخ لأهل التأريخ

و. بالتالى مستوى الأوروبيين الحديثين فى إدراك فكرة الإنسانية ومفهوم العلم وحقيقة الفن .

ويدعى المستشرقون أن للشرقين « عقلية » خاصة وطريقة خاصة فى التفكير ويستنجون من ذلك أنه لا يمكن مقارنة ما جرى فى الشرق اليوم بما يشابهه . من الحركات القومية فى الغرب وأنه يجب فصل تاريخ الشرق فصلاً تاماً عن تاريخ الغرب .

ولابد من أن يؤخذ فى الاعتبار أن المستشرقين المتأخرين أمثال (مرجليوث) و (قايتانى) و (لامنس) قد استطاعوا أن يوصلوا بين الأغراض الاستعمارية والأهداف الدينية التبشيرية .

لاشك فى أن هناك عوامل أخرى كان لها أيضاً تأثير فى تقدم الدراسات الشرقية . مثال ذلك تقدم علم التاريخ فى القرن التاسع عشر . فقد أدرك الباحثون أنه لا يمكن الكشف عن قوانين التطور التاريخى العام إلا بالطريقة المقارنة التى تتطلب العناية بتاريخ الأمم الشرقية إلى جانب تاريخ الغرب . كذلك لا ننكر أن بعض المستشرقين قد اندفعوا إلى دراسة تاريخ العرب أو حضارة الصين بدافع من حب المعرفة والبحث عن الحقيقة ، ولكن الجهود العلمية التى يبذلها هؤلاء الأفراد لا يمكن أن تبدل الاتجاه العام فى حركة الاستشراق . ونحن وإن كنا مضطرين إلى الرجوع إلى مباحث المستشرقين فمن واجبنا أن نسعى إلى دراسة تاريخنا بأنفسنا وأن نصصح أخطاء المستشرقين ومغالطاتهم وأن نرد على دسائسهم ومطاعهم بالطريقة العلمية الانتقادية التى يتبعونها .

تلك هى المسائل التى أبحث فيها بالوقت الحاضر . وقد بدأت فى السنة الماضية بإلقاء عدة محاضرات تمهيدية عنها على طلاب معهد الدراسات العربية العليا فى القاهرة . وأرجو أن تسمح لى الظروف بإتمام دراسة الموضوع فى حلة قريبة . . .

محمد عبد الله عنان

الجُورُثُ الْأَنْدَلُسِيَّةُ

معين التاريخ لأهل التأريخ

المبحث الأول

جازت البحوث الأندلسية منذ أوائل القرن الماضي عدة مراحل ، وتطورت تطوراً كبيراً . وهذا القول ينطبق أولاً على البحوث الغربية ، لأن البحوث العربية لم تنشط خلال القرن الماضي في الميدان الأندلسي ، وكان أخو مجهود ضخم بذل من جانبها في هذا الميدان هو كتاب « نفح الطيب » لشهاب الدين المقرئ ، وقد كتب في أوائل القرن السابع عشر (سنة ١٦٣٠ م) . وقد لبث « نفح الطيب » خلال قرنين أشهر مرجع وأغزر مصدر للدراسات العربية الأندلسية ، وذلك بالرغم من كونه ليس تاريخاً للأندلس بالمعنى الصحيح ، إذ هو في الواقع عبارة عن مجموعة كبيرة من الروايات والنصوص التاريخية والأدبية ، التي جمعت عن تاريخ الأندلس وآدابها ، وذلك دون تمحيص أو تعليق أو اجتهاد نقدي من أى نوع .

وهكذا لبثت البحوث العربية راكدة ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . ومنذ أوائل القرن التاسع عشر تنشط البحوث الغربية ، وتبقى البحوث العربية على ركودها ، معتمدة على النقل المجرد من « نفح الطيب » وبعض المصنفات العربية القليلة الأخرى ، مثل كتب ابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون . وقد بدأ نشاط البحوث الغربية عقب ظهور فهرس الغزيري باللاتينية عن مخطوطات مكتبة الإسكوريال الأندلسية (ما بين سنتي ١٧٦٠ و ١٧٧٠ م) وما ورد فيه من نبذ ونصوص هامة عن تاريخ اسبانيا المسلمة ، وأحوالها الاجتماعية والحضارية ، وما سجل فيه من المصادر المخطوطة الهامة ، المتعلقة بتاريخ الأندلس وآدابها .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وقد كان في مقدمة الباحثين الذين انتفعوا بفهرس الغزيرى ، العلامة اليسوعى الإسباني ماسدى ، حيث أخرج كتابه الضخم « التاريخ النقدى لإسبانيا والحضارة الإسبانية » Historia critica de España y de la Cultura Española. وهو يفسح في مؤلفه مجالا كبيرا للمراجع العربية ، وينقل منها نبذا طيبة عن خواص المجتمع الإسلامى في إسبانيا ، ونواحى التفكير الإسلامية . وتلاه المؤرخ الإسباني يوسف كوندى ، فوضع كتابه الشهير « تاريخ دولة العرب في إسبانيا » Historia de la Dominación de los Arabes en España. وفيه ينقل كثيرا من الروايات العربية ، سواء من معجم الغزيرى أو من المراجع العربية الأصلية بمكتبة الإسكوريال .

وكوندى ينقل ما ينقل دون دقة وبدون تمحيص أو مقارنة ، ويقع في كثير من الأخطاء التاريخية ؛ ولكنه يمتاز في تعليقاته وملاحظاته بالصرامة الجمة حتى أنه يذهب أحيانا إلى إصدار أشد الأحكام على أمته ومواطنيه . وقد كان مؤلف كوندى عرضة لطاعن شديدة من بعض الباحثين الأوروبيين ، ولا سيما العلامة دوزى .

على أن البحوث الأندلسية تخطو على يد العلامة الهولندى رينهارت دوزى خطوة واسعة المدى . ودوزى هل أول عالم مستشرق ، استطاع أن يتنفع بالمراجع العربية أعظم انتفاع ، وأن يقدم للعالم الغربى وجهات النظر الإسلامية في صور قوية لامة . وقد كان كتابه « تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى فتح المرابطين » Hist. des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides. فتحا حقيقيا في البحوث الأندلسية ، وكذلك فإن كتابه الآخر « بحوث في تاريخ إسبانيا وآدابها في العصور الوسطى » Recherches sur l'Histoire et la Littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age. من أقيم ما كتب في موضوعه . ويلقى دوزى في كتابه أضواء كثيرة ، على أمور ومساائل عديدة في التاريخ الأندلسى . ولم تغف جهود دوزى عند التأليف في هذا الميدان ، ولكنه وفق كذلك إلى نشر مراجع

معين التاريخ لأهل التاريخ

نفيسة عن تاريخ الأندلس وجغرافيتها منها ، « البيان المغرب » لابن عذارى ، وبعض أقسام من « الحلة السراء » ، والمصادر المخطوطة لتاريخ بني عباد ، ووصف الأندلس للشرىف الإدريسى وغيرها .

ويعتبر دوزى بحق أعظم باحث فى تاريخ اسبانيا المسلمة فى القرن التاسع عشر ، وقد كان لجهوده فى هذا الميدان ، أعظم الأثر فى تطور البحوث الأندلسية .

على أننا نستطيع الآن ، وقد مضى على بحوث دوزى نحو قرن ، أن نتبين مصدر التفوق فى بحثه ، فهو قد وضع يده ، ولأول مرة ، على نصوص عربية مخطوطة استأثر بالانتفاع بها مثل : « البيان المغرب » لابن عذارى ، و « الذخيرة » لابن بسام ، و « الإحاطة » لابن الخطيب ، وقد ترجم الكثير من محتوياتها . ولو تتبعنا كتابه « تاريخ المسلمين فى اسبانيا » بإمعان لأفقيناه فى كثير من مواضعه ، عبارة عن ترجمة حرفية لكتاب « البيان المغرب » لابن عذارى ، ولنيسد مخطوطة أخرى من كتاب « الإحاطة » ، و « الحلة السراء » . ونستطيع فيما يتعلق بالحلة السراء أن نقول إن دوزى من أجل الاستئثار بمادته ، قد عمد إلى تمزيقه بطريقة تنافى الأوضاع العلمية السليمة ، فنقل عنه سائر التراجم التى تتعلق ببني عباد ورجالهم ، فى كتابه : « تاريخ بني عباد » ، ثم استخرج منه التراجم الخاصة بالأندلسيين ونشرها على حدة ، وترك الباقي لينشره باحث أوربي أخو هو المستشرق الألماني ميلر . وقد نشره ضمن ما نشر فى مجموعته :

Beiraage zur Geschichte des Wesentlichen Araber.

ولمى جانب ذلك كله ، ومع اعترافنا بمقدرة دوزى النقدية ، وروعته فى التصوير والعرض ، فإنه يبدى فى مواطن كثيرة تحاملا واضحا ، قومياً ودينياً معاً . وليس هنا موضع تبیان هذه المواطن .

وقد كان لتلك الوثبة القوية التى وثبتها البحوث الأندلسية على يد العلامة دوزى ، صداها العميق فى هذا الميدان ، فنشطت البحوث الأندلسية فى معظم

معين التاريخ لأهل التاريخ

دوائر الاستشراق ، وبدأت المصادر العربية الأندلسية تخرج تباعاً على أيدي محققها من العلماء المستشرقين لتضع ثروات جديدة بين أيدي الباحثين . وكان من أقيم الجهود في هذا الميدان ، نشر المكتبة الأندلسية ، في عشر مجلدات ضخمة ، وذلك على يد ليف من المستشرقين الإسبان ، فيما بين سنتي ١٨٨٣ ، ١٨٩٤ . وقد كانت أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن الحادي بالنسبة للاستشراق الإسباني ، فترة ازدهار قوى ، وقد بلغت البحوث الأندلسية في اسبانيا أوجها في تلك الفترة ، وهي التي نبغ فيها أعلام مثل كوديرا ، ورييرا ، وپونس بويجس ، سيمونيت ، وجسبار ريميرو ، وآسين بالاثيوس ، وجونثال بالاثيا ، وغيرهم ممن أسدو إلى البحوث الأندلسية أقيم الخلفات .

وفي ميدان الاستشراق الفرنسي ، برز في البحوث الأندلسية في العصر الأخير ، بالأخص للرحوم الأستاذ ليفي پروقنسال ، وهو قد أتم عمل دوزي في معنى من المعاني ، إذ نشر الجزء الثالث من «البيان المغرب» ، ونشر مؤلفات ونصوصاً أندلسية كثيرة أخرى ، ولا سيما جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وكتاب المراقبة العليا للنباهي ، وكتاب «التيان أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين» ، و«تكملة التكملة لابن ازبير» ونصوصاً كثيرة عن الموحدين ، والجزء الخاص بجغرافية الأندلس من الروض المطار . وفضلاً عن ذلك فقد نشر بالفرنسية كتابه عن «تاريخ اسبانيا المسلمة» ، وهو مؤلف قيم ، لا يقل عن مؤلف دوزي من حيث قيمته العلمية والنقدية .

هنا ، وأما عن البحوث الأندلسية في بلادنا العربية ، فلها قد لبثت عصراً طويلاً في ركود مؤسف . وقد لبثنا عصوراً نكتفي بقراءة كتاب «نفع الطيب» للمقرئ ، وبالنقل عنه دون تحفظ . ولم يبذل حتى أوائل هذا القرن أى جهد لنشر الكتب الأندلسية ، ولم تنشر منها مطبعة بولاق ، فيما نشرته من عديد الكتب والمراجع سوى «نفع الطيب» ، وهذا في نفس الوقت ، الذي كانت فيه دوائر المستشرقين ، تتحفنا بصورة مستمرة بالمراجع

معين التاريخ لأهل التاريخ

والنصوص الأندلسية القيمة ، وتغزو ذخائرنا المخطوطة ، سواء في المشرق أو المغرب ، وتخرج منها النفيس والتادر .

وقد أخذت البحوث الأندلسية العربية ، منذ بداية هذا القرن ، تبلو في الأفق بطيئة قليلة ، تشاها في نفس الوقت الأساليب العتيقة من النقل المجرد ، ومن غلبة الأدب والشعر على النصوص التاريخية ، ومن فقد الروح النقدي ، والتمحيص العلمي . وبدأ في نفس الوقت نشر المراجع التاريخية الأندلسية ، وكان من أهم مانشر منها في بداية هذا القرن جزآن من كتاب الإحاطة لابن الخطيب . وبالرغم من أن الجامعة الرسمية أنشئت بمصر منذ سنة ١٩٢٥ ، فإن التاريخ الأندلسي لم يأخذ في جامعاتنا مكانته الحقة ، ولم تتخذ دراسته العناية الكافية . ولم تقيم جامعاتنا بنشر أية نصوص أندلسية ، سوى أجزاء قليلة من كتاب « الذخيرة » ، قامت على نشرها جامعة القاهرة ، ثم توقفت منذ أعوام طويلة .

بيد أنه مما يدعو للارتياح أن نرى الدراسات الأندلسية العربية، تنشط في العهد الأخير ، وينشط كذلك نشر المراجع الأندلسية . وقد نشر في الأعوام العشرين الأخيرة بالقاهرة كثير من المراجع الأندلسية القيمة ، مثل : «أزهار الرياض للمقرئ » و « معجم ما استعجم » لأبي عبيد البكري و « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم و « المغرب » لابن سعيد ، والجزء الأول من « الإحاطة » بتحقيق جديد ، و « حلية الفرسان » لابن هذيل ، وعدة مراجع أخرى قام على نشرها الاستاذ ليفي بروفنسال ، وذكرناها فيما تقدم ، وأعيد كذلك نشر طائفة من المراجع الأندلسية الهامة . ونشرت كذلك بالمغرب في الرباط ، وفي تطوان ، مراجع أندلسية عديدة يضيق المقام عن ذكرها .

وظهرت في نفس الوقت بالعربية طائفة من الكتب والبحوث الجديدة في تاريخ الأندلس تمتاز بالدقة ، وبتمحيص الرواية ، وبروحها النقدي ، وتضارع مثيلاتها من الكتب الغربية في هذا الميدان .

معين التاريخ لأهل التأريخ

ومما هو جدير بالذكر أن الخزنة العامة (المكتبة العامة) بالرباط ، قد استطاعت في العامين الأخيرين أن تضع يدها على كثير من المخطوطات من محتويات الزوايا والمجموعات الخاصة . وقد وجد من بينها لحسن الحظ ، عدة من المراجع الأندلسية الهامة ، ومنها نسخة فريدة من الجزء الثالث من « البيان المغرب » ، يمتد سياقها التاريخي حتى أواخر عهد الموحدين ، وتمتاز بزيادات كثيرة في البداية والنهاية على سائر المخطوطات الماثلة ، وهو في نظرنا كشف هام ، يفتح آفاقاً جديدة لدراسة عصر الموحدين في المغرب والأندلس .

وقد كان من أبرز الظواهر في البحوث العربية الأندلسية في الفترة الأخيرة أنها تعنى عناية خاصة بالبحوث العربية :إسبانية ، وتستقصى المصادر والمراجع والوثائق في مواطنها الأصلية بالإسكوريال وشتت منكنش ، ودور المحفوظات الإسبانية التاريخية ، وكذلك في مكتبات المغرب الحافلة بالنفائير والمراجع الأندلسية .

ولا يسعنا إلا أن ننوه هنا بما بذله «معهد الدراسات الإسلامية» بملريد في ذلك الميدان من جهود موفقة ، وما يبذله من معاونات قيمة لطلاب البحوث العربية الإسبانية ، وقد كان لقيام هذا المعهد الجليل أثره القوي في تنشيط الدراسات الأندلسية .

محمد أحمد دهمان

١٤ -

العراك بين النعمانيك والآنراك

معين التاريخ لأهل التأريخ

الْعُرَاكُ الْمَالِكُ وَالْإِنْرَاكُ

يُخِيلُ لِبَعْضِ الْبَاحِثِينَ أَنَّ اسْتِيلَاءَ السُّلْطَانِ سَلِيمِ الْعُثْمَانِيِّ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ ، كَانَ ابْنَ وَقْتِهِ وَأَنَّ سَبِيَهُ مُنَاصِرَةَ السُّلْطَانِ النُّوْرِيِّ لِشَاهِ إِيرَانَ ، وَلَكِنْ النُّصُوصُ الَّتِي نَهَيْتُهَا لِلْفُتُوحِ تَوْحَى بِأَنَّ مَطَامِعَ الْأَتْرَاكِ الْعُثْمَانِيِّينَ بِالْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ تَمْتَدُّ إِلَى عَصْرِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ ، فَهُوَ بَعْدَ أَنْ تَمَّ لَهُ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينَةِ سَنَةَ (٨٥٧ هـ) وَوُطِدَ أَرْكَانُ مَلِكِهِ فِيهَا وَوُضِعَ الْقَوَانِينُ لِلْوَلْتِ تَطْلَعَتْ عَيْنُهُ إِلَى الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَإِلَى تَقْوِيضِ أَرْكَانِ أَعْظَمِ مَمْلَكَةٍ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ وَهِيَ مَمْلَكَةُ الْمَالِكِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ وَالشَّامِ .

فِي سَنَةِ (٨٧٠ هـ) اغْتِيلَ نَائِبُ الْأَبْلَسْتِينِ سَيْفُ الدِّينِ مَلِكُ أَصْلَانَ وَهُوَ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فَأَحْضَرَ سَيْفُهُ إِلَى الْقَسَاهِرَةِ وَأَخْبَرَ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ خَشَقْدَمَ بِمَا جَرَى ، فَعَيَّنَ بَدْلَهُ أَخَاهُ « شَاهُ بَدَاقِ » نَائِباً عَلَى الْأَبْلَسْتِينِ وَأَعْمَالَهَا . وَقَامَ « الْأَمِيرُ سَوَارِ » وَهُوَ أَخٌ ثَانٍ لِلْأَمِيرِ الْمَغْدُورِ فَطَالِبٍ بِالْإِمَارَةِ وَأَتَمَّ سُلْطَانُ الْقَاهِرَةِ بِإِغْيَالِ أَخِيهِ ، وَاسْتَعَانَ بِالسُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْفَاتِحِ وَأَعْلَنَ الثُّورَةَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْمَمْلُوكِيَّةِ .

فَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَخَذَتْ عَيْنَا السُّلْطَانِ الْعُثْمَانِيِّ تَنْطَلِعُ إِلَى الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى دَوْلَةِ الْمَالِكِ وَمُسَاعَدَةِ الْأَمِيرِ سَوَارِ فِي ثَوْرَتِهِ .

وَقَدْ أَهْتَمَّتْ حُكُومَةُ الْمَالِكِ بِهَذِهِ الثُّورَةِ ، فَفِي سَنَةِ (٨٧٢ هـ) أُرْسِلَتْ حَمْلَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ لِإِخْتِدَادِهَا وَلَكِنْ هَذِهِ الْحَمْلَةُ هَزِمَتْ شَرَّ هَزِيمَةٍ ، فَأُرْسِلَتْ حَمْلَةٌ ثَانِيَةً فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَأَخْفَقَتْ أَيْضاً .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وفى سنة (٨٧٣ هـ) أرسلت حملة ثالثة فلم تنجح وهزمت ، وكثيراً ما يجد المطالع فى كتاب « الضوء اللامع » للسخاوى فى تراجم الممالك أن فلاناً قطعت يده فى كائنة سوار ، وفلاناً قلعت عينه فى كائنة سوار ، وفلاناً قتل فى كائنة سوار .

أنهكت هذه الحملات المتقدمة الدولة فى المال وأفقدتها عدداً كثيراً من الرجال ، وانحطت هيبتها أمام الدول المجاورة لها وطمعت فى الاستيلاء على بعض حدودها ، فبذلت الدولة المملوكية كل جهده وجهزت جيشاً لجأ بقيادة « الأمير يشبك الدوادار » ، وقدمت له كل ما تستطيع من قوة ورجال وعتاد ، وجهزته بعدد من المكاحل (المدافع) وساعدت جميع البلاد الشامية بأموالها وجنودها فاستطاع الأمير يشبك القضاء على هذه الثورة فى الحملة الرابعة ، وتمكن من القبض على سوار والإتيان به إلى القاهرة فصلب على باب زويلة فى سنة (٨٧٦ هـ) .

وبنيت على قمة جبل قاصيون المطل على مدينة دمشق قبة تذكارية عرفت بقبة النصر على سوار بقى بعض أطلالها إلى سنة (١٩٤١ م) فهدمتها جيوش الحلفاء فى الحرب العامة الأخيرة خوفاً اتخاذها علامة لضرب المواقع العسكرية .

وضع شمس الدين محمد بن محمود بن خليل بن أجا الحلبي قاضى الجيش فى هذه الحملة كتاباً سماه « السخاوى » « سفرة يشبك » وهو عبارة عن رحلة عسكرية استمرت من سنة (٨٧٥ - ٨٧٦) ابتدأت من القاهرة ومرت ببلاد الشام وانتهت إلى بلاد الإمارة الدلفاغدية التى كانت تقوم على ما يسمى قديماً « بالعواصم والثغور » وقد وصف فيها المؤلف تحركات الجيش وما جرى له من شئون وكيف هزم الأمير سوار وألقى القبض عليه ، ثم يصف فيها رحلة ثانية للمؤلف قام بها من هذه البلاد إلى تبريز واجتمع هناك بالأمير حسن الطويل ووصف بلاده وبلاطه ومناظرته لعلماء السلطان المذكور وهو وصف فريد فى بابه .

معين التاريخ لأهل التاريخ

اطلعت على هذا الكتاب منذ عشر سنين في مكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق فنسخته وحققته ثم توسعت بعد ذلك في الدراسة فوجدت هذه الرحلة لا تحتوى غير وصف الحملة الرابعة، فأضفت لهذا الموضوع ما ينقصه من بحوث كما أضفت إليه نصوصاً كثيرة عن الحملات الثلاث التي تقدمته ، وأضفت إضافات أخرى عن الإمارة الدلغادرية التي ينسب لها سوار الناصر . ووجدت الثورة لم تطفأ نارها بعد القبض على « سوار » فإن السلطان محمداً الفاتح دفع على دولت أخا شاه سوار إلى إشهار الثورة وللصبيان على الممالك فعادت الدولة المملوكية تجهز الجيش تلو الجيش حتى قضت على هذه الثورة أيضاً .

وأخيراً برز السلطان العثماني إلى الميدان وتظاهر بالعداء للدولة مصر والشام فكانت بين الدولتين معارك عديدة كان النصر في أكثرها حليف دولة مصر ، وقد أسر في هذه المعارك أحمد هرسك صهر السلطان محمد الفاتح وأتى به إلى القاهرة ، وشيدت بهذه المناسبة في القاهرة بناية تذكارية نقش عليها كتابة تاريخية تسجل أسر صهر السلطان الفاتح العثماني .

ولا يمضى على هذه الحوادث خمس وعشرون سنة إلا ويتم فيها احتلال الشام ثم مصر من قبل السلطان سليم ، ولذلك رأيت تجميع هذه السلسلة بإضافة « كتاب تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها تأليف الشيخ أحمد بن زنبيل الرومال المحلى » وهو كتاب شعبي طريف طبع طبعة حجرية سنة (١٢٧٨ هـ) وقد أصبح نادراً جداً ، وأضفت إلى ذلك نصوصاً كثيرة عن ابن طولون في هذه الموضوعات ومن أجملها وأندرها وصف موكب السلطان الغوري . وأتبع ذلك بذكر ثورة جان بردي الغزالي نائب دمشق من قبل العثمانيين وانتفاضته على العثمانيين بعد موت السلطان سليم وتولى السلطان سليمان .

وإني أرجو أن أكون قدمت هذه البحوث خلسة لتاريخنا العربي وذلك عقيباً صعباً أمام الباحثين والدارسين .

المقدمة :

وصف كتاب «سفرة يشبك الدوادار» ، اسم هذه الرحلة ، مؤلف هذه الرحلة ، نهج تحقيق هذه الرحلة ، علاقة الشام بمصر ، العواصم والثغور ، بلاد الإمارة الدلغادرية ، تحقيق تسميتها بالدلغادرية — أو — ذى القنطرة ، ملخص تاريخ هذه الأسرة .

نصوص وإضافات على الرحلة :

أول الفتنة بين الدلغادرية ودولة المماليك ، شاه سوار ، سبب ثورته ، التجربة الأولى ، الملك الأشرف قابقاي الظاهري ، التجربة الثانية ، التجربة الثالثة ، التجربة الرابعة ، حربها مع شاه سوار ، القبض عليه ، إعدامه بالقاهرة ، حسن الطويل ودولته ، تحرشه ببلاد المماليك ، إرسال تجربة لحربه ، انسحابه من حدود دولة المماليك ، تجربة لتأديب سيف أمير آل الفضل لقتله نائب حماه ، يشبك الدوادار أمير هذه التجربة ، طمعه في الاستيلاء على بعض بلاد حسن الطويل وتأسيس دولة جديدة فيها ، حصاره لمدينة الرها ، قتل الأمير يشبك الدوادار وإبادة جيشه ، على دولته ، وقوع الخلاف بين دولة المماليك والدولة العثمانية ، السلطان محمد الفاتح ومساعدته الثائرين ضد دولة المماليك ، حرب المماليك مع العثمانيين وأسر أحمد هرسك ، الصلح مع السلطان العثماني ، فتح السلطان سليم ببلاد الشام ومصر ، ثورة جان بردي الغزالي على العثمانيين بعد موت السلطان سليم ، القضاء على هذه الثورة .

أما ما اعترضني من عقبات فهي تلخص في الأمور الآتية :

١ — عدم وجود مخطط يمتد من القاهرة إلى دمشق تحدد فيه منازل الجيش المصري الذي خرج من القاهرة إلى حدود البلاد التركية ، وهذه المنازل .

معين التاريخ لأهل التأريخ

هى مراكز البريد المذكورة فى صبح الأعشى تقريباً وهى : القاهرة ،
الريمانية ، سرياقوس ، بليس ، الخطاطرة ، الصالحية ، القراني ، قطيا ،
بئر العبد ، السودة ، العريش ، الزعفة ، الخ .

٢ - الأسماء الدخيلة الواردة فى « سفره يشبك الدودار » وغيرها .

٣ - أسماء البلاد الواردة فى « سفره يشبك » وغيرها ، وقد تغيرت أسماؤها ولم
يعرف موضعها فى المخططات الحديثة ، أو كانت بلدة كبيرة فأصبحت
قرية ليست ذات شأن فلم تذكر فى المخططات العامة .

لذلك فلانى أقترح الأمور الآتية :

١ - وضع معجم الأسماء الدخيلة الواردة فى كتب التاريخ العربى وخاصة فى
العصر الأيوبي والمملوكى إلى آخر العهد التركى العثمانى .

٢ - وضع مخططات تاريخية للبلدان والقرى الواردة فى الكتب العربية .

٣ - وضع مخططات تاريخية للدولة المصرية فى العهود الإسلامية وما كان
يتبعها من بلدان .

٤ - وضع مخططات تاريخية للدول الشامية وما كان يتبعها من بلدان .

مثلا دولة مصر أيام الفاطميين كانت تشمل صقلية ، ومملكة دمشق
أيام الساجوقيين كانت تشمل بلاد ديار بكر ، ودولة دمشق أيام الملك
الأشرف الأيوبي كانت تمتد إلى خلاط فى قلب البلاد التركية اليوم ،
ومملكة مصر والشام أيام المماليك كانت تشمل القطر المصرى والأردن
وفلسطين ولبنان وقسما كبيراً من البلدان التركية وغيرها .

٥ - وضع مخططات لمراكز البريد فى العهد المملوكى يشمل جميع مراكز البريد
فى المملكة المصرية وملحقاتها ، ولهذا المخطط ميزة خاصة لأنه تبين
به طرق المواصلات فى أنحاء هذه المملكة .

معين التاريخ لأهل التأريخ

ببلى الصبغ

— ١٥ —

حول تاريخ بلاد الشام
في القرن العاشر الهجري - السائر عشر الميلادي

معين التاريخ لأهل التأريخ

مجلة التاريخ بالأناضول
في القرنين التاسع عشر والعشرين - (العدد ١٩٥)

يركز معظم المؤرخين العرب المعاصرين بحوثهم في التاريخ العربي الحديث على القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ضاربين صفحا عن تاريخ القرون التي سبقتها كالقرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، أو ملمحين تلميحاً . ولعل الدافع لهم في هذا الاتجاه هو تأثيرهم كواطنين عرب بالحركة القومية التي نبض بها كيان المجتمع العربي في القرن الثالث عشر الهجري ، وبالأزمات الدولية ، والتطورات الداخلية التي عاناها هذا المجتمع في هذه المرحلة من التاريخ فنشطوا في دراساتهم باحثين عن الجذور التاريخية لهذه الثورة العربية الجديدة ، والتفاعلات العميقة التي ولدتها أو أحاطت بها ، وإنهم نادراً ما يندفعون في استقصائهم إلى ما وراء القرن الثاني عشر . وبذلك وقعوا فيما وقع فيه زملاء لهم في أوروبا في مطلع عصورها الحديثة ؛ إذ انصرف أولئك - كما انصرف مؤرخونا اليوم - عن بحث العصور الوسيطة مندفعين وراء تألئ النهضة الحديثة وألوانها الإبداعية الشتى ، وكرسوا جهودهم كلها للإحاطة بتلك اللحظة التي عاصروها . فقد تبدت لهم العصور الوسيطة وهم الذين يتمتعون على عالم كله جلبة وحركة وحياة ، فترة ركود وجمود تصم المجتمع الأوروبي الناهض آنذاك بوصفة التخاذل والضعف ، فهي من ثم لاتستحق منهم الدراسة والعناية وإنما الإهمال والنسيان .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وهكذا نخلل التاريخ العربي بل العصر الحديث ثغرات عديدة يجب ملؤها بالدراسة والبحث كيلا يبقى هذا التاريخ سلسلة متقطعة الحلقات ، ناقصة التكوين .

ومن هذه الثغرات تاريخ سوريا أو بلاد الشام في القرن العاشر الهجري وخاصة النصف الأول منه عندما انتقلت هذه البلاد من سلطة المالك لتقع في أيدي الأتراك العثمانيين وتناقلهم بنظمهم . ولا يقصد بسوريا هنا الإقليم الشامي من الجمهورية العربية المتحدة فحسب وإنما بلاد الشام بحدودها الطبيعية فهذه المرحلة من تاريخ بلاد الشام مرحلة غامضة في الأذهان عامة ، مرتبكة الأحداث وسطحية البحث في كتب المؤرخين ، يدرسها الأتراك منهم ، المعاصرون لها كجزء من التاريخ العثماني فتبيلو هزيلة في خضم تاريخ الإمبراطورية العثمانية الواسعة الأرجاء ، ويكتب فيها مؤرخو المالك فتظهر مقلصة في تلافيف سقوط الدولة المملوكية ، ويبحث فيها مؤرخو التاريخ الإسلامي فتضيق في ثنايا هذا التاريخ العام الزاخر ، ويشير إليها مؤرخو القرس والمؤرخون الغربيون إشارة عابرة على أساس أن سوريا لعبت دوراً صغيراً أو كبيراً في النزاع الذي احتدم أواره في ذلك القرن في هذه البقعة من العالم . وفي كل الأحوال تبيلو هذه الحقبة من الزمن في تاريخ سوريا مهتزة الصور ، مبهمة المعالم ، مع ما لها من أهمية كبيرة في مجرى تاريخ الشرق الأدنى عامة والبلاد العربية وسوريا خاصة .

فقد كانت على حد تعبير المؤرخ «توينبي» مرحلة صدام بين المجتمعين الإيرانيين المسلمين القاطنين آنذاك في كل من آسيا الصغرى وبلاد فارس انتهت بتغلب المجتمع الإيراني السني منهما المحتل بالدولة العثمانية على المجتمع الإيراني الشيعي المحتل بالدولة الصفوية ، كما أسفرت عن حجب المجتمع الأخير من الامتداد غرباً والوصول إلى حوض البحر المتوسط ، وتطويقه بحيث غدا جزيرة شيعية منزلة وسط بحر سني لجب .

معين التاريخ لأهل التاريخ

كما أنها كانت الحقبة من الزمن التي اضطرع فيها المجتمع العربي مثلاً بالدولة المملوكية الحاكمة في بعض أجزائه بالمجتمع الإيراني السني ، وانتهى فيها ذاك الصراع بابتلاع المجتمع الإيراني السني للمجتمع العربي المتنازعه ، الذي كان يمتد على بلاد سوريا ومصر وشبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا ، كما أدى إلى إعادة بلاد العراق التي انفصلت عن المجتمع العربي منذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد بيد التتر عام ٦٥٦ هـ ، إليه أو بمعنى آخر أدى إلى إعادة الوحدة السياسية للعالم العربي اليه ثانية .

ولم جانب ما ذكر فإن هذه المرحلة التاريخية تمثل في الواقع نهاية المطاف في المقاومة الإيجابية التي أبداها المجتمع العربي في سوريا ومصر ضد الأزمات العنيفة التي هزت وجوده منذ القرن السادس للمجرى . من حملات صليبية وغزوات تترية ، فبعد أن تمكن من إخراج الصليبيين من أرضه ورد التتر عنها تراخت قواه أخيراً أمام طرقات الأتراك العثمانيين فوق في قبضتهم ليعيش تابعاً لهم وفي إطار امبراطوريتهم لأربعة قرون كاملة .

ويلاحظ أنه في هذا القرن تبلور اهتمام الغرب بمنطقة الشرق الأدنى عامة وسوريا خاصة ، لا على اعتبار أنها محط الأماكن المقدسة المسيحية كما نادى بذلك الصليبيون الغزاة سابقاً ؛ وإنما لأنها منطقة اقتصادية تقع على مفترق الطرق التجارية العالمية العامة : فهي ضرورية لكيان أوروبا التجارية وتطورها الاقتصادي الجديد في مطلع عصورها الحديثة . ومن ثم بدأ التنافس بين الدول الأوروبية للحصول على امتياز تركيز جالياتها التجارية فيها ، وأخذت تلك الجاليات بدورها تنشط فيها .

ومن هذا يستنتج أن تاريخ سوريا في القرن العاشر للهجرة لم يكن تاريخاً محلياً منزلاً يرتبط بتاريخ منطقة الشرق الأوسط فحسب أو تاريخ البحر المتوسط فقط — كما نظر اليه معظم المؤرخين — بل كان تاريخاً ملتبساً بالتاريخ العالمي لتلك الفترة الزمنية . فالفتح العثماني مثلاً لم يكن حدثاً صغيراً عابراً نجح عن صراع ديني سني شيعي فحسب بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية ،

معين التاريخ لأهل التاريخ

أو عن قناحر وتنافس بين الدولتين المملوكية والعثمانية في هذه البقعة من العالم ، وإنما هو حدث عالمي تأتى من تفاعلات سياسية دولية أوسع مدى من نطاق الشرق الأدنى وأسهمت في إخراجه الى جيز الوجود دول من أوروبا وآسيا وأفريقيا على السواء كالبرتغال والبندقية واسبانيا وفرنسا ، ولعب فيه التطور الاقتصادى الجديد لأوروبا آنذاك دوراً كبيراً الى جانب العاملين السياسى والدينى المحليين .

وكما تبدو أهمية هذه المرحلة الزمنية في بناء التاريخ السياسى لمنطقة الشرق الأدنى وللعالم العربى فلإنها تظهر واضحة في البناء الاجتماعى والاقتصادى والإدارى والفكرى لسوريا ، هذا البناء الذى استمر مع ترميمات ضئيلة حتى وقتنا الحاضر . ففى القرن العاشر الهجرى هذا وُضعت أو تُبنت بالأحرى الأوضاع التى عاش المجتمع العربى السورى في ظلها أربعة قرون كاملة ولا يزال يعيش في بعض من بقاياها حتى الآن . ولا يعنى هذا أن الأطر الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والفكرية قد أطبقت بها الدولة العثمانية المحتلة على المجتمع العربى في سوريا فأوقفت حركته وجملته كما يترامى لأول وهلة ، وكما درج على القول كثيرون ممن عالجوا هذا الموضوع ، وإنما يتبين أن هذه الأحوال بغتها وسميتها قد ورثها المجتمع من ماضيه . ولم تعمل الدولة الجديدة الحاكمة سوى أنها حافظت عليها إيماناً بها بكمالها وصلاحتها أو عدلت في بعضها لنقص رآته فيها . وفى الحقيقة ، لقد لعبت الرعية بسليتها تارة وإيجابيتها أخرى دوراً معيناً في تثبيت الأوضاع العامة التى تجمد المجتمع العربى السورى في قالبها . وإذا كان يلحظ أن سليتها أكثر من إيجابيتها . ولهذا وصفت دائماً مرحلة الاحتلال العثمانى للبلاد العربية الركود الحياتى — فإن هذا لا يرجع فقط — كما نحا كثير من المؤرخين — إلى الدولة الحاكمة الجديدة وإنما الى ضعف تمكن من المجتمع في القرون التى سبقت الفتح العثمانى ، واستفحل أمره في العهد العثمانى نفسه ، لأن الدولة العثمانية لم تكن لتحمل معها حضارة بالغة أو نظاماً مبتكرة أو قوى إبداعية ذاتية تبثها في حنايا المجتمع العربى السورى المهافت

معين التاريخ لأهل التاريخ

على نفسه : فقد كانت وريثة حضارات زاوية كالحضارة البيزنطية والفارسية ، ومن ثم لم تتمكن من رفع مستوى المجتمع الذي ضمته إليها في هذه المرحلة الزمنية أو في المرحلة التي تلت .

•

وإذا كانت هذه الثغرة في التاريخ العربي في العصر الحديث تجتلب الباحث إليها إلا أن هناك عقبات عدة تقف عائقاً في وجه الاستقصاء والتحصيص .

أولها :

صمت المؤرخين النسبي عند الكلام عن سوريا بالذات ، فكل من كتب في هذا الموضوع أو حوله من المؤرخين الذين عاصروا تلك الحقبة من الزمن أو الحداثيين منهم وجه دراسته لبلاد مصر على اعتبار أنها كانت آنذاك مركز الخلافة الإسلامية والمقر الأول للإمبراطورية المملوكية . كابن لياس ، وابن زنبيل وغيرهما . إذا تناول سوريا فبالإشارة العابرة أحياناً ، والسريعة أخرى ؛ وإذا حاول التفصيل فلأن ذلك مقدمة أو جزء متمم للبحث في فتح العثمانيين لمصر وتركيز حكمهم فيها . فسوريا بالنسبة إليهم كانت فقط أرضاً اجتازها العثمانيون وضموها إلى إمبراطوريتهم ليصلوا منها إلى مصر ، وإذا كانت مؤلفات ابن طولون ، المؤرخ اللامع المعاصر ، والنعمي ، والغزي ، والبوريني تسد فجوة كبيرة في البحث ، إلا أن تركيز الأول والثاني بجهما على مدينة دمشق بالذات جعل ما كتبه عملياً بحثاً ولونهما محدوداً نسبياً ، هذا إلى أن كتب التراجم مثل « الكواكب السائرة » و « تراجم الأعيان » تتطلب دراسة عميقة ودقيقة لاستخلاص ما يجب استخلاصه من أحوال المجتمع عامة ، لأن تلك الكتب في واقعها ، وبخاصة منها ما كتبه البوريني ، وصف غير مباشر لتلك الأحوال والأوضاع ، وإن كان وصفاً ناقصاً .

معين التاريخ لأهل التاريخ

ثانيها :

علم معرفة الباحث للغة التركية القديمة السائدة في تلك الحقبة من الزمن ، تلك اللغة التي كانت مزيجاً من الكلمات الفارسية والتركية والعربية والأولى منها هي الأطنى ، ويبدو أن تلك اللغة عويصة حتى على الأتراك المتقنين منهم اليوم ككتاب « تاج التواريخ » لسعد الدين .

ثالثها :

عدم توافر المصادر والمراجع المعاصرة لتلك الحقبة من الزمن بين أيدى الباحث . ولا يمكن إعطاء صورة صادقة وواضحة عن ذلك العهد ، وربما تصحيح كثير من الآراء والأفكار الدارجة ، إلا باطلاع والبحث في كل ما أنتج فيه من أدب وتاريخ وعلم وفن ، وفرمانات سلطانية ، وتنظيمات حكومية . ولابد أن هناك مؤلفات عديدة في شتى النواحي إلا أنه على ما يبدو مما جمعه « بروكلان » وماقامت به الجامعة العربية وماكتبه « جرجى زيدان » عن إنتاج هذا القرن ، أن هذه المؤلفات مبعثرة في مكتبات العالم ، ولم تدرس بعد الدراسة الكافية ولم تمحص كما أنه لم يحقق فيها ولم ينشر منها إلا النزر اليسير . وقد حاولت الجامعة العربية جمع أسماء تلك المؤلفات والحصول على صور لها ، إلا أنها لاتزال تنوى في مكتبتها وتحتاج إلى تحقيق ونشر وبحث ودراسة .

رابعها :

عدم وجود أية وثائق حكومية عن تلك الحقبة في بلاد الشام بالذات تستمد منها معلومات واقعية عن مختلف التنظيمات ، ولعل هذا يرجع إلى عدم انشاء - حتى سنة مضت فقط - مكتبة للوثائق فيها أو مديرية لها تسهر على جمعها وترتيبها وتصنيفها والحفاظة عليها . مما يدفع الباحث إلى

معين التاريخ لأهل التأريخ

الاعتماد على ما نشره « عمر لطفى باركان » المؤرخ التركى المعاصر عن التنظيم المالى والاقتصادى فى الامبراطورية العثمانية ، وماترجمه من تلك الوثائق « مانندان وسوثاجه » ، واجمعهم المؤرخ « أحمد رفیق » التركى . وماترجمه « أوربيل هير » من فرمانات .

خامسها :

ارتباط تاريخ هذا القرن بالأحداث العالمية لا بأحداث محلية محدودة جعل ملاحظته فى مختلف المصادر العربية والتركى والقارسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية . وخاصة منها تقارير قناصل البنادقة فى هذه الحقبة ، ضرورياً وعسيراً وطويلاً لعدم تمكن فرد واحد من الإلمام باللغات المختلفة الشئى هذا إلى وجود كثير من الكتب التى تشير إليها بعض المصادر الأجنبية فى المكتبات العربية .

°

وأمام هذه العقبات أرى من الضروري لتشجيع البحث فى هذا الميدان الهام من ميادين التاريخ العربى وتسهيله للباحث ومده بكل ما يحتاج إليه من وسائل أن نعمل متضافرين لتأمين مايلى :

١ - أن توجه الجامعات والمعاهد أقسامها التاريخية الى بحث هذه الحقبة الزمنية من جميع النواحي وخاصة منها الناحية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية بتجرد علمى بحث ، وذلك بأن تكون مواضيع بعض الرسائل الجامعية تدور حول هذه المرحلة .

٢ - أن تعلم فى تلك الأقسام اللغة التركى القديمة والحديثة واللغة الفارسية لطلاب التاريخ العربى الحديث ، لما لاجتمعنا فى هذا القرن من اتصال بالفرس والأتراك معاً .

معين التاريخ لأهل التاريخ

٣- أن يجرى بحث دقيق من قبل المؤرخين عن الإنتاج الفكرى والفنى لهذه الفترة التاريخية ، وأن يكلف بعضهم بزيارة مختلف مكتبات العالم للتحقق من وجود تلك المؤلفات فيها ، وأن يحرص هذا الإنتاج بمختلف مؤلفاته فى فهرس خاصة توضع فى مختلف المكتبات العربية الكبرى : وتلحق بتلك الفهارس تعريفات مختصرة لكل مؤلف من تلك المؤلفات .

٤- العمل على تحقيق وطبع ونشر كثير من المخطوطات التى تلور بحوثها حول هذا العهد كمخطوط «تاريخ ابن طولون» وتتمة «تراجم الأعيان» للبورينى ومؤلفات «رضى الدين الحنبلى» (٩٧١ هـ) [الزبد والضرب فى تاريخ حلب] و [درأ الحلب فى تاريخ أعيان حلب] إلى غير ذلك من المخطوطات المبعثرة فى أنحاء العالم .

٥- أن تجرى اتصالات منظمة بين المؤرخين الأتراك المعاصرين الذين يبحثون فى الامبراطورية العثمانية ونظمها وبين المؤرخين العرب الذين يخوضون مثل هذه البحوث فى القرن السادس عشر . وتكون هذه الاتصالات على شكل مؤتمرات صغيرة يتداول فيها ما وصل إليه الطرفان ، أو عن طريق تبادل البحوث بالمراسلة أو بطريق المحلات .

٦- أن تنقل صور أمينة عن جميع الوثائق والفرمانات التى تخص بلاد الشام فى هذا القرن من أرشيف استامبول وأنقرة . وأن تحفظ فى مكتبة الوثائق فى الإقليم الشمالى ، وأن يعمل على ترجمتها إلى اللغة العربية لتكون فى متناول الباحث العربى .

٧- أن تعمل دور الكتب فى الشام على ضم كل مؤلف تاريخى صدر عن تاريخ هذه الحقبة دون النظر إلى جنسية مؤلفه أو نوعيته .

٨- أن يؤلف فهرس لجميع ما كتب حول هذا القرن فى بلاد الشام تجمع مادته من مختلف المكتبات العالمية ويضم بالطبع المخطوطات والكتب الأجنبية مما كانت لغتها .

معين التاريخ لأهل التأريخ

٩ - أن ترود دور الكتب في الإقليم الشمالى بصور عن المخطوطات التى تبحث فى هذه الفترة الزمنية أو حولها سواء أكانت هذه المخطوطات فى مكتبات الاقليم الجنوبى أو فى مكتبات العالم .

١٠ - أن تجمع كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا هذه البقاع فى هذه المرحلة الزمنية وأن تترجم من لغاتها إلى اللغة العربية .

•

ولذا وضعت هذه الاقتراحات موضع التنفيذ فإن الباحث العربى سيجد مستنداً له وعوناً ليحقق عملاً أوفى .

معين التاريخ لأهل التأريخ

أَهْمِيَّةُ الْوَثَائِقِ وَتَارِيخُ الْإِقْلِيمِ السُّورِيِّ

معين التاريخ لأهل التأريخ

أهمية الوثائق وأثرها في التاريخ

ليس هناك من شك في القيمة العظيمة التي يتمتع بها التاريخ بين العلوم الأخرى وفي أثره عليها وخصوصاً على العلوم السياسية والتربية القومية. الأمر الذي حدا بالدول المتقدمة الكبرى إلى الاهتمام به على نطاق واسع فجمعت له الأصول وألفت له الموسوعات والبحوث ، وأقامت دور الوثائق وخصصت له أقساماً محترمة في المكتبات العامة عدا المكتبات التاريخية الخاصة .

وأقدم المؤلفات التاريخية ، بالمعنى المقصود من الكلمة ، بدأت سردياً ووصفاً ، ثم انتقل الكتاب إلى التفسير والاستنتاج . واقتصروا على الناحيتين السياسية والدينية بادية ذي بدء ، ثم انتقلوا إلى دراسة التاريخ وأسبابه من كافة النواحي الإنسانية ولما كان التاريخ صعباً بل شبه مستحيل إذا لم تتوافر الآثار والوثائق الدالة على أحداثه ووقائمه ، فقد عمد المؤرخون إلى مراجعة الوثائق الأصلية ، ومن هنا كانت أهمية الوثائق للتاريخ ، نظراً لأن الحوادث التاريخية تخرج عن نطاق التجريب كالعلوم الطبيعية ، وتقتصر على عرض الماضي بشكل علمي بالاعتماد على مختلف المصادر وخصوصاً الوثائق التي هي أصول للتاريخ والتي يسبب ضياعها ارتباك المؤرخ وجبرته ، واعتماده على الاستنتاج والتخمين ، وهو في ذلك معرض للخطأ والصواب ، والمخرج على هدف التأريخ العلمي الذي يتوخى الحقيقة . ويبحث عنها في كل مكان بصرف النظر عن جميع العوامل الأخرى .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وقد انتبه الأقدمون إلى أهمية هذه الوثائق فسمعنا عن مجموعات قيمة منها في مصر منذ العصور الغابرة ، وحدثنا المؤرخ اليهودي يوسفوس عن مكتبة الوثائق في مدينة صور ، أما في أثينا فقد حفظت تلك الوثائق في دور خاصة تدعى أرخيون Archaion ثم في الهيكل المسمى ميترون Metroon كما اعتنى الرومان بذلك أيما اعتناء ، فخصصوا للمحفوظات أمكنة معينة ، وعينوا لها موظفين مختصين ، وحفظوا ما أمكنهم من تلك الوثائق الهامة .

أما في العصور الحديثة فقد أقامت الدول الأوروبية دور الوثائق الكبرى ، وأسست لصيانتها المدارس مثل معهد الوثائق في باريس (Ecoles des Chartes) ولترميمها وتقييمها المشاغل الكبرى مثل مستشفى الكتاب في روما (Clinique du Livre) وأنشأت لجمعها وحفظها وتنسيقها وترتيبها الأبنية الفنية التي تجمع بين جدرانها الوثائق الرسمية بصورة علمية من محفوظات المؤسسات العامة وإدارات الدولة والسجلات الرسمية وجميع الوثائق والقرارات والبراءات والمراسيم والمستندات الخاصة المحفوظة عند الأشخاص والأسر المختلفة . حيث تصان ، وتصنف وت فهرس وتسهل مراجعتها وتحفظ للدولة تاريخها القوي وتشكل المنبع الصحيح لماضيها بكل مظاهره ، وهكذا رأينا دور الوثائق القومية (Archives Nationales) في فرنسا ودار المحفوظات (Record Office) في إنكلترا وأميركا والوثائق العامة (Archives Générales) في بلجيكا ، ودار الوثائق (Archivbauten) في ألمانيا ألخ . . . ولم تقتصر تلك الدور على الوثائق الخطية والقرطاسية ، بل تعدتها إلى حفظ الأفلام والوثائق الصوتية والأشرطة المسجلة وكل ماله علاقة بتاريخ البلد وماضيه ، وأصدرت لها المجلات الخاصة وطبعت لها القهارس المنتظمة ثم انتقل العمل إلى المجال الدولي فتألف مجلس الوثائق الدولي Conseil International des Archives وبدأت تصدر بإشراف اليونسكو مجلة الـ Archivum وعقدت المؤتمرات الدولية التي كان آخرها المؤتمر الرابع للوثائق الذي عقد في استوكهولم في ١٧ / آب - أغسطس -

معين التاريخ لأهل التاريخ

سنة ١٩٦٠ حيث تم تبادل وجهات النظر في أحدث الوسائل لصيانة المحفوظات والاعتناء بها .

ولاشك في أن افتقار الإقليم السوري إلى دار للوثائق من هذا النوع في الماضي جعل تاريخ هذا الإقليم سلسلة من الأحداث متقطعة الحلقات تتخللها عصور غامضة يحار المؤلف في التأريخ لها واستنباط أحداثها ، لعدم وجود الأصول التاريخية التي توضح له السبيل وتدله على الحقيقة التاريخية ، وكثيراً ما يعتمد في ذلك على الكتب الأجنبية ومؤلفات المستشرقين وفي الكثير منها تشويه للحقائق وتعصب على العروبة والإسلام بحيث يصعب على الباحث النزيه التسليم بها كحقائق تاريخية مجردة ، كما يصعب عليه الرجوع إلى الوثائق الأصلية التي تبين له الحق من الباطل وتجلو له ما غمض وما نقص في المؤلفات المذكورة ، لعدم وجود دور الوثائق الخاصة بذلك في الإقليم ، الشيء الذي أساء إلى تاريخه الحديث وسبب هذه الثغرة في المكتبة العربية ، وأقصد وجود دراسة عربية دقيقة لتاريخ سوريا الحديث وهو ما يفتقر إليه التاريخ العربي العام حتى الآن .

تاريخ سوريا في القرن السادس عشر والسابع عشر مثلاً ، ليس له مصدر موثوق ، ولم يؤرخ حتى الآن بالمعنى العلمي الصحيح ، وهذه الحقبة من تاريخ هذا الإقليم لا تزال غامضة على البعثة ، فيما عدا قبسات من خلال كتابات المستشرقين وبعض وثائق الأسر الخاصة ، وبالمقابل فإن تاريخ سوريا بين سنتي ١٨٣٣ - ١٨٤٠ مدروس على أساس الوثائق المصرية المتعلقة بمراسلات محمد علي وإبراهيم ، أي من جانب واحد ، بينما لم تصلر عن تلك الحقبة نفسها أية دراسة تستند على الوثائق العثمانية ، الجانب الآخر الذي يفسر ما غمض من المراسلات المذكورة ، ولكن الدراسة المومي إليها سدت على كل حال ثغرة في التاريخ السوري وجعلت ذلك العهد أكثر وضوحاً للدور والبعثة على سواء .

معين التاريخ لأهل التاريخ

ولتلافي هذا النقص أنشئت في الإقليم السوري (مديرية الوثائق التاريخية) التي حدد القانون أهدافها بجمع وحفظ وصيانة وترتيب الوثائق الخاصة بتاريخ هذا الإقليم وما يتعلق به في جميع العصور ونشر ما يمكن نشره منها وتيسير دراستها على البحاثة والعلماء .

وقد بدأت المديرية المذكورة أعمالها منذ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٩ فاتصلت بمختلف الإدارات الحكومية والشخصيات السياسية والأسر العريقة ، فإذا بصعوبات جمة تعترض الطريق أولاً من بعض الإدارات الحكومية التي اعتبرت أن نص القرار الصادر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي غير ملزم لها بتسليم الوثائق التي هي في حوزتها حتى غير اللازمة منها ، رغم أنها كانت تقوم بإتلاف هذه الأوراق أو بيعها إلى مصانع الورق لجلعها ورقاً مقوى (كرتون) في الماضي ، وقد وجدت في جولاتي الأخيرة للمحافظات السورية ، أن كميات كبيرة من الوثائق العثمانية – الهامة وبعض الوثائق عن عهد الانتداب الفرنسي في سوريا قد أحرقت وأتلفت أو بيعت إلى معامل الورق ، ولذلك فقد التاريخ مجموعة ثمينة من المصادر ، وبعض عناصرها لا تعوض ، كما أن هناك كميات كبيرة من تلك الوثائق في زوايا أقبية بعض دور الحكومة ومستودعاتها تعاني من التمزيق والتشويه والغبار عدا العوامل الطبيعية التي أفسدت أكثرها وشوّهته كالأمطار والرطوبة والعفونة، وعدا الحشرات التي عملت في بعضها تمزيقاً واستئصالاً .

أما من ناحية الأفراد ، فإن الشرقي بصورة عامة دأب على النظر إلى الوثيقة الأصلية الصفراء القديمة نظرة إهمال وازدراء ، جعلته يتلفها ، أو يتركها عرضة لكل العوامل آتفة الذكر التي تقوم بإفسادها أو إزالتها من الوجود وعلى هذا كانت بعض وثائق الأفراد عديمة القيمة ، أما وثائق المثقفين ، والمتعلقة على الأغلب بأقربائهم المتوفين أو وثائقهم الخاصة فلهم – يرفضون تسليمها أو بيعها أو التنازل عنها بأية صورة من الصور ، رغم أنهم يقتنعون

معين التاريخ لأهل التاريخ

بأن وجود تلك الوثائق في المديرية الخاصة بها يحفظها ويصونها ويعرضها على الباحثين ويرفع اسم الأسرة بحفظ أعمالها ومناقبها إلى الأبد مع باقي أصول تاريخ الإقليم .

أما الصعوبة الثالثة التي نواجهها فهي تبعض الوثائق وتفرقها ، في أرجاء الإقليم من جهة ، وفي العواصم الأوروبية من جهة أخرى ، مثل باريس ولندن وفيينا واستانبول وجنوا والبندقية ومرسيليا وغيرها ، وبعض تلك الدول ترفض إمدادنا حتى بصور عن الوثائق التي في حوزتها - لأسباب سياسية بحتة ، ومعظم تلك الوثائق دبلوماسية أو تقارير قنصلية .

وقد استطاعت مديرية الوثائق التاريخية أن تتخطى الكثير من الصعوبات وسارت قلعاً في تنفيذ الأهداف التي قامت من أجلها ولكننا على كل حال مازلنا في مبتدأ الطريق ، وهو وعر وشاق .

• • •

ولإزاء أهمية الوثائق المذكورة بالنسبة لتاريخ الإقليم السوري ، كاستندات وصكوك نزيه في الأعم الأغلب ، يرى المؤرخ بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة ويستكمل الحلقات المفقودة ، ورغبة في تجنيب الطلاب والعلماء والباحثين العرب عناء السفر إلى الغرب كلما حاول أحدهم الكتابة عن تاريخ الإقليم المذكور ، أقترح مايلي لمعالجة الصعوبات آنفة الذكر :

١ - إصدار توصية من المجلس إلى مرجعه رئاسة الجمهورية بضرورة إصدار نص قانون يلزم الدوائر الحكومية في الإقليمين على تسليم الوثائق التي لم تعد تلك الإدارات بحاجة إليها ، وعدم إتلاف أية وثيقة أو أى نوع من الأوراق إلا بعد موافقة لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق في الإقليم صاحب العلاقة ، وذلك بعد الاتفاق على تلك الوثائق حسب كل إدارة من الإدارات .

معين التاريخ لأهل التاريخ

٢ - استصدار نص قانونى آخر ، من رئاسة الجمهورية ، بناء على توصية المجلس الأعلى يجبر الإدارات والمؤسسات العامة على ترتيب الوثائق التى تحتاج إلى الاحتفاظ بها على أساس علمى حديث ، مستعينة بأحد موظفى مديرية الوثائق إذا احتاج الأمر ، حتى يأتى وقت تسليمها إلى هذه المديرية ، وذلك لأن الكثير من هذه المؤسسات ترفض تسليم محفوظاتها القديمة نظراً لوجودها بحالة يرثى لها وعدم التمكن من تنظيفها وإعدادها لتسليمها إلى مديرية الوثائق .

يؤخذ بعين الاعتبار عند هذا التنظيم مايلى :

١ - المحفوظات التى يجب على الإدارة حفظها إلى أجل غير مسمى .
ب- المحفوظات التى يجب على الإدارة حفظها لأجل مسمى ، تنتهى حاجتها إليها بانتهائه وعندئذ يصار إلى تشكيل لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق ، لانتقاء مايلزم من هذه - المحفوظات ، والسماح بإتلاف الباقى .

٢ - المحفوظات التى يمكن تسليمها حالا إلى مديرية الوثائق .

د - تعيين كل إدارة ترتيب الوثائق التى بحوزتها ونوعها ويضع جهازها الإدارى والقانونى نظاما لذلك تبلغ نسخة عنه إلى مديرية الوثائق وتجرى عمليات التسليم والتسليم على أساسه .

٣ - توصية دور الإذاعة والتلفزيون ومديرية الدعاية والأنباء (أو مصلحة الاستعلامات) بضرورة نشر الوعى عن أهمية الوثائق وضرورة الحفاظ عليها والتنبيه إلى ضرورة تسجيلها وصيانتها ، أو تسليمها إلى مديرية الوثائق بدلا من تركها إلى التلف والاهتراء والحشرات فى منازل أصحابها ، ويكون ذلك بأحاديث وبرامج فى الإذاعة والتلفزيون ولقالات العامة فى الصحف والمجلات ودور النشر وغيرها من وسائل الإعلام .

معين التاريخ لأهل التاريخ

٤ - إصدار نشرات خاصة عن الوثائق المتعلقة بالكفاح الوطنى لكل من لإقليمى الجمهورية .

٥ - إيفاد بعثات تدريبية قصيرة المدى إلى البلاد العريقة فى هذا الفن لموظفى الوثائق لتدريبهم - كل حسب اختصاصه - على تنسيق وترتيب وفهرسة الوثائق وتقييمها وترميمها لأن وجود شخص واحد أو اثنين لا يكفى لتنهض الدار بأعبائها كاملة .

٦ - إيجاد مادة دراسية خاصة بالوثائق والمستندات والصكوك وأهميتها فى التأليف والمراجعة فى كل من كليات الآداب والحقوق ، تعين الطلاب فيها بعد على البحث والتنقيب ، وتخلق مؤرخين على أساس علمى ، وتوفر لمديريات الوثائق حاجتها من الموظفين لمديريات الوثائق فيها بعد .

٧ - التوصية إلى وزارة الخارجية بإجراء مفاوضات مع البلاد التى تحتفظ بقسم كبير من الوثائق المتعلقة بالإقليم الدورى ، كإيطاليا وفرنسا وإنكلترا والنمسا وتركيا ، للاتفاق على تبادل أو شراء أو تصوير الوثائق المتعلقة بالإقليم ، اعتماداً على اتفاقية بروكسل المؤرخة فى ١٥ آذار - مارس سنة ١٨٨٦ (المتعلقة بالتبادل الدولى للمستندات الرسمية والمطبوعات العلمية والأدبية والجريدة الرسمية والنشرات والمستندات البرلمانية) وعلى الاتفاق الدولى المؤرخ فى ٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ المتعلق بالتعاون الفكرى ، والاعتماد على الأونسكو أحياناً فى هذا الصدد وإبرام اتفاقيات خاصة عند الزوم .

٨ - متى تم ذلك يؤخذ أحد الموظفين المختصين لانتقاء الوثائق اللازمة المتعلقة بالإقليم لاستنساخها أو تصويرها أو غير ذلك مما يكون قد تم الاتفاق عليه .

معين التاريخ لأهل التأريخ

كل هذا يسهل الحصول على وثائق جمة القيمة ، ويحفظ لتاريخنا القوي ووثائق تحتوي على معلومات هامة ، بعضها على غاية الخطورة يكشف النقاب عن أسرار نجد أنفسنا في أشد الحاجة إليها لإدراك خفاياها السياسية المولية والأصول التاريخية والسياسية للمطامع الأجنبية ، وفهم بعض أخطاء الماضي وتجنبها في المستقبل ، وفي بعضها الآخر تقوية لمعنويات الجيل الجديد وإعلاؤه بشكل قوى صالح ، عدا ما يتيح استكمال الوثائق للبحاث والمؤرخين من إجراء دراسات عن تاريخ الإقليم السوري وسد الثغرات التاريخية العربية يبحث ما غمض من هذا التاريخ ، وبالبه في تأليف الموسوعة التاريخية والمعجم التاريخي اللذين نفتقر إليهما كل الافتقار من الناحيتين القومية والدولية .

إن التاريخ اليوم لم يعد يقتصر على الحوليات والسرود والنسبة والنقل ، بل تعدى ذلك إلى الطرق العلمية التي تعتمد على التعميش والنقد والتفسير والضغط والربط والاجتهاد وكل ذلك يستدعي وجود الأصول التاريخية ، والوثائق الأساسية التي بدونها يشك القارئ في كل ما يراه من تاريخ مكتوب

وليس أجدر من هذا العهد المبارك باستكمال ذلك في نطاق النهضة العلمية الكبرى التي أخذ العرب بتلايها ، وفي زمان أصبح فيه إيمان الجندي وتربيته القومية والتاريخية لا تقل أهمية عن سلاحه وذخيرته ، إن لم يفوقها في الأهمية وتقرير المصير .

أزمنة الذرائع والتاريخية والأشياء الألفية السور

معين التاريخ لأهل التأريخ

أَنَّ الدَّارَ شَاءَ الْمَدَارَ وَخَيْرُ الْإِسْمِ الْإِقْلَمُ السُّورِي

يرى الباحث في نهضة سورية الثقافية الحديثة منذ خمسين عاماً أن الدراسات التاريخية تعاني أزمة ملحوظة ما زالت آثارها ماثلة للعيان في نقص المؤرخين وقلة المؤلفات التاريخية التي تبحث في التاريخ العام من جهة ، وفي التاريخ العربي والتاريخ الإقليمي من جهة أخرى .

١ — قلة المؤرخين :

أما نقص المؤرخين فيمكننا أن نعزوه لعدة أسباب : منها أن الدراسات التاريخية كانت تعتبر نوعاً من ترف أو من دراسة كالية لا يهتم بها إلا الهواة . المتفرغون الذين يجلبون من فراغهم ومقدراتهم المادية ما يسمح لهم بالقيام بهذه الدراسات التي هي هامة ومفيدة في آن واحد لا سيما وأن التاريخ يتمتع بمحظوة خاصة في جميع الأوساط .

وعما لا شك فيه أن النهضة الثقافية التي قامت في سورية منذ أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن قد تناولت التاريخ كما تناولت غيره من الدراسات الإنسانية . ونشأت نتيجة ذلك طبقة من المؤرخين مخضرة جمعت بين الثقافة التقليدية الاتباعية والثقافة الحديثة وحاولت جهدها أن تنتج آثاراً تبحث في تاريخ سورية من القديم إلى الحديث ، أو في تاريخ بعض البلدان السورية . ولكن هذه الطبقة لم يبق منها إلا نفر قليل . ومن الواجب أن نعرف بفضلها وبالمجهود العلمي الذي قدمته ؛ لأنها كانت في الحقيقة صلة الوصل

معين التاريخ لأهل التاريخ

بين مؤرخينا القدامى ومؤرخينا المحدثين ، ولأن الأعمال التي قامت بها يمكن أن تعتبر نقطة انطلاق للدراسات التاريخية الحديثة .

ومن هذه الأسباب أيضاً أنه لم يكن في سورية في العهد العثماني أو في ظل الانتداب الفرنسي كلية للآداب تعنى بالتاريخ وتعد الشيبة المحبة له الإعداد الكافي للعمل في الحقل التاريخي .

وأخيراً أن البعوث العلمية التي كانت توفدها الدولة السورية للخارج كانت تتجه في الغالب نحو الجامعات الفرنسية لتحضير الليسانس في الآداب (قسم التاريخ والجغرافيا) بغية تدريس هاتين المادتين في المدارس الثانوية ، وإذا عرفنا الشروط الصعبة التي كانت توفد فيها البعث ، وقلة المدارس الثانوية في سورية آنذاك ، أمكننا أن ندرك قلة مدرسي التاريخ ، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء المدرسين كانت تشغلهم أعمالهم التدريسية فلا ترك لهم مجالاً واسعاً من الوقت يجعلهم يتطلعون إلى القيام بعمل تاريخي رصين ؛ ولذا كانت المؤلفات التاريخية التي صدرت عنهم خاصة بالمدارس الثانوية .

أما البعث الخاصة القائمة على التثبثات الفردية والقواية الشخصية فلم تكن موجودة في حقل التاريخ ، وإذا وجدت كانت في حكم النادر ، لأنها كانت تعتبر بمثابة خروج على إرادة الأهل الذين يفضلون أن يوفدوا أبناءهم لتحضير الدكتوراه في الطب أو الدكتوراه في الحقوق لأن التخصص في هذين العلمين يدر على الطبيب أو المحامي أرباحاً طائلة من تعاطي المهنة ومن التدريس في كليتي الطب والحقوق وهما الكليتان الوحيدتان اللتان كانت تضمهما الجامعة السورية (جامعة دمشق بعد الوحدة) في عهد الانتداب الفرنسي . أما الدكاترة في الآداب الذين تخرجوا في جامعات الغرب فقلة وأقل من ذلك وأندر الدكاترة في التاريخ .

وظلت حال البعث العلمية على هذا النحو إلى أن بدأ الحكم الفرنسي في البلاد يترسخ تحت تأثير المقاومة الوطنية وضغط الظروف الدولية ، وأصبح

معين التاريخ لأهل التاريخ

بالإمكان التظام بين قادة البلاد وسلطة الانتداب وتسلم الزعماء الوطنيين زمام الأمر ، ولو بصورة مقيدة ، منذ عام ١٩٣٦ الى أن تم جلاء القوات الفرنسية أخيراً عن سورية ونعمت البلاد بالاستقلال .

ولقد أدركت الحكومات الوطنية المتعاقبة حاجة البلاد إلى الاختصاصيين في مختلف فروع العلوم والآداب فأكثرت من البعث ، وحاولت في هذه المرة أن توجهها حسب الوجهة التي تريدها الى القاهرة والى الجامعات الأجنبية التي تتق بقوة تعليمها أو تخصصها من غربية وشرقية .

ووجد في ديار الغرب ولاسيما في الجامعات الفرنسية نفر من الطلاب لم يتمكنوا من العودة لبلادهم في أثناء الحرب العالمية الثانية فلبثوا حيث هم وأقادوا من إقامتهم الطويلة ومواظبتهم على الدراسة الجامعية والقيام بالبحوث العلمية خبرة واسعة ، وتمكنوا من تحضير الدكتوراه والاضطلاع بمبادئهم ومزاولة البحث التاريخي والتأليف فيه .

وبعد الحرب وضعت على بساط البحث قضية توسيع جامعة دمشق بكليات الآداب والعلوم والمعهد العالى للمعلمين (كلية التربية حديثاً) والمهندسة لتزويد البلاد بالاختصاصيين والمدرسين . وضمت كلية الآداب في هذا المعهد قسماً للتاريخ يجهز الطلاب بالثقافة التاريخية الضرورية ويعودهم على البحث العلمى ويؤهلهم لنوال الليسانس في الآداب (قسم التاريخ) ويحبب إليهم العمل التاريخي .

وقد احتضن قسم التاريخ ، عند افتتاح كلية الآداب عدداً من الدكاترة ممن تخصصوا في الغرب وبيشرون بالتأج العلمى الرصين ، ولكن ما لبث عقد هؤلاء الدكاترة أن انفرط بعد أن استدعتهم وظائف أخرى في الدولة فلبوا نداءها وأصبحوا عن العمل التاريخي في شغل شاغل ، أو استهواهم العمل في الجامعات الأجنبية فغادروا البلاد دون ما أمل بالعودة ، وخسر قسم التاريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

من افتقاد هؤلاء وأولئك خسارة لا تعوض بسهولة ويسر ، وآلت به الحال إلى أن أصبح يضم في الوقت الحاضر أستاذاً للتاريخ الحديث ومدرساً للتاريخ الإسلامى .

وحاول القسم سداً للعوز أن يستعين بالأساتذة الاختصاصيين العرب من غير أبناء الجمهورية وبالأساتذة المحاضرين وتكليف هؤلاء بساعات تدريسية إضافية إلى عملهم الوظيفى خارج الجامعة ، وهؤلاء على ما يتمتعون به من مؤهلات علمية وخبرة ونشاط لا يستطيعون التفرغ إلى العمل التدريسى والتأليف التاريخى نظراً لتعلقهم بوظائفهم الأساسية واستيعاب هذه الوظائف أكثر وقتهم وجهدهم .

كما حاول القسم أيضاً الإعلان عن الوظائف الشاغرة لضم أكبر عدد من الاختصاصيين بغية التدريس أو الانقطاع للتأليف علماً منه بأن جو الجامعة أكثر ملاءمة لهذه الأعمال من غيره .

وبالرغم من هذه الصعوبات المختلفة التى يعانها قسم التاريخ فى الحاضر فإن المستقبل يبشر بإقبال المؤرخين ممن يعدون حالياً فى جامعة القاهرة وجامعة عين شمس ومعهد الدراسات العربية العالية والجامعات الأجنبية الأوربية والأمريكية ، ولكن يجب أن ننتظر بضع سنين آخر لضم هذا الجيل الصاعد إلى القسم .

٢ — التأليف التاريخى :

لقد تضافرت هذه العوامل الآتفة الذكر وأدت إلى قلة المؤرخين بل وإلى ندرتهم أيضاً . ولا شك فى أن نقص العنصر البشرى هذا أدى إلى نقص آخر وهو نقص المؤلفات التاريخية التى تعالج القضايا التاريخية عامة والتاريخ العربى والإسلامى والإقليمى بصورة خاصة . وإلى الآن ما زالت المكتبة التاريخية فى سورية تضم عدداً محدوداً جداً من المؤلفات التاريخية للمؤلفين السوريين ،

معين التاريخ لأهل التاريخ

أضف إلى ذلك أن نوعية بعض هذه المؤلفات ليست على درجة من عمق البحث وقوة الطريقة التي تجعلها في مصاف المؤلفات التاريخية العالمية، وما زلنا نشكو إلى الآن من عدم وجود سلسلة تاريخية كبرى تتضمن تاريخ سورية منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر بحيث يصبح أن تعتبر مرجعاً أساسياً لكل باحث . وكل ما بين أيدينا إنما هو كتب مقتضية أو كتب معربة عن كتب أجنبية غير وافية بالغرض أو كتب تناول ناحية معينة بالذات كأن تكون ناحية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دبلوماسية إلى آخره ، أو كتب تبحث في تاريخ فترة قصيرة أو رسائل عن قضية من القضايا لمؤلفين سوريين قلعت إلى جامعة من الجامعات لنوال درجة الدكتوراه أو الماجستير . والطابع العام لهذه المؤلفات هو أنها غير متكاملة مع بعضها ، إذ ما زالت هنالك ثغرات كبيرة ، بل وفترات زمنية طويلة تجهل منها الشيء الكثير ، وكل ما نعرفه عنها إنما هو معرفة يسيرة نستشفها في الغالب خلال المؤلفات الأجنبية من كتب الرحلات وغيرها .

ومن هنا نرى الضرورة الماسة إلى تأليف تاريخ عام لسورية يعرفنا بمختلف التطورات التي مر بها الإقليم عبر العصور التاريخية . وتنفيذ هذا التاريخ يتطلب أولاً وجود المؤرخين الاختصاصيين ، وثانياً تعاونهم على إخراجهم بنظرة سورية عربية ، وإذا ألحنا على هذه النظرة فنلك لأن المؤلفات التي تبحث في تاريخ سورية ولا سيما الأجنبية منها كثيراً ما ألقت خلعاً لوجهة نظر خاصة أو مصاحبة معينة أو منفعة ذاتية ، أي أنها كتبت بروح مغلظة . يضاف إلى ذلك أن المؤلفين الأجانب تغيب عنهم أمور كثيرة من أخلاق البلاد وعاداتها وأعرافها وزعاتها وطبيعتها لغتها ، فيلجئون إلى تفسير هذه الظواهر الاجتماعية تفسيراً خاطئاً ، إن لم يكن مقصوداً . وهذا ما يقتضي منا إجراء التصحيحات اللازمة لهذه الأخطاء الأجنبية بتأليف تظهر وجهة نظرنا وتعليقنا للحوادث تعليلاً مستمداً من واقع حياتنا .

٣ - المكتبة التاريخية :

هذا ولا يغرب عن البال أن مثل هذا التأليف التاريخي يحتاج إلى وسائل عمل كافية توضع تحت تصرف المؤرخين للقيام بالبحوث . والمكتبة العامة في دمشق ومكتبة الجامعة ما زالتا تقتصران إلى العديد من المصادر المختلفة المبعثرة في مكتبات أوربة ، أو في دكاكين الوراقين وباعة الكتب والخزائن الخاصة ، هذا بالإضافة إلى الوثائق التي تحاول وزارة الثقافة والإرشاد القوي في الإقليم جمعها في مديرية الوثائق المنشأة حديثاً .

واقتناء وسائل العمل هذه يتطلب جهوداً متضامنة من نواحي مختلفة ، ومثل هذه الجهود لما تبذل بعد ، ولما يرسم لها أى تخطيط ، فضلاً عن الاعتمادات الضئيلة التي تخصص غالباً لشراء الكتب الحديثة دون الاهتمام في البحث عن أمهات الكتب والمصادر القديمة الضرورية ، والعقبات المالية والشكليات الرسمية المختلفة وما إلى ذلك من روتين قراطسى ، وغنى عن البيان أن نقول إن الباحث المتعمق يصدم لأول وهلة بهذا النقص ، في المصادر ولا يجد حلاً مباشراً حتى ولو حاول ذلك . فقد يقع أن دراستنا تضطربنا بين حين وآخر إلى زيارة مكتبتى الجامعة الأمريكية والجامعة اليسوعية في بيروت لا لاستكمال المصادر التي نبحثها في مكتبات دمشق ، بل للبحث عن هذه المصادر بالذات التي هي موفورة ومعدة في المكتبتين السالفتين . ولكن مثل هذه الزيارة إن جاد بها الزمان مرة فقد لا يجد بها إلا بمقدار نظراً للصعوبات والعقبات التي تصنعها الإدارة في وجه المسافرين إلى بيروت حتى ولو كان هذا السفر في طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، ولا شك في أن كل هذه العوامل مجتمعة تعمل على عرقلة البحث إن لم تحذفه تماماً وتحلّ دون إنتاج الأثر العلمى الأصيل .

٤ — قلة الآثاريين :

وإذا كانت هذه حال الدراسات التاريخية ، فليست الدراسات الأثرية بأحسن منها وضعاً ، وذلك لأن تدريس الآثار غير موجود بعد ، وإعداد الآثاريين الاختصاصيين الضروريين للبلاد مازال في حيز الإعداد الضئيل إن لم يكن في حيز العدم . وكلية الآداب في جامعة دمشق لا تضم قسماً خاصاً بالآثار . والدراسات الأثرية لا تأتي في قسم التاريخ إلا عرضاً أو مساعداً ، هذا مع العلم بأن سورية لا تجمع إلا نقراً قليلاً من الآثاريين والمهتمين بالدراسات الأثرية ، على الرغم من خصب الأرض السورية بالآثار المتنوعة التي خلقتها العصور التاريخية ، والبحوث الأثرية وأعمال الحفريات والتنقيب عن الآثار والتفاسير الضرورية للكشوفات الأثرية وما إلى ذلك من تقارير أولية مازالت عالة على الآثاريين والباحثين الأجانب ممن تستعين بهم المديرية العامة للآثار والمتاحف . والحق يقال إن جهود هذه المؤسسة ممثلة في شخص مديرها وأعضائها لتستحق كل ثناء وتقدير وإعجاب .

ولكن القضية التي توضع بالنسبة إلينا هي إعداد الآثاريين السوريين بحيث يتوافرون في البلاد للدرجة تسمح في يوم من الأيام بالاستقلال الذاتي والاستغناء عن الأجانب كههدف أسامي ، ولقد آن لإقليمنا السوري أن يتحرر من وصاية الأجانب والاعتماد عليهم في كل شيء ليكون لنا آثاريونالذين نتخبر بهم وتنقيباتهم ومؤلفاتهم كما يعتز إقليمنا المصري بالنخبة المختارة من آثاريه ونشاركه بهذا الاعتزاز نحن أبناء الإقليم السوري .

•

ونعتقد بعد هذا أن من حقنا أن نقترح إعداد طبقة من الآثاريين السوريين ، في جامعات الإقليم المصري وفي الجامعات الأجنبية ، مستكملين.

معين التاريخ لأهل التأريخ

لجميع الشروط الضرورية التي تؤهلهم للقيام بما يأتي :

١ - التدريس في قسم خاص بالآثار ينشأ في كلية الآداب بجامعة

دمشق لهذا الغرض ويجهز بوسائل العمل الكافية .

٢ - القيام بأعمال التنقيب للكشف عن الحضارات القديمة في

سورية .

٣ - إعداد طبقة من المشتغلين بالآثار على أيديهم .

٤ - القيام مع أعضاء قسم التاريخ بالدراسات التاريخية والأثرية

التي تكشف النقاب عن ماضي الإقليم، وتعد المكتبة التاريخية

والأثرية بالبحوث العلمية التي يصح أن تتخذ مرجعاً للباحثين.

•

ولا يخفى أن دراسة التاريخ القديم والآثار تتطلب من المختصين بها

معرفة باللغات القديمة ، ومثل هذه المعرفة ما زالت تنقص المشتغلين بالآثار

عندنا من أبناء الإقليم . ولما ينشأ بعد في كلية الآداب قسم خاص باللغات

القديمة والدراسات الكلاسيكية . ونرى أن إنشاء مثل هذا القسم ضروري

لأسباب الآتية :

١ - تزويد المؤسسات الأثرية بالمختصين باللغات القديمة

والدراسات القديمة .

٢ - تجهيز الأقسام الأخرى بكلية الآداب بالمدرسين الأكفاء

لتعليم هذه اللغات والدراسات القديمة حسباً تتطلبه مناهج

الدراسات الحديثة .

٣ - القيام بالدراسات الإنسانية واللغوية المقارنة التي تفتقر إليها

أكثر الأقسام في كلية الآداب .

•

معين التاريخ لأهل التأريخ

هذه بالجملة أسباب الأزمة التي تعانيها الدراسات التاريخية والأثرية في الإقليم السوري . ونعتقد أن حل هذه الأزمة منوط بالتسهيلات وتمهية الوسائل الملائمة التي يجب على المؤسسات العلمية المعنية أن توفرها للعمل التاريخي والأثري ، وذلك يكون بما يلي :

١- إبعاد المؤرخين والآثارين حسب الخطة التي قدمتها لجنة التاريخ والآثار في الإقليم السوري إلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وأقرتها شعبة العلوم الاجتماعية في هذا المجلس وقدمت بها مذكرات إلى الجهات ذات العلاقة .

٢- العمل على إنشاء قسم خاص للآثار في كلية الآداب بجامعة دمشق وتجهيزه بما يلزم من وسائل العمل .

٣- العمل على إنشاء قسم خاص باللغات والدراسات الكلاسيكية وإعداد جهازه التعليمي ووسائل عمله قبل تأسيسه .

٤- العمل على إنشاء قسم خاص باللغة الألمانية ومثله للأسبانية والروسية والشرقية لتزويد طلاب قسمي التاريخ والآثار باللغات الحية التي تتطلبها طبيعة الدراسة ، هذا فضلاً عن ضرورة إنشاء هذه الأقسام نظراً لحاجة البلاد إليها .

٥- العمل على إنشاء مكتبة خاصة بالتاريخ والآثار وتجهيزها بالمصادر الكافية التي تسهل على الباحثين والدراسين أعمالهم في البحث والدرس والتأليف .

•

ونرى بعد هذا أن أزمة الدراسات التاريخية والأثرية ستحل من نفسها وأن الإنتاج في هذا الحقل سيكون خصيباً وطيباً ، وأن العمل التاريخي سيؤدي رسالته .

معين التاريخ لأهل التأريخ

اسْتِكْمَالِ التَّاهِيْلِ الْعِلْمِيِّ لِمَدْرَسَةِ التَّابِخِ

معين التاريخ لأهل التأريخ

استكمال التأهيل العلمي لمدرسي التاريخ

ليس في مدارس الإقليم السورى الإعدادية والثانوية معضلة خاصة بالمؤهل العلمى لمدرسى التاريخ إذ أن جلهم يحمل الإجازة في التاريخ من الجامعات العربية أو الأجنبية . حتى أن وزارة التربية والتعليم بدمشق اكتفت منذ العام ١٩٥٩ بما لديها من مدرسات ولم تعلن عن مسابقة لوظائف جديدة لمن في مادة التاريخ . إلا أن الموضوع الذى يشغلنا ويشكل بحثنا هنا هو استكمال هذا التأهيل العلمى وتجديده ليكون مدرس التاريخ ذا ثقافة تاريخية كافية ومتكاملة تساعده على تأدية مهمته التعليمية خير أداء وتفصح له مجال التتبع والتقصى والبحث .

ولانتعرض هنا للتأهيل التربوى لأن إدارة التلريب في وزارة التربية والتعليم تعنى به حالياً ، كما لانتعرض لمدرسى التاريخ غير الاختصاصيين وأكثرهم من حملة الإجازة في الحقوق، لأن هذه الوزارة تعمل على الانتفاع بهم في مجالات أخرى كالإدارة وغيرها .

فهدفنا إذن استكمال الثقافة التى يتلقاها مدرسو التاريخ في جامعاتهم وتجديدها وتنمية شغف المطالعة والتتبع والبحث ، وإذكاء الوجدان والحياد العمليين .

أولا - الواقع العلمى لمدرسى التاريخ

١ - التكون الجامعى :

يتلقى طلاب التاريخ الاختصاص فى الجامعات على مدى أربع سنوات ، ويتزودون خلالها بالمعلومات عن التاريخ القديم ، والتاريخ الوسيط ، وتاريخ العرب والإسلام ، وتاريخ العصور الحديثة ، وتاريخ العرب الحديث ، ومنهج البحث التاريخى . ويقومون بتأريين فى القراءات التاريخية وتفسير النصوص الأجنبية . وكان خريجو كلية الآداب بدمشق إلى وقت قريب يقدمون بنهاية عامهم الجامعى الرابع بحثا يؤلفونه ويحصلون بنتيجته على درجات تفيدهم فى نجاحهم الأخير ، ثم أُلغى هذا النظام منذ العام ١٩٦٠ .

إلا أن الواقع ، وهذا من صلب النظام الجامعى ، يظهر لنا ما يلى :

أن طالب التاريخ القديم مثلا لا يتلقى تاريخ الشعوب القديمة كلها ، بل ولا تاريخ الشرق القديم بكامله وإنما يتلقى بحثا من التاريخ القديم : بحثا عن أمم دون أخرى وعن حضارات دون حضارات أخرى ، وترك له البحوث الباقية لدراستها بوسائله الخاصة . ذلك أن الجامعة لا يعترض فيها ، ولا بد ، أن تعطى طالب الآداب جميع البحوث التى تدخل فى دائرة اختصاصه ، بل تقدم له نماذج عنها ، وفيرة أحيانا يستفيد منها فى السير على منوالها فى دراساته الشخصية .

ولكن يصدف غالبا أن الطالب لا يدرس مطلقا هذه المواد التى تركت له أو يدرسها بصورة سريعة ، وإن درسها فإنه فى بعض الأحيان يدرسها فى كتب وموَلَفات لا يطمئن إليها العلم التاريخى .

فينجم عن ذلك أن خريجى قسم التاريخ عندما يصبح مدرسا يحمل ثقافة اختصاصه معهود إليه أمر استكمال الناقص منها ، ويحمل ثقافة جامعية فى بعض البحوث الهامة متروك إليه أمر تنميتها ، بالإضافة إلى أنه يلقى أبحاثا

معين التاريخ لأهل التاريخ

مستجدة يلزم عليه دراستها . وهذه الفجوات في دراسته التاريخية يظهر أثرها في ممارسة مهمته التعليمية إن لم يتداركها بالدراسة ، وتصبح هذه الفجوات خطيرة جداً إن كانت تتعلق بتاريخ الوطن المحلى بصورة خاصة أو تاريخ الوطن العربى الكبير عامة والتاريخ العام بصورة أعم .

هذا من حيث التكون الجامعى العلمى ، أما من حيث اكتساب ملكة المطالعة والبحث ، والوجدان العلمى ، أثناء الدراسة الجامعية ، فإننا لانشك في ذلك قط ، إذ أن النظم الجامعية تلحظ تنمية روح المطالعة والبحث لدى الطلاب والتقييد بالوجدان العلمى والحياد التام في تحليل حوادث التاريخ . ولكن الواقع يظهر لنا بالنسبة لوسائل الدراسة عند الطلاب ، إن هؤلاء يعنون أول ما يعنون بدراسة الكتب ومذكرات الأساتذة التى يفحصونها دون غيرها ، ولا يميلون إلى قراءة المؤلفات الأخرى أو الكتب التى لاتدخل بمحورها في مواد فحوصهم . وقد تكون هذه البحوث هامة جداً والمؤلفات ذات قيمة علمية عالية ، فيفقد الطالب فائدة الاطلاع عليها وتبقى ثقافته محدودة بالمعلومات الجامعية .

هب أن طالباً لم يطلع على كتاب التاريخ للطبرى أو لابن الأثير ولم يقرأ كتاباً في الحروب الصليبية أو في الحضارة العربية ، أو البقعة العربية في القرن العشرين ، ولم يعرف كتاب خطط الشام للأستاذ كرد على ، وكتب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى وغيره ، ولم يقرأ كتاباً في الثورة الفرنسية أو في النظم الاقتصادية الكبرى . . . الخ ، فكيف نطمئن إلى ثقافته التاريخية وإلى تمكنه من مادته التى سيصبح مدرساً فيها ؟

فالجامعة ، في هذه الناحية ، مدعوة إلى العناية بكتب المطالعة والرغيب فيها ، وهى مهما ألحت على طالب التاريخ في قراءة أمثال هذه الكتب بل وسأئمه أثناء الفحوص عن دراسته لها فهى لاتبالغ في ذلك ولا تشتد عليه . وهى أيضاً مهما اهتمت بتدريب الطالب على الإنشاء التاريخى وجمع الوثائق والمصادر

معين التاريخ لأهل التأريخ

لا يمكن قد خرجت عن مهامها ، إذ أن اكتساب الطالب روح البحث وطريقة الدراسة وملكة الكتابة التاريخية يوازي تماما التدريس الجامعي النظري بل يدعمه ويوصله إلى الغاية المنشودة ، وإذا كانت المعاهد الأمريكية تبالغ بعض المبالغة في هذه الناحية فمن الممكن اتخاذ موقف وسط يؤمن بالفائدة التي نبيها .

و يجب ألا يغرب عن البال أن معرفة الطالب الجامعي باللغة الأجنبية ضعيفة أشد الضعف . ولا نرغب هنا في أن تقدم أمثلة على ذلك واكتنا نكفي بالقول بأنها لا تحقق الغرض المرجو منها . والخريج الجامعي الذي لا يقن لغة أجنبية حية هامة يبقى فاقدا وسيلة رئيسية من وسائل الثقافة التاريخية لا يعوض عنها نشاط حركة الترجمة . والمسئولية في هذا الضعف لا تقع وحدها على الجامعة بل تشترك فيها المدرسة الثانوية وقبل الثانوية . فهل يستطيع المدرس أن يرقى إلى مستوى مهمته واختصاصه إن بقي غريبا عن المصادر والمؤلفات والبحوث الأجنبية ؟

•

٢ - المطالعة والدراسة بعد التخرج الجامعي

إن وسائل المطالعة والتتبع أصبحت متيسرة في الوقت الحاضر أكثر من ذي قبل ، وهي سائرة في ازدياد مستمر . فلور النشر تعيد طبع عدد من الكتب التاريخية العربية الكبرى وتصدر مؤلفات قيمة في كثير من الموضوعات وتنتشر كتباً ثمينة مترجمة عن اللغات الأجنبية ، وأصبحت المكتبة العربية غنية بالكتب التاريخية على تنوع موضوعاتها . ولكن المطالعة والدراسة عند المدرسين لا تبلغ الحد الذي نرغب به . وقد يكون للتكون الجامعي أثر في ذلك ، ولا سيما بالنسبة للغة الأجنبية ، إذ أن ضعف المدرسين في اللغة الأجنبية أدى بهم مما أدى إلى ضعف هواية المطالعة والدراسة بعد التخرج الجامعي ، ولكن ليس للتكون الجامعي كل الأثر في ذلك ، فهناك أسباب أخرى سنتطرق لمعالجة

معين التاريخ لأهل التاريخ

بعضها في هذا البحث . والشئ الملاحظ عند جمهور المدرسين أن عدداً منهم يجعل اهتمامه بالمطالعة والدراسة أمر ثانوياً بالنسبة لمشاغله الأخرى ، بل إن بعضهم يكفى بالثقافة التي تلقاها في أثناء الدراسة الجامعية ويستذكر معلوماته قبل إعطاء الدرس من الكتاب المدرسى . وهذا الأمر يصبح خطيراً جداً إذا نظرنا إلى أننا نضطر في بعض الأحيان إلى الاستعانة ببعض هؤلاء لتقويم الكتاب المدرسى أو لتدقيق الكتاب المقدم للمسابقة وما هو مهم جداً هو أن بعض هؤلاء المدرسين قلعجز عن ملاحظة خطأ وارد في الكتاب أو تصحيح فكرة شخصية واردة فيه أو بعيدة عن الصحة التاريخية .

ولا يعم هذا القول جميع المدرسين إذ أن هنالك عدداً منهم عرف بالدراسة الحثيثة والدأب على المطالعة بل والتتبع والتأليف . وقد برز أثرهم في المؤتمر التوجيهى للمدرسى العلوم الاجتماعية الذى أقامته إدارة التريب لوزارة التربية والتعليم في منتصف العام الدراسى السابق . ويتصف مدرسو التاريخ بصورة عامة في الإقليم السورى باتساع الثقافة العامة وحسن التعبير ووضوح التفكير .

•

٣ - التتبع والتأليف التاريخى وحيازة المكتبة الشخصية :

إن روح التتبع والتأليف التاريخى ما تزال ضعيفة في جمهرة المدرسين . وأسباب ذلك كثيرة منها انهماكهم بمهمتهم التعليمية وقصر العطلة الصيفية وعدم اهتمامهم بالمكتبة الشخصية وتغذيتها بالكتب الهامة ... الخ . والمكتبة الشخصية ذات أثر كبير في تنمية حب المطالعة والدرس والتتبع وهى جليلة القائدة للمدرس .

ينجم عن ذلك ضالة الاتجاه العلمى لدى أغلب المدرسين وضعف الرغبة الحقيقية في متابعة الدراسة والتقصى والتقيب . فكأن الإجازة في التاريخ قد حققت غايتها بحصول صاحبها على الوظيفة . ولا ننكر أن لدينا عدداً من

معين التاريخ لأهل التاريخ

المدرسين يقوم حالياً بالتأليف المدرسى إلا أن أغلب هذا التأليف تنقصه الأصالة والتحريات الجدية ، بل يتأثر عامة بالكتب المدرسية الأخرى الأجنبية أو العربية . هذا مع اعترافنا بأنه صدر في الإقليم السوري عدد من الكتب المدرسية القيمة جداً، الأصيلة . إلا أن معظم أصحابها انتقلوا إلى جامعة دمشق ودوائر الدولة الأخرى وفقدوا التعليم الثانوى .

وإن من أسباب ضعف الحركة العلمية لدى مدرسى التاريخ عدم وجود جمعيات تاريخية في الإقليم ، ومكتبات عامة غنية بكتب التاريخ ، ومجلات تاريخية ... الخ .

ولسنا نبالغ في إلحاحنا بتوجيه المدرسين إلى وجوب العناية بالتتبع العلمى ، إذ أن معظم مناطقنا ذات ماضٍ تاريخى عريق ، تشجع المدرسين على القيام بدراسات محلية جزيلة الفائدة .

.

ينفج مما ذكرنا عن واقع مدرسى التاريخ أن معظمهم اختصاصيون فى مادتهم . ينتقون خير انتقاء ، لا تنقصهم الرغبة الحسنة فى الاطلاع والدراسة والاستزادة من الثقافة المسلكية . إلا أن الظروف الحالية التى هم فيها تجعلهم بصورة عامة أقل تمكناً بمادتهم من أقرانهم فى البلدان الأجنبية الراقية . وإن كانوا يستطيعون أن يزورهم لو أتيت لهم الشروط الثقافية والعلمية المتوفرة لهؤلاء . وهناك حلول وتدابير عديدة تساعد على خلق الجو العلمى لدى المدرسين والسير بهم نحو إنماء ثقافتهم التاريخية . ولا نعرض هنا إلا إلى ما يخص وزارة التربية والتعليم ، تاركين بعض الحلول التى تتعلق بالجامعة وغيرها إلى التوصيات التى سنوردها بآخر هذا المقال .

ثانياً — الحلول والتدابير

يمكن استكمال الثقافة التاريخية للمدرسى التاريخ وتميها ، فيما يخص وزارة التربية والتعليم ، بالحلول والتدابير الآتية ، وهى تتضمن مجموعة من التوجيهات الفنية والتدابير الإدارية :

١ — التوجيهات الفنية :

توجه وزارة التربية والتعليم إلى مدرسى التاريخ عددا من البلاغات التوجيهية تتعلق بالنواحي التالية :

— لزوم تهيئة الدروس التى سيعطيها المدرس ، فى كتب أوسع ثقافة وأكثر تفصيلا من الكتب المدرسية

— لزوم العناية التامة بدراسة تاريخ الجمهورية العربية المتحدة، خاصة ، وتاريخ الأمة العربية عامة ، وذلك فى جميع فترات التاريخ : القديم والعربى الإسلامى واحديث وفى التاريخ الحضارى إلى جانب التاريخ السياسى ، على ألا تقتصر هذه الدراسة على المؤلفات القديمة بل تشمل ما يستجد من بحوث وألا تقتصر على مايؤلف باللغة العربية بل تشمل مايؤلف باللغة الأجنبية .

— لزوم الاطلاع الكافى على التاريخ العام ، تاريخ الإنسانية فى مختلف العصور ، والانتباه إلى الترابط المشترك بين أحداث العالم وإلى الأثر المتبادل فيما بينها .

— لزوم العناية بدراسة القضايا الدينية المعاصرة والقوة الاستعمارية التى تتألب على الوطن العربى .

— سؤال المدرسين عن الموضوعات العامة التى يودون استكمال ثقافتهم التاريخية بها أو تميها ، فتبعت إليهم الوزارة بقائمة بالكتب العربية والأجنبية عنها .

— لزوم الاهتمام بتنمية المعرفة بإحدى اللغات الأجنبية والتدريب على ترجمة بعض المقالات التاريخية عنها .

معين التاريخ لأهل التاريخ

— تقييه المدرسين إلى أن الثقافة التاريخية النامية تساعدهم على كشف الأخطاء التي قد ترد في الكتاب المدرسي بسبب الطباعة أو سهو المؤلف فيعمل على تصحيحها . كما تساعده على حسن أداء الدرس وحسن التصرف بعرضه .

إن المدرس الواسع الاطلاع يستطيع التوفيق بين الاتجاهات السياسية والقومية المعاصرة وبين ظروف الأحداث التاريخية والأسس التي قامت عليها ، مثال على ذلك : نبذ نحن العرب ، فكرة الاستعمار والسيطرة الاستعمارية . فبحث المدرس في التوسع الفينيقي الذي هو صورة فذة عن نشاط أبناء وطننا القدماء يجب مع ذلك ، أن يأخذ شكلا ينسجم مع تفكيرنا فلا نعرضه على الطلاب بشكل يعطيه صورة الاستغلال والاستئثار .

مثال آخر : ذكرى الحركة العربية ، في أوائل هذا القرن وتمجيد رجالها وشهداءها وقادة الثورة العربية ، عزيزة على نفوسنا ، إلا أن انحراف أنجال الشريف حسين عن مبادئ الثورة وتعاون بعض قادتها مع الاستعمار يجب ألا يفسد على الأجيال ذكرها . فالمدرس الواثق من ثقافته يستطيع أن يوفق بين كل ذلك فيوضح انحراف الثورة فيما بعد وخروج بعض رجالها عن أهدافها السامية .

مثال ثالث : إن إعجابنا بالحضارة المملوكية وآثارها المنتشرة في إقليم الجمهورية لا تنسينا أن نظهر للطلاب أن الحكم المملوكي — وحكم كليوباترة بالذات — إن هو إلا حكم أجنبي استعماري غريب عن هذا الوطن . فالمدرس الواعي لا يلهو عن هذه الحقيقة ولا يسترسل في تمجيد عهد المملوكين . وكذلك بالنسبة للرومان ... الخ .

— تذكير المدرسين بفائدة الكتابة في المجلات والصحف ، المدرسية منها وغير المدرسية ، لأنها تساعد على إتمام الإنشاء التاريخي والتأليف . والرحلات العلمية مناسبة هامة لتنمية ملكة الملاحظة والملاحظة والكتابة في الانطباعات الشخصية .

معين التاريخ لأهل التاريخ

— تنبيه المدرس إلى الاستفادة من وجوده في إحدى المناطق النائية للتعلم بدراسة بعض أحوالها وتقصي تاريخها وجمع المصادر والوثائق عنها . ولا يظن المدرس أن عمله يجب أن يقتصر على الأحوال الماضية بل يمكن أن يتركز حول الأوضاع الاجتماعية القائمة . فيدون مشاهداته ويجمع المستندات والإحصاءات عنها ، ويسجل انطباعاته .

— تنبيه إلى أن الدراسة والتتبع هذا بدء العلم . ولا تعطى الدراسة والتتبع ثمارها إلا في الاختصاص الدقيق . فعلى المدرس أن يتعرف على بيئته واتجاهاته ثم يعين الناحية التي يرغب التخصص بها ويتعمق بدراساتها ويطلع على ما أنف فيها ويسلك سبيل التحليل والتقد وينتبه إلى ما ينبثق من دراسته من أفكار واستنتاجات فيدونها ويحقق فيها . ثم يكتب عنها أو يؤلف فيها . ويجب أن يعلم أن كل كتابة أصيلة هي مساهمة فعالة في ارتقاء العلم بل هي معلم بناته . ويجب أن يعلم المدرس أن باستطاعته دوماً أن يكون عاملاً فعالاً في تأليف التاريخ وأن يضع لبنة في بناء صرح التأليف التاريخي . ولا يتحقق له ذلك إلا إذا اتسم علمه بالحياد والدقة في سرد الوقائع . فالوجدان العلمي شرط أساسي من شروط المؤرخ . لا يطلب من المؤرخ أن يستخلص العبر من الأحداث التي يؤرخ فيها ولا يعطى رأيه فيها ، فذاك من مهام رجال آخرين : نقاد أو فلاسفة أو مربين ، وإنما يطلب منه تصوير الحوادث على النحو الصحيح حسبما شاهدها وسرد الأقوال كما سمعها . لا يتخلى المؤرخ قط عن واجب التدقيق والتحقيق عند دراسة المصادر ، والمقابلة فيما بينها ، ولكن ليس عليه أن يقوم بأى تحوير . لقد كتب كثيرون من أدباء أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عن الدولة العثمانية وعن الشرق وادعوا أنهم يؤلفون تاريخاً . ولكن لم تكن كتاباتهم إلا مجرد صحائف أدبية ، خيالية ، شخصية . لذلك اندثرت وبقي بدلا عنها تقرير صغير من شاهد عيان مقيم في هذه المدينة أو تلك ، لا تمحوه السنون . وكذلك فالمدرس في قرية نائية أو مدينة مهما صغرت

معين التاريخ لأهل التاريخ

حين يشاهد الحوادث التي تمر بها ويكتب عنها ، تبقى كتاباته ذات قيمة لا تمحي .

ولا يطلب من المدرس أن يلون من الحوادث تلك التي يعتقد أنها تاريخية فحسب ، بل يمكنه تلوين أى حادث هام يجد أنه ذو أثر سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى أو فنى فى تاريخ المنطقة أو الوطن أو فى تطور المجتمع وللقاد وللأجيال من بعده أن تتحقق فيما قال أو كتب وتستخلص النتائج ، ولكن يكفيه رضا أنه صدق فيما ذكر وقدم للمحققين من بعده مصادر للبحث ، وأسهم إسهاماً فعالاً ، مهما ضوئت قيمته ، فى تطور علم التاريخ وارقائه . على أن يلتزم فى كتاباته قبل كل شيء قواعد الطريقة العلمية فى البحث ، تلك التي عرفها فى أثناء دراسته الجامعية .

— توجيه المدرس إلى وجوب تكوين مكتبة تاريخية شخصية وتنميتها باستمرار حتى تصبح لائحة بمدرس التاريخ . وتحوى مكتبة المدرس الشخصية — بالإضافة إلى المؤلفات العامة والكتب الاختصاصية ، الصور والوثائق والمستندات ، ومنتطفات عن الصحف وعن أقوال رجال الفكر والسياسة ، وبعض وسائل العمل التاريخي كالمعاجم والأطالس وغيرها ، يجب ألا يغرب عن بال المدرس أن النظر إلى الخارطة والتمتع بها تفاعل ذاتى عميق مع الأرض التي يرى صورة مصغرة عنها ومع الأمة التي تنبئ عنها . والرأى صحيح أيضاً بالنسبة لروائع الفن وصور الأثر القديم .

هنالك فن فى تكوين المكتبة الشخصية وتنميتها . إذ أنها تعطى صورة عن ميول صاحبها واتجاهاته وأفكاره الشخصية . ولا يمكن أن تكون المكتبة الشخصية حاوية كل شيء ، فالفن فى حسن الانتقاء .

إن تنمية ملكة المطالعة والدراسة وخلق روح البحث العلمى والتتبع لدى المدرسين تساعدهن على وضعهم فى الجور العلمى الذى تهيئوا له ونحيبان إليهم الاختصاص الذى اختاروه وتنميان ثقافتهم ، ويشع نور ذلك كله

معين التاريخ لأهل التاريخ

على تلامذتهم . فيكون للدرس التاريخ عند هؤلاء أثر في نفوسهم وأى أثر وتكون للمدرس عندهم حرمة وأى حرمة .

•

٢ - التدابير الإدارية :

متابعة تنفيذ التوجيهات - حلقات البحث العلمى - الدورات التدريبية - كتاب المدرس - قائمة الكتب الرئيسية لاستكمال الثقافة التاريخية -... الخ .

١ - متابعة تنفيذ التوجيهات :

يجب ألا تبقى التوجيهات الفنية التى تعم على المدرسين مجرد نصائح وإرشادات يأخذ بها المدرسون أو لا يأخذون ، بل يجب معرفة مدى تفهمهم لها وتنفيذها . ويتحقق ذلك بصورة خاصة عن طريق المفتشين . يستطيع هؤلاء إبان جولاتهم التفتيشية أن يتحدثوا مع المدرسين عن فائدة النواحي التى تطرقت إليها التوجيهات وأهميتها ويوضحوا ما أشكل لهم بشأنها ، ويسألوهم عن تنفيذها . يجب أن يشجع المفتشون المدرسين على استكمال ثقافتهم الاختصاصية وتنميتها ويقدرُوا المتبعين والباحثين ويفيلوا منهم فى المهام العلمية . المفتش قبل كل شئ " مرشد وموجه ، إذ أن العلاقة بين المدرس والإدارة التعليمية تبقى دوما علاقة ود وتعاون ، فالمدرس موضع ثقة مطلقة من الجميع . ولا يمكن أن يشككتا فيها إلا تقصير متعمد . لذلك يجب أن يتركز حديث المفتش مع المدرسين حول مدى فائدة الطلاب من الكتب والمناهج ووسائل تحقيقها والمعضلات التى تنجم عنها وحلولها ، وتبدأ هذه الحلول يتمكن المدرس من مادته وتنمية اختصاصه ، وإن متابعة المفتش تنفيذ التوجيهات التى ذكرناها آنفا خير ضامن على الفائدة المرجوة منها .

ب - حلقات البحث :

يستطيع المفتشون أيضاً أن يعقدوا في مناطقهم حلقات بحث يناقشون فيها بعض النقاط التي يقع الاختلاف فيها بين المدرسين .
مثال على ذلك : هل يجب التوسع - في المدارس الإعدادية - بفتنة عثمان أم أنه يجب عدم التوسع بها بل إغفالها . إن مثل هذه الناحية قد يختلف فيها المدرسون - وقد اختلفوا فعلاً - بناء على وجهة نظر كل منهم في لزوم تزويد طالب الإعدادية بجميع النواحي الثقافية التاريخية أم عدم تزويده بها لئلا تتوسع بإيراد هنات التاريخ العربي .
مثال آخر : هل يجب التوسع بالفتوحات في العهد الأموي في المرحلة الإعدادية أم عدم التوسع بها مطلقاً ، بناء على الرأي القائل بعدم الاهتمام بالحروب في المنهج المدرسي . أو الرأي القائل بوجود الاهتمام بهذه الحروب الأموية بالنات لأنها أساس بناء الدولة العربية ؟
إن هذه المناقشات وأمثالها مفيدة جداً . فيستطيع المفتش في حدود منطقتة أو الوزارة في الإقليم أن تعقد حلقة بحث علمي تناقش به هذه النقاط في ضوء توجهات المنهج .

ويمكن أيضاً عقد حلقة علمية من قبل المفتش أو من الوزارة نفسها بمستوى علمي بحث . مثال على ذلك : مصادر (Sources) تاريخ الثورة العربية سنة ١٩١٦ والحكومة العربية في سورية (١٩١٨-١٩٢٠) أي مصادر تاريخ الحركة العربية قبيل الدستور العثماني وبعده - مقدمات الثورة - يومياتها Chronologie الوثائق الرسمية العربية والأجنبية - المذكرات - آراء المعاصرين - المؤلفات العربية - المؤلفات الأجنبية - مقتطفات من الصحف - الصور والرسوم والخرائط - الأزياء العسكرية والمداليات والأساحة - الأناشيد والقصائد الوطنية والزجل الشعبي - التحقيقات (الأعمال) الإدارية للحكومة العربية بدمشق - الاستعداد العسكري - السياسة الدولية - الخ ... الخ ...

معين التاريخ لأهل التاريخ

فيطلب من المدرسين عند الإعلان عن موعد هذه الحلقة أن يشرح كل منهم نفسه لواحد من هذه المواضيع ، فيبيّن المصادر المتعلقة بها ، ويقدم في الحلقة بيانا ودراسة عن هذه المصادر .

والأمثلة عن البحوث التي يمكن أن تعقد بها حلقات علمية محلية أو عامة كثيرة ليس من الضروري الآن إيرادها .

ح - الدورات التدريبية العلمية :

- هناك موضوعات كما قلنا في بدء هذا البحث لم يطلع عليها المدرسون في أثناء دراستهم الجامعية أو لم يتوصعوا بدراستها ، كما أن هنالك موضوعات برزت أهميتها حديثا بسبب نمو حركة التحرر العربي والحركة التحررية للشعوب الأخرى . فيجب دراسة هذه البحوث من جديد والاهتمام بها الاهتمام اللازم . فالدورات التدريبية كغاية بتحقيق هذا الغرض . ونورد فيما يلي عدداً من هذه الموضوعات لنذكر أهميتها القصوى :
- استقلال الأقطار العربية في السنوات العشر الأخيرة .
- علاقة إمارات الجزيرة العربية بالدول الاستعمارية :
- الكفاح العربي في الجزائر منذ الاحتلال حتى وقتنا الحاضر .
- ثورة السودان ١٩٥٨ .
- قضية لواء الإسكندرون .
- السياسة الاستعمارية في سورية عقب الحرب العالمية الأولى (خلق كيانات جديدة في سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الأردن).
- أهداف ثورة ١٩٥٢ في الإقليم المصري وتحقيقاتها .
- الأحلاف الاستعمارية ومؤتمرات الحياض الإيجاني (بانلونج بربوني ، القاهرة).
- أنظمة الحكم في سورية من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى قيام الجمهورية العربية المتحدة (النضال الوطني في سورية والمحاولات السياسية الفاشلة للسلطة الاستعمارية — سياسة الحكومات الوطنية بعد الجلاء لصيانة الاستقلال)

معين التاريخ لأهل التاريخ

- أثر كارثة فلسطين في تحقيق الوعي العربي .
- التحقيقات (Réalizations) الاجتماعية والاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة .
- صور من المقاومة الشعبية في الإقليم المصرى ضد بونابرت وضد السلطة العثمانية (عمر مكرم ... الخ) .
- اتحاد مصر وسورية زمن الأيوبيين وأثره في طرد الصليبيين من بلاد العرب .
- السياسة الاستعمارية والتميز العنصرى زمن الرومان في إقليمى الجمهورية العربية المتحدة .
- السياسة الاستعمارية والتميز العنصرى زمن المكدونيين (البطالمة والسلوقيين)
- التكامل الاقتصادى بين أقطار الوطن العربى .
- واجبتنا نحو المستقبل .
- الحركات الاستقلالية في إفريقيا السوداء والجمهوريات المستقلة حديثاً فيها ... الخ ... الخ .

تقام هذه الدورات العلمية في كل من الإقليميين وتنظمها وتشرف عليها وزارة التربية والتعليم التنفيذية . والدورة التدريبية تقام لواحد من هذه الموضوعات ولموضوعين أو أكثر ، وتنتهى المحاضرات بثبت بالمراجع ، وتطبع وتوزع على المدرسين .

إن الدورات التدريبية وحلقات البحث تشكل ، بالإضافة إلى الفائدة العلمية المباشرة ، جواً علمياً يحجب إلى المدرسين الدراسة والتتبع العلمى ويرقى بهم إلى مستوى رفيع ويدفعهم إلى تنمية اختصاصهم ويخفف عنهم المتاعب التى يلاقونها في مهامهم التعليمية .

والمهم في هذه الدورات التدريبية تزويد المدرسين بثقافة نامية في الموضوعات الجديدة والحامة ولا سيما العربية منها وإرشادهم إلى الكتب الأساسية التى تعالجها .

معين التاريخ لأهل التاريخ

د - إبلاغ المدرسين قائمة بالكتب الضرورية للثقافة التاريخية ولتكوين نواة المكتبة الشخصية :

لا بد وأن المدرسين قد عرفوا أثناء دراسهم الجامعية وممارستهم التعليم أسماء عدد من الكتب الهامة والأساسية المتعلقة بموضوعات اختصاصهم . فمن الممكن تذكيرهم بها وإبلاغهم أسماء مصادر أخرى ومصادر في الموضوعات الجديدة . وتقديمنا للمدرسين قائمة بالكتب الهامة فيه فائدة كبرى إذ أنها تساعدهم على التعرف عليها وشرائها ودراسة ما لم يدرسوه منها . وكأننا أيضاً بهذه الوسيلة نساعدهم على تكوين مكتبة تاريخية متكاملة ضرورية لهم من أجل مهنتهم التعليمية ومتطلباتها . ولسنا نطمح في أن نقدم لهم قائمة واسعة في الكتب بمختلف عصور التاريخ وبمختلف البحوث وإنما قائمة بكتب أساسية يحسن بكل مدرس حيازتها .

وهذه القائمة تتضمن كتباً عن :

نشأة الحضارات - تاريخ الأمم القديمة - الفراعنة وتاريخ الشرق القديم - الإغريق والهيلينستين - الرومان والبيزنطيين - البرابرة - الجزيرة العربية منذ أقدم العصور - الدعوة الإسلامية والفتوح العربية الإسلامية - الممالك الإسلامية والعربية - تاريخ العرب في الأندلس - الإقطاع في أوروبا - القرون الوسطى الأوروبية - الحروب الصليبية - الدولة العثمانية - أوروبا والعالم منذ الثورة الفرنسية - تاريخ العرب الحديث - الكفاح العربي واستقلال الأقطار العربية .

وبعض الكتب في : تطور الفكر الإنساني - المذاهب السياسية - المذاهب الاقتصادية - الحضارة الأوروبية - الحضارة العربية - الاقتصاد العربي .. الخ - خرائط وأطلس تاريخي .

وهذه القائمة تشمل كتباً عامة ، عربية وأجنبية تتعلق بالتاريخ العام والتاريخ العربي والإسلامي ، وكتباً خاصة ببعض البحوث ، وكتباً متعلقة بموضوعات معاصرة . . الخ .

معين التاريخ لأهل التاريخ

وستقدم بمناسبة أخرى صورة عن هذه القائمة - وفق الأسس التي ألغنا إليها - تلك التي يستطيع المدرسون اقتناء كتبها في سنين قليلة لتكون نواة لمكتبتهم الشخصية .

هـ - كتاب المدرس :

وهناك تدبير إداري آخر عظيم الأهمية يحقق جزءاً كبيراً من الأغراض التي تسعى إليها ويزود المدرسين بالثقافة لتأدية واجهم التعليمي خير تأدية ألا وهو كتاب المدرس .

يشترط في كتاب المدرس أن يكون :

- شاملاً المنهج الأخير لوزارة التربية والتعليم .
- متوسعاً بالبحوث الأخرى سعة تامة كافية لتزويد المدرس بالمعرفة التاريخية ولربط الأحداث فيما بينها .
- مؤلفاً وفق روح المنهج وأهدافه وتوجيهات وزارة التربية والتعليم دون مساس بالحقائق التاريخية الثابتة .
- متضمناً الوسائل التعليمية المساعدة كالتخرائط والصور والخطوط البيانية والإحصاءات والوثائق اللازمة والقرارات التاريخية ومصادر البحث وأسماء كتب يمكن أن يوجه الطلاب إلى قراءتها .

والكتاب المدرسي مفيد جداً لا نبالغ مهما توسعنا في تبيان فائده وعند ما يصبح لدى مدرسينا كتاب عن كل صف من صفوف المرحلة الإعدادية والثانوية خاص بهم يبدأ لدينا الاطمئنان على مستقبل تعليم التاريخ في الجمهورية العربية المتحدة وعلى مستوى المدرسين العلمي والثقافي التي يحملها التلاميذ من سنى دراستهم .

إن تحقيق أهداف المنهج وغاياته يتوقف قبل كل شيء على شخصية المدرس إلا أن العامل الأول في هذه الشخصية ونجاح المدرس في عمله هو تمكنه من مادته وتوسعه في ثقافته الاختصاصية .

ثالثاً — التوصيات (بما يخص الإقليم السوري)

١ — التوصيات المتعلقة بجامعة دمشق :

- تعيين عدد من الكتب في كل سنة من سنى الاختصاص لقراءتها من الطلاب ، عدا الكتب المقررة ، وسؤالهم عنها ومناقشتهم في موضوعاتها أثناء الفحوص الشفهية .
- عند اقتصار الأستاذ الجامعي على تدريس جزء من المادة يطلب إليه تبديل هذا الجزء كل سنتين حتى يصلر عن المدرس أو الجامعة في مدى عدة سنوات دراسة وافية عنها .
- على كل أستاذ أن يقدم لطلابه في بدء السنة الجامعية بياناً بالمصادر عن الموضوع الذى سيدرسه ، مبوبة حسب فصول هذا الموضوع :
- على كل أستاذ عند ذكره أثناء التدريس كتابا من الكتب أن يظهر خاصته ويدعو الطلاب إذا رأى لزوماً لذلك إلى دراسته واقتنائه .
- توصية قسم التاريخ في كلية الآداب بزيادة العناية بتدريب الطلاب على قراءة الوثائق التاريخية وتفسيرها وتحليلها ، وكذلك قراءة صفحات من مؤلفات المؤرخين ونقدها ، وذلك في كل سنة من سنى الاختصاص .
- تعميم مبدأ فرض الوظائف التاريخية على الطلاب مرة على الأقل في كل سنة على أن تناقش هذه الوظيفة أمام عموم الطلاب وتقدم من الأستاذ ويجعل لها علامة (درجة) ذات أثر في نجاح الطالب .
- زيادة العناية باللغة الأجنبية بصورة تجعل الطالب قادراً على المطالعة بها بسهولة والانتفاع منها ، كأن تزداد مثلاً الساعات المخصصة لها أسبوعياً... الخ
- العناية بتزويد مكتبة الجامعة أو مكتبة كلية الآداب — إذا كان للكلية مكتبة خاصة بها — بالكتب التاريخية اللازمة والمحلات والخرائط والأطالس :

معين التاريخ لأهل التاريخ

- تخصيص قاعة خاصة للأستاذ في مكتبة الجامعة وفي مكتبة الكلية .
- الإكثار قدر الإمكان من الرحلات التاريخية للطلاب مع تنظيمها
- التنظيم الدقيق على أن يشرف عليها أحد الأساتذة .
- إيجاد مجلة لكافة الآداب مخصص بها ركن للتاريخ يشرف عليه وينظمه
- رئيس قسم التاريخ ويشترك الأساتذة والطلاب في تحريره .

•

٢ - الموصيات المتعلقة بوزارة التربية والتعليم :

- تنفيذ التوجيهات النية التي أوردناها في هذا البحث ، صفحة ٢٣٥
- تنفيذ التدابير الإدارية التي أوردناها في هذا البحث ، صفحة ٢٣٩
- تضمين المناهج في المرحلتين الإعدادية والثانوية شيئاً من التاريخ العام أو على الأقل البحوث الهامة من التاريخ العام والبحوث التي لها ارتباط بتاريخ الوطن المحلي والوطن العربي الكبير .
- تطوير طباعة الكتب المدرسية بشكل تصبح فيه وسائل الإيضاح (الصور - الرسوم - الخطوط البيانية ..) واضحة وجذابة ،
- مع الإكثار بالقدر اللازم من أجزاء المطالعة الحرة (كالمجلات) التاريخية والنصوص وفقرات من الكتب الهامة . . . الخ) على أن يكون الكتاب حسن التجليد سهل الاستعمال .
- تغذية مكتبات المدارس بالكتب التاريخية ليرجع إليها المدرسون عند الحاجة .
- تنمية مكتبة الوزارة ومكتبات مديريات التربية والتعليم في المناطق بالكتب التاريخية الأمهات والكتب الأخرى الهامة ، العربية والأجنبية .
- تشجيع المدرسين الباحثين والدارسين . وذلك بالإفادة منهم في المهام الفنية ونشر بحوثهم في مجلة الوزارة أو طباعها على حسابها الشخصي .
- وخاصة بإيفادهم ببعثات دراسية .

معين التاريخ لأهل التأريخ

- إقامة رحلات تاريخية للمدرسين في حدود المنطقة أو الاقليم أو الجمهورية أو الوطن العربي الكبير أو البلدان الأجنبية ومساعدتهم مادياً في نفقات بعض هذه الرحلات .
- تبادل المدرسين بين إقليسي الجمهورية .
- علم التضييق على المدرسين في منحهم الإجازات الدراسية لفترة قصيرة أو لعدة سنوات .
- تسهيل المطالعة بمكتبة الوزارة أو بمكتبات مديريات التربية والتعليم بالمحافظات . وذلك بفتحها في الأوقات التي تناسب المدرسين ، أو بالسماح لهم باستعارة الكتب لمدة محدودة .

•

٣ - التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القوي :

- تجهيز المكتبة الوطنية بدمشق والمكتبات العامة بالمحافظات بالكتب التاريخية الكبرى والكتب الحديثة والهامة وبمجموعات كاملة عن بعض الصحف ... الخ .
- تمديد فترات المطالعة بهذه المكتبات ولا سيما الفترة المسائية .
- تخصيص قاعة في كل مكتبة وطنية للمدرسين والباحثين .
- تزويد المكتبات الوطنية والعامة بالكتب الأجنبية الهامة .

•

٤ - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم

الاجتماعية :

- تشجيع البحث التاريخي عن طريق تقديم جوائز للباحثين .
- تعيين بعض البحوث وإجراء مسابقة بها وتقديم جوائز للمؤلفين المتفوقين .

معين التاريخ لأهل التأريخ

- إحدات مكتبة تاريخية كبرى :
- إيجاد مجلة للعلوم الاجتماعية عامة وللتاريخ والآثار بصورة خاصة .
- إحدات جمعية تاريخية وآثارية في السنوات القليلة المقبلة .
- السعى لتسهيل اقتناء الكتب عن طريق تحديد أسعارها بالقدر الممكن .
- السعى لتسهيل حصول المدرسين الباحثين على الوثائق الرسمية السرية أو على المجلات العربية والأجنبية التي لا تلخل الجمهورية .
- السعى لتنظيم اطلاع المدرسين الباحثين على المصادر الإخبارية التي في حوزة إدارات الدعاية والأنباء .

معين التاريخ لأهل التاريخ

التَّوَصِّيَاتُ

التي أقرتها الحلقة

معين التاريخ لأهل التأريخ

البوصية الثانية

أولا - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

- ١ - تأليف مجموعة تاريخية جغرافية أثرية للجمهورية العربية المتحدة على أساس الخطط ، وتشكيل لجنة من المجلس لتقديم بمشروع كامل النواحي .
- ٢ - التوصية بعمل سجل تاريخي أثرى مصور لآثار الجمهورية العربية المتحدة في مختلف العصور ، ويكون شاملا لجميع الآثار بأنواعها وتفصيلها حسب ترتيبها الزمني والمعجمي لإظهار التطور التاريخي والتأثيرات المتبادلة والمميزات الفنية في كل من إقليمي الجمهورية ، على أن يبدأ المشروع بالمصور الإسلامية .
- ٣ - وضع مخططات (أطالس تاريخية) للعصور التاريخية المختلفة في الجمهورية العربية المتحدة بإقليمها .
- ٤ - وضع معجم للمصطلحات التاريخية بجميع أنواعها الواردة في مراجع التاريخ العربي في مختلف عصوره .
- ٥ - وضع معجم لتراجم المشاهير من الرجال والنساء في مختلف العصور .
- ٦ - وضع معجم تاريخي للبلدان والأمكنة العربية في مختلف العصور .
- ٧ - التوصية بعمل معاجم للموضوعات الاجتماعية المختلفة كالملايس والأدوات المنزلية والأثاث ... الخ في مختلف العصور .

معين التاريخ لأهل التاريخ

- ٨- وضع فهرس تحليلي لمراجع تاريخ الجمهورية العربية المتحدة في مختلف المصور التاريخية من قديم ووسط وحديث ومعاصر ،
- ٩- القيام بدراسة وافية علمية تمحيضية انتقادية عن الاستشراق وأغراضه وأهدافه .
- ١٠- العناية بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية في تأليف الكتب التاريخية .
- ١١- العناية بدراسة الأندلس والمغرب العربي من حيث التاريخ والآثار والمخطوطات والوثائق .
- ١٢- توجيه الرأي العام للاهتمام بالوثائق عن طريق دور الإذاعة والتلفزيون ومديرية الدعاية والأنباء (مصلحة الاستعلامات) وضرورة الحفاظ عليها ، والتنبيه إلى ضرورة تسجيلها وصيانتها أو تسليمها إلى مديرية الوثائق بدلاً من تركها عرضة للتلف .
- ١٣- التقدم بتوصية إلى بلديات محافظات الإقليمين برعاية الأمانة التي تضم أبنية أثرية .
- ١٤- التقدم بتوصية إلى جامعة الدول العربية بإنشاء مكتب اتصال في إدارتها الثقافية ليكون مركز الصلة بين الآثاريين والمؤرخين في البلاد العربية ، وأن يصدر عن هذا المكتب نشرة دورية تعرف المؤرخين والآثاريين بما يجري من بحوث تاريخية أثرية وما يصور من مخطوطات ، وما يصدر من مؤلفات في التاريخ والآثار في جميع تلك البلاد .
- ١٥- التوصية بعقد مؤتمر للدراسات التاريخية والأثرية بين المختصين من أبناء البلاد العربية كلها .
- ١٦- طبع البحوث والصور التي قدمت إلى الحلقة مع المناقشات التي دارت فيها والتوصيات التي أقرها الأعضاء في كتاب مستقل .

ثانياً — التوصيات الخاصة بوزارة التربية والتعليم المركزية :

- ١٧- زيادة الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية في المدارس الثانوية وفي كليات الجامعات المختلفة .
- ١٨- العناية بالمكتبات في المدارس الثانوية ، وفي أقسام التاريخ والآثار في الكليات الجامعية والمعاهد العليا ، وإنشاؤها في المدن التي لا توجد بها مكتبات عامة .
- ١٩- التوصية بالعناية بالدورات التدريبية لمدرسي التاريخ في المدارس الثانوية لتجديد ثقافتهم التاريخية وتنميتها .
- ٢٠- التقدم بالتوصية بوجوب العناية بأمر المتاحف المدرسية .
- ٢١- تشجيع المتأخرين من مدرسي التاريخ في المدارس الثانوية بإفادهم في بعثات دراسية قصيرة أو طويلة الأمد لاستكمال دراستهم .
- ٢٢- إعداد أخصائيين في التاريخ والآثار والعلوم المساعدة ، بإرسال بعثات إلى الجامعات في الخارج .
- ٢٣- إرسال بعثات علمية من خريجي الجامعات لدراسة علم الوثائق وطرق صيانتها وتنظيمها ، وإرسال بعثات تدريبية لموظفي إدارات الوثائق بالجمهورية العربية المتحدة للوقوف على أحدث النظم في تنظيم الوثائق وصيانتها .
- ٢٤- إرسال عدد من خريجي كليات الهندسة والفنون الجميلة والفنون التطبيقية في بعثات عملية تطبيقية إلى الخارج لدراسة ترميم الآثار .
- ٢٥- إرسال بعثات علمية إلى الأندلس والمغرب العربي لخصر ودراسة الآثار والمخطوطات التي لم يسبق دراستها .

الثالث - التوصيات الخاصة بالمجلس الأعلى للجامعات :

٢٦- إصدار مجلة لكلية الآداب بجامعة دمشق لنشر ما يقدمه أعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الباحثين .

٢٧- إنشاء معاهد عليا لدراسة الآثار في كليات الآداب بالجمهورية العربية المتحدة .

٢٨- التوصية بإنشاء قسم لدراسة اللغات الشرقية القديمة والحديثة في كلية الآداب في جامعة دمشق .

٢٩- العمل على إنشاء قسم خاص باللغات والدراسات الكلاسيكية في جامعة دمشق وإعداد جهازه التعليمي ووسائل عمله قبل تأسيسه .

٣٠- التوصية بتدريس اللغات الحية كالألمانية والأسبانية والروسية والإيطالية وغيرها في جامعات الجمهورية العربية المتحدة.

٣١- توصية جميع كليات الآداب بإدخال مادتي تاريخ الحضارة وحضارات الشرق القديم في مناهجها حسب حاجة الطالب العربي ، ووضع مؤلفات ونشر نصوص تاريخية عنها .

٣٢- الدعوة إلى إدخال مواد التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والفلسفة السياسية بالإضافة إلى الجغرافية واللغات الأجنبية في أقسام التاريخ بجامعات الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على إيفاد بعثات لخريجي أقسام التاريخ للتخصص في هذه المواد تخصصاً ملائماً للأغراض التاريخية .

٣٣- مساعدة أساتذة التاريخ والآثار على التفرغ لبحوثهم بتقليل ساعات التدريس ومنحهم إجازات التفرغ المنصوص عليها في لائحة الجامعات .

رابعاً — التوصيات الخاصة بوزارة الثقافة والإرشاد القومي المركزية:

٣٤- التوصية بتنفيذ ما سبق أن اقترحه كل من اللجنتين بعمل كتيبات عن تاريخ كل محافظة من محافظات الجمهورية على حده ، ووضع كتيبات في تاريخ ووصف المناطق الأثرية الهامة فيها .

٣٥- التوصية بتنظيم معارض متنقلة بين مدن إقليمي الجمهورية ممثلة للحضارات في كل من إقليمي الجمهورية في العصور المختلفة .

٣٦- التوصية برعاية الصناعات الأخصائية بترميم الآثار وتشجيعهم والعمل على إيجاد فئة جديدة تحل محلهم إبقاء على صناعتهم .

٣٧- التوصية باستصدار التشريع الكفيل بتسليم الوثائق التي لم تعد الإدارات الحكومية بحاجة إليها إلى مديرية الوثائق على أن تؤخذ بعين الاعتبار عند إصدار هذا التشريع النقاط الآتية :

١ - المحفوظات التي يجب على الإدارة حفظها إلى أجل غير مسمى .

ب - المحفوظات التي يجب على الإدارة حفظها لأجل مسمى وتنتهى حاجتها إليها بإنهائه ، وعندئذ يصار إلى تشكيل لجنة تمثل فيها مديرية الوثائق لانتقاء مايلزم من هذه المحفوظات والسماح بارتفاع الباقي .

ج - المحفوظات التي يمكن تسليمها حالاً إلى مديرية الوثائق .

د - تعيين كل إدارة ترتيب الوثائق التي بحوزتها ونوعها ووضع جهازها الإداري والقانوني نظاماً لذلك وتبلغ نسخة منه إلى مديرية الوثائق وتجرى عمليات التسليم والتسليم على أساسه .

مقرر اللجنة

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

اللوحات الخاصة بموضوع

تَرْمِيمُ الْأَشْيَاءِ

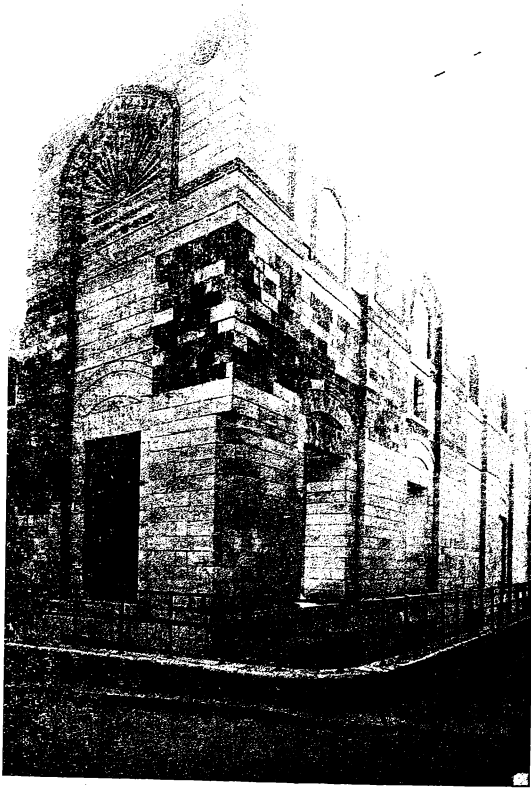
للمهندس محمد عبد الفتاح حلمي

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ



١ - واجهة مسجد الصالح طلائع قبل الإصلاح



معين التاريخ لأهل التأريخ

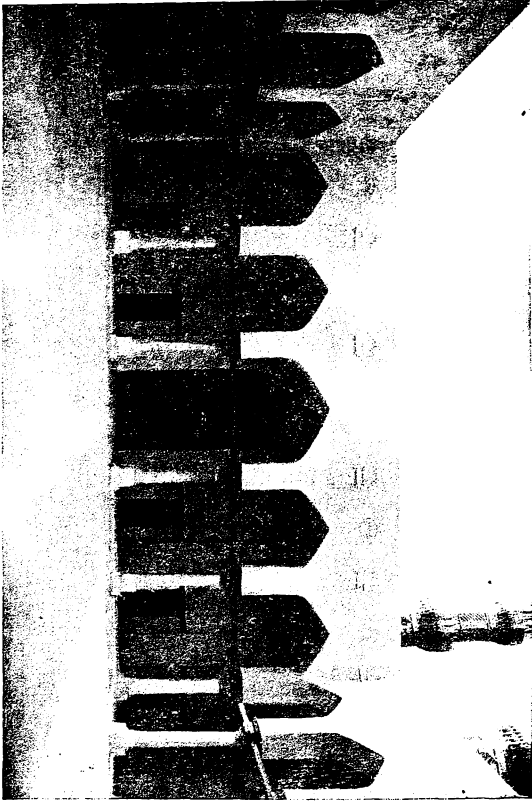
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



معين التاريخ لأهل التاريخ

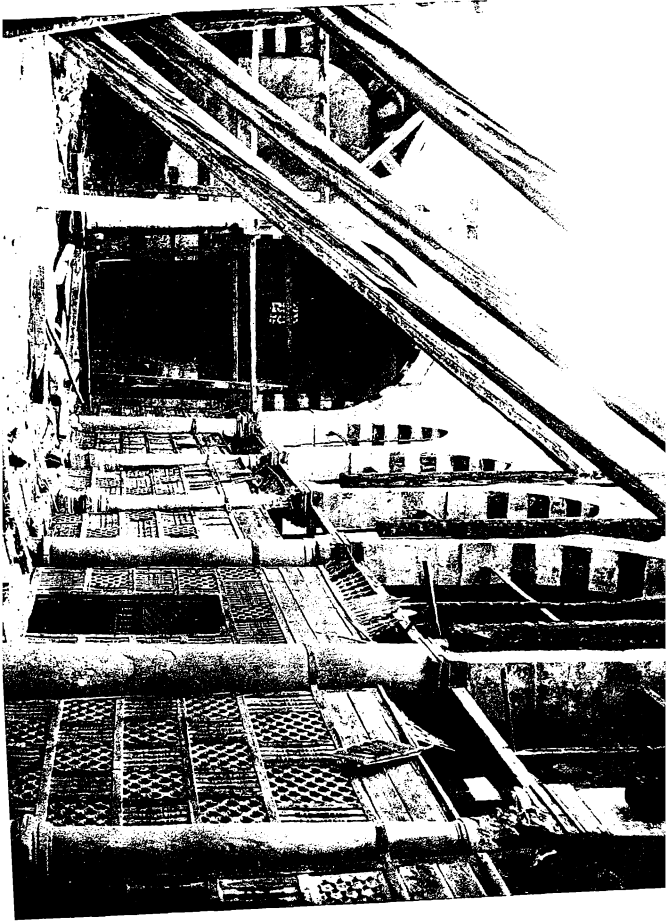
- داخل مسجد الصالح بلانج بند الإصلاح



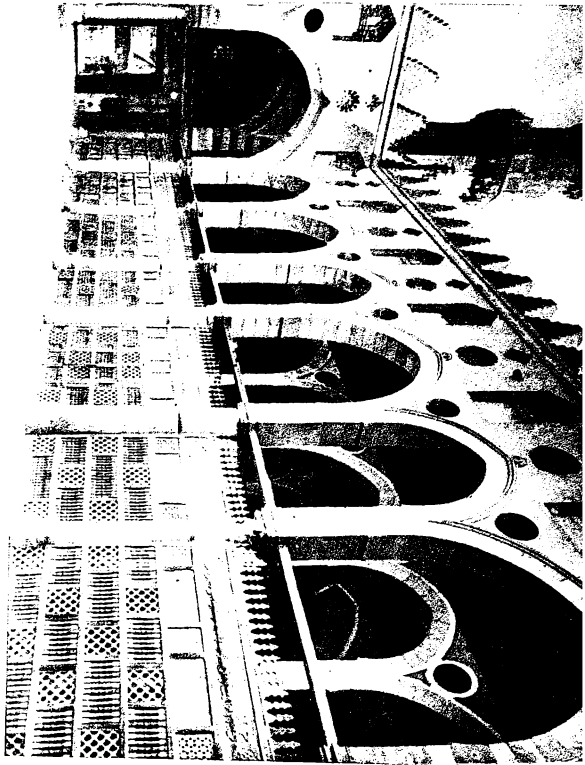
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



معين التاريخ لأهل التاريخ



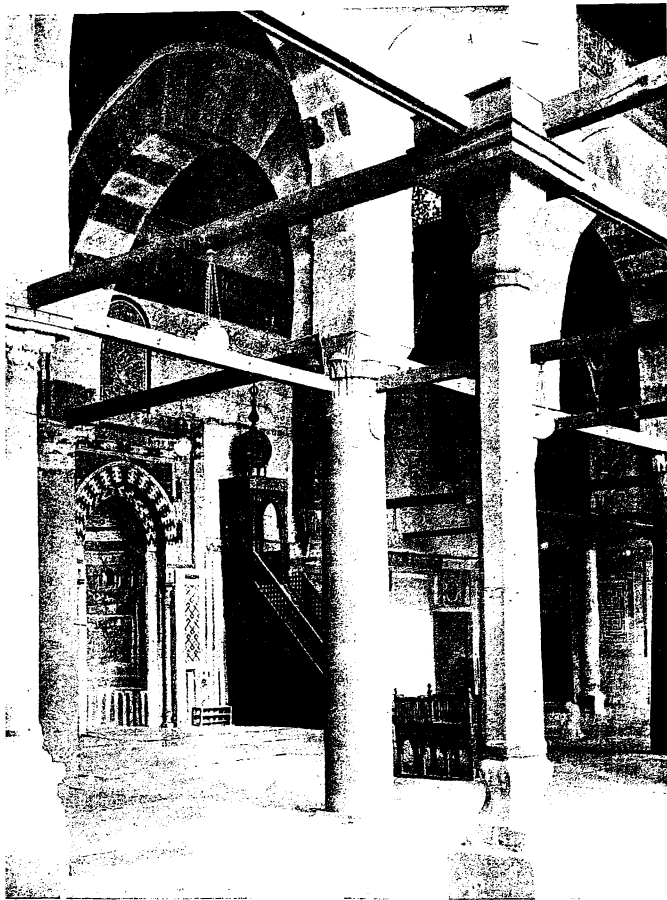
٢ - صحن جامع المارداني بعد الإصلاح

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ



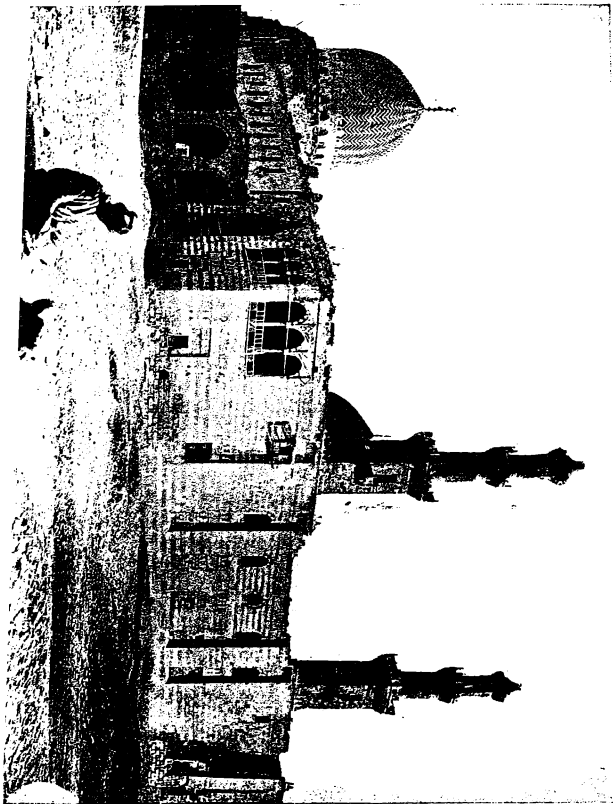
Al-Masjid al-Muqarran, Cairo, Egypt.



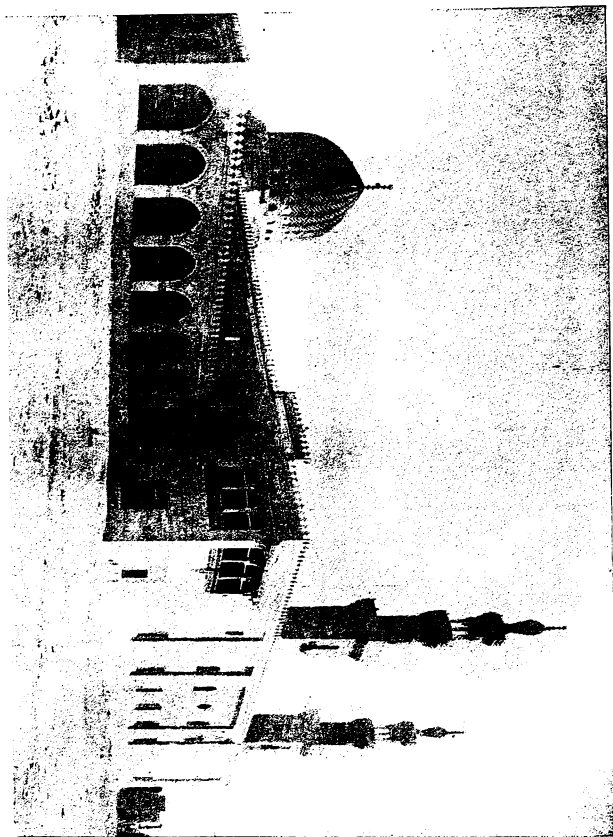
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



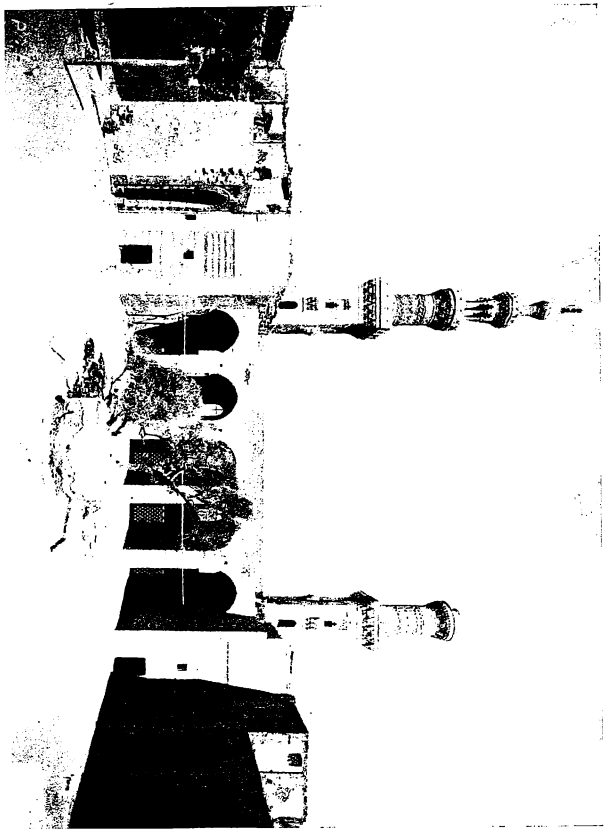
معين التاريخ لأهل التاريخ

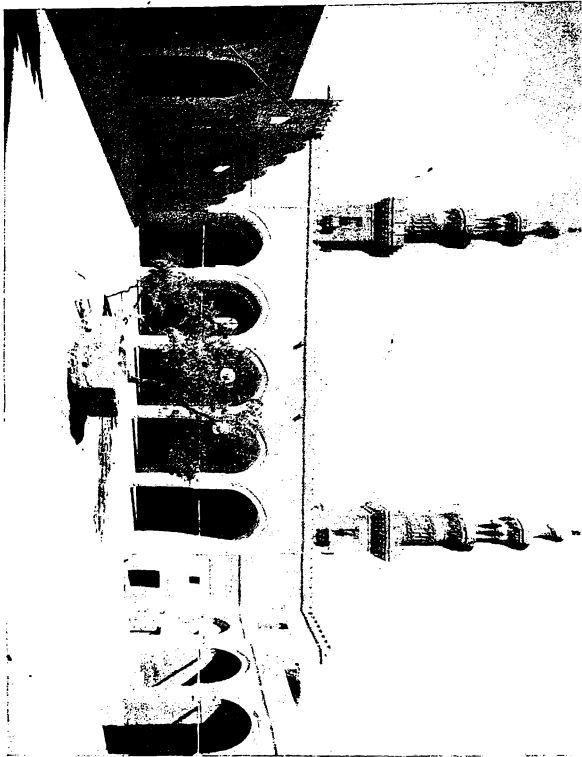


معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

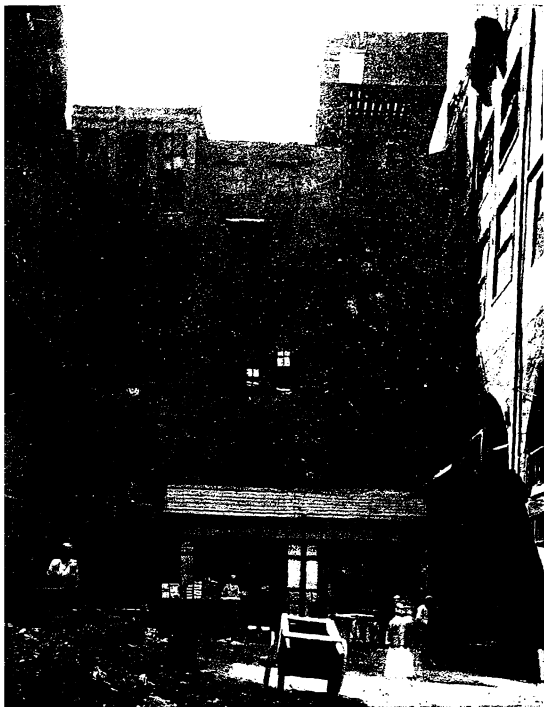




١٢ - داخل خانقاه فرج بن برقوق بعد الإصلاح

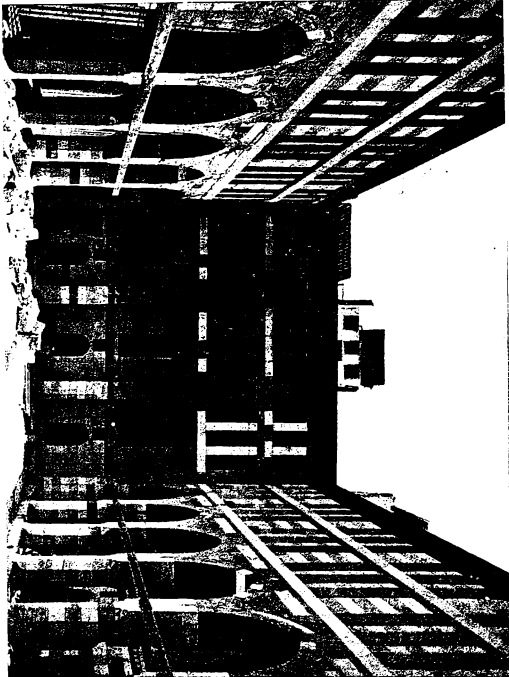
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ



١٣ - داخل وكالة الغورى قبل الإصلاح

معين التاريخ لأهل التاريخ

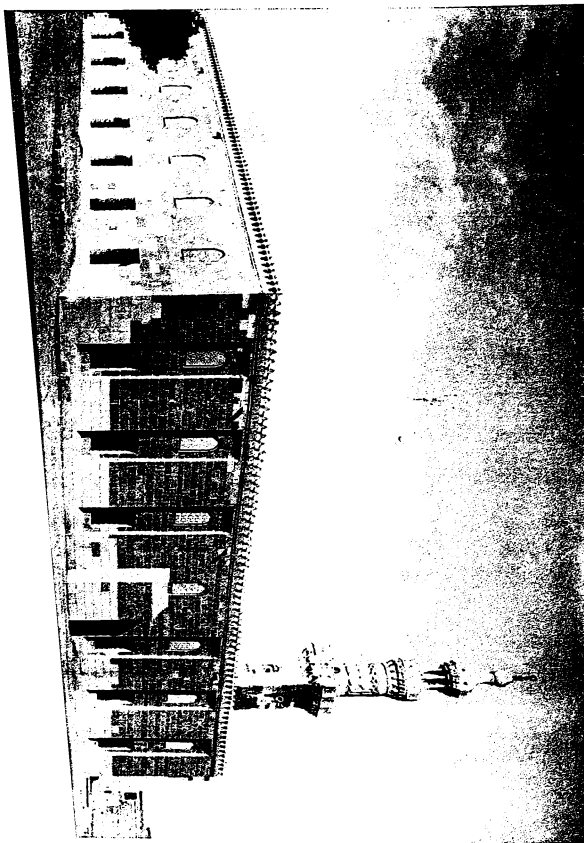


معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

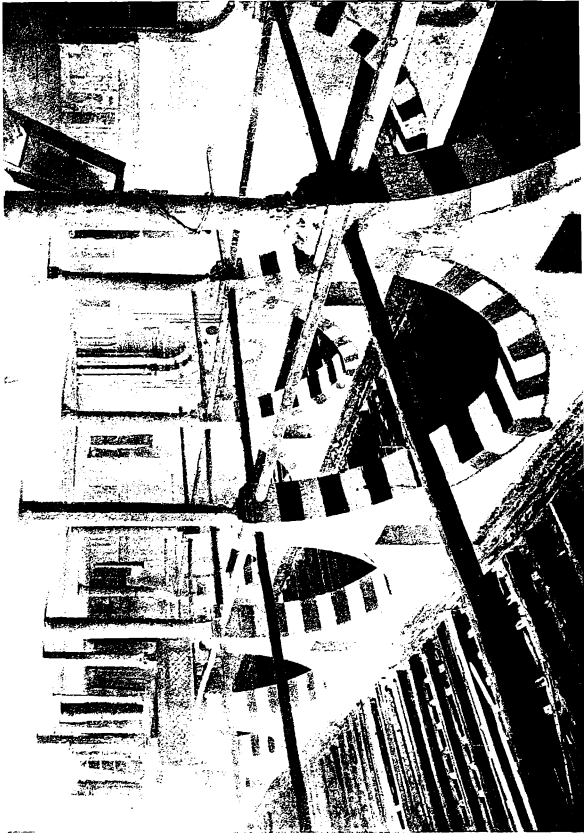
معين التاريخ لأهل التاريخ



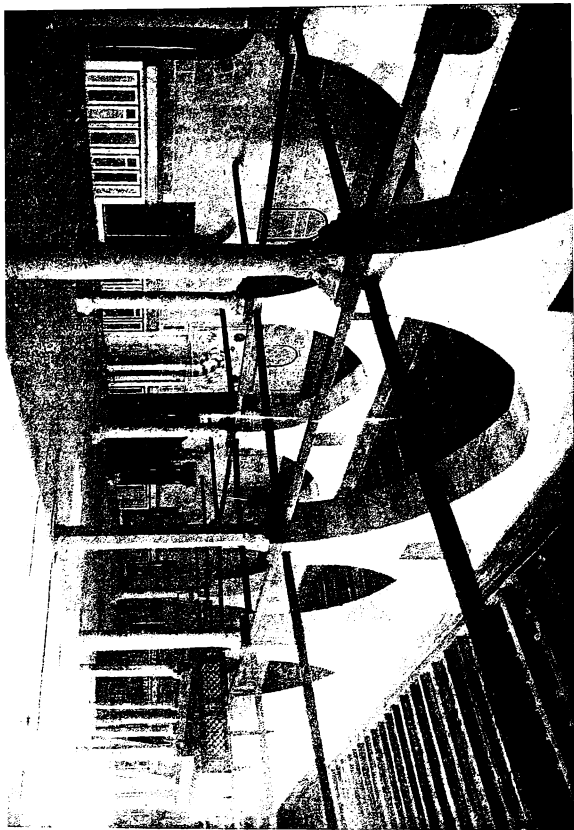
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



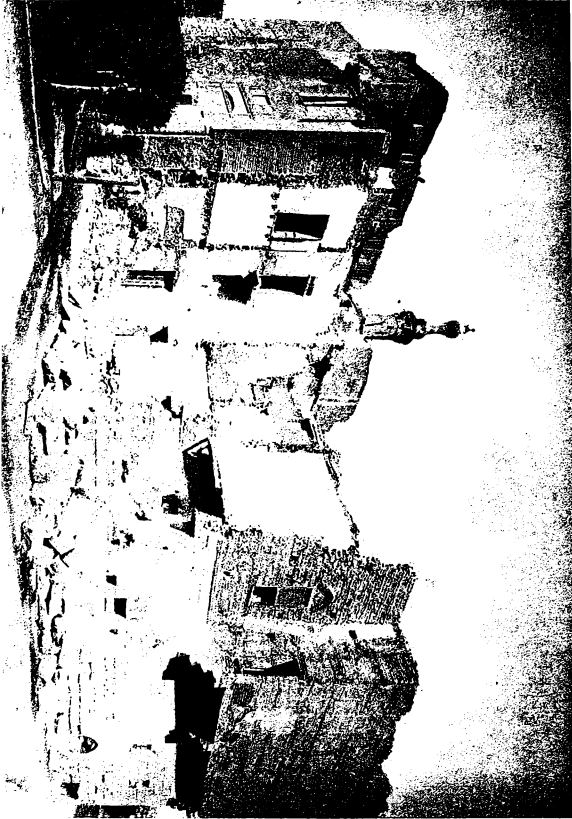
معين التاريخ لأهل التاريخ



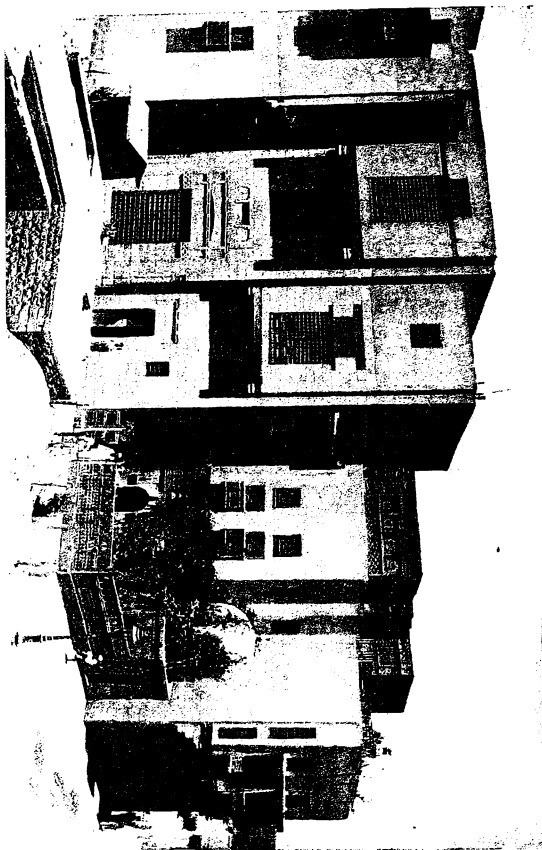
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



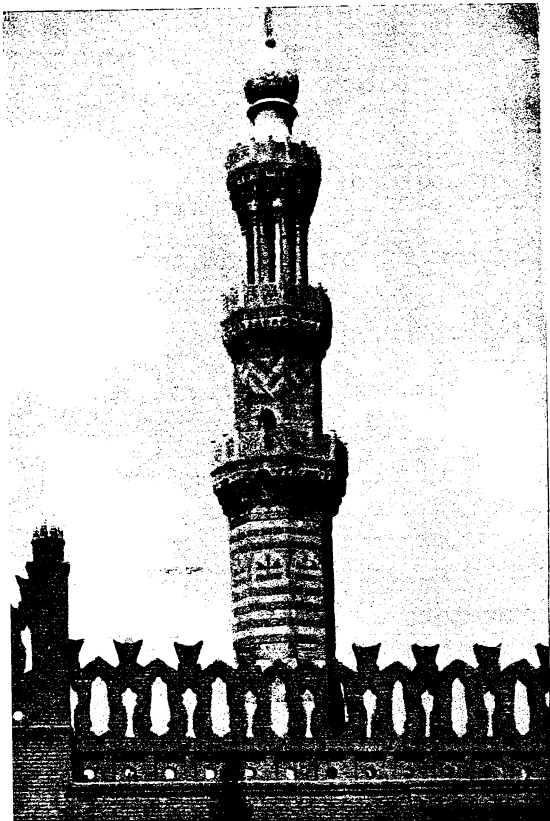
معين التاريخ لأهل التاريخ



معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

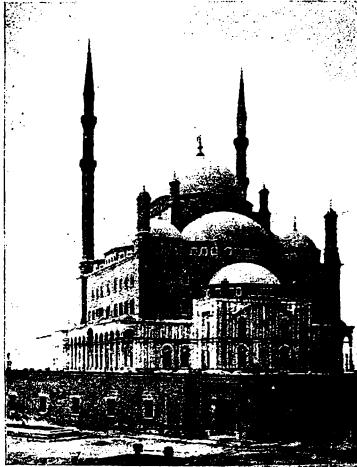




معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ



٢٤ - مسجد محمد علي بعد الإصلاح

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

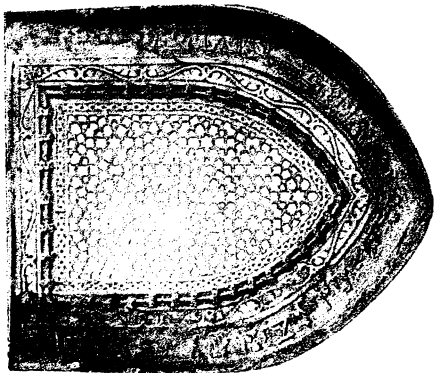
اللوحات الخاصة بموضوع

التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر

للأستاذ حسن عبد الوهاب

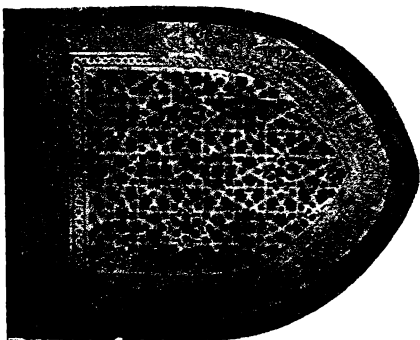
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ



٣ - شباك جصى بالجامع الخربزوف بمصر

(رسمه ٢٦٥ هـ . ٨٧٨ م)



٢ - شباك جصى بالجامع الخربزوف بمصر

معين التاريخ لأهل التأريخ



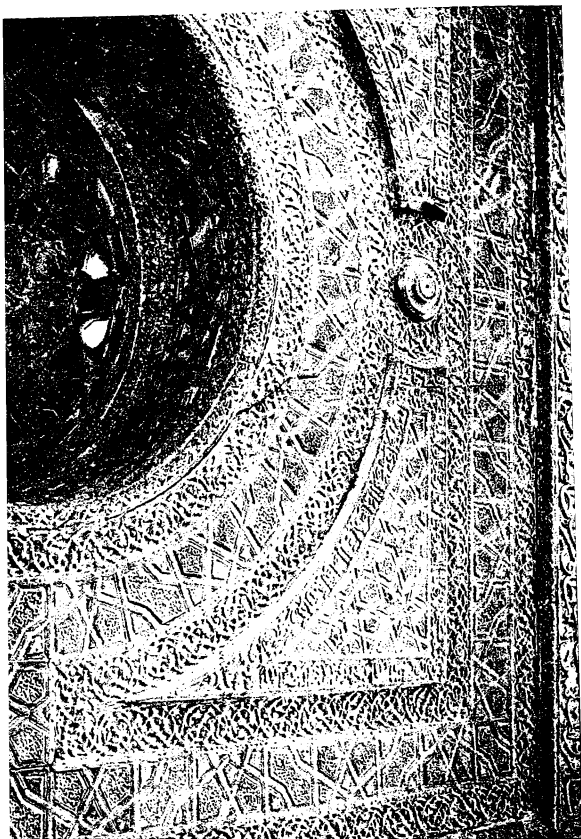
٤ - محراب طولوني بالجامع الأموي بدمشق (القرن الثالث الهجري . القرن التاسع الميلادي)

معين التاريخ لأهل التأريخ



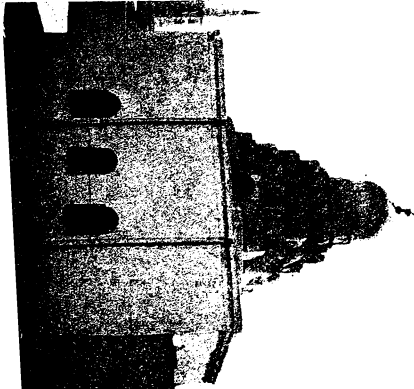
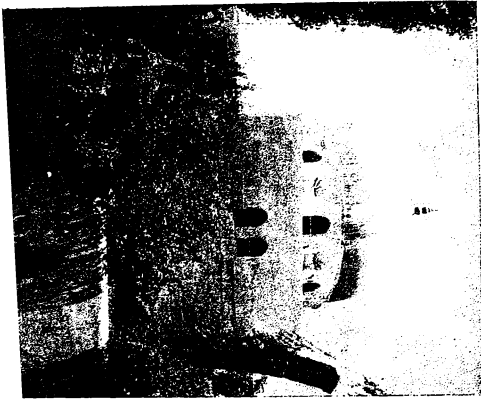
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

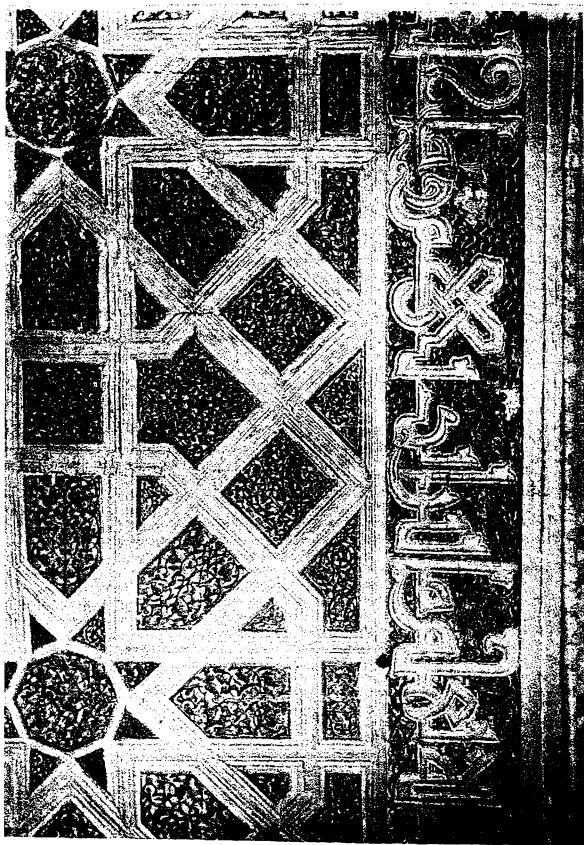


معين التاريخ لأهل التأريخ

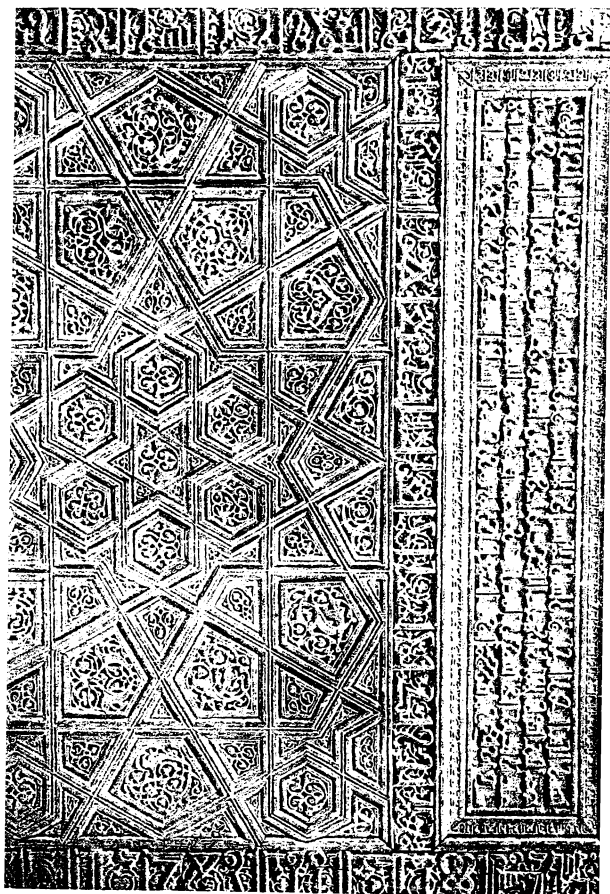


٩ - قبة عبد الرحمن - بالدحلاح بدمشق (العصر الأيوبي)

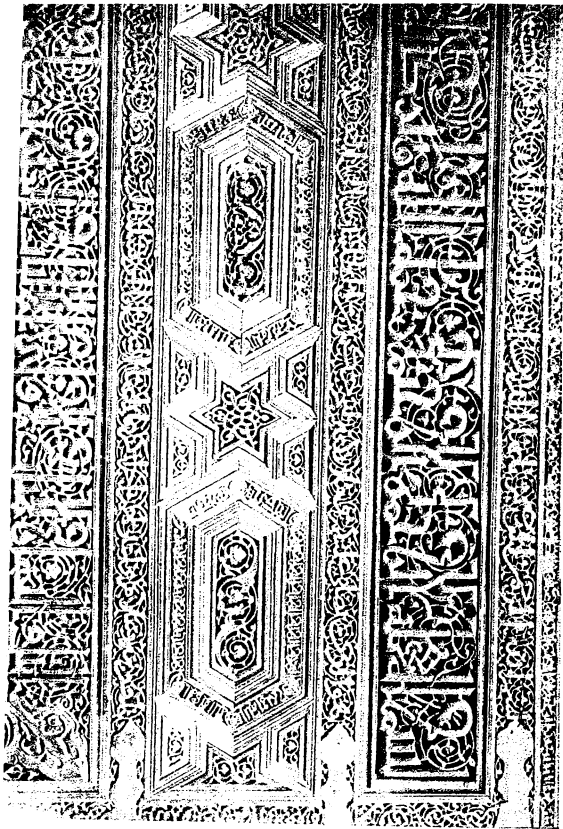
معين التاريخ لأهل التأريخ



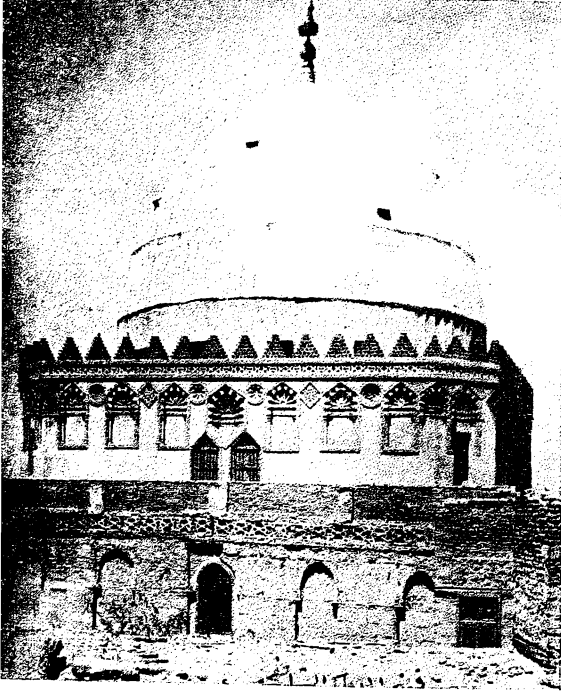
معين التاريخ لأهل التأريخ



معين التاريخ لأهل التأريخ

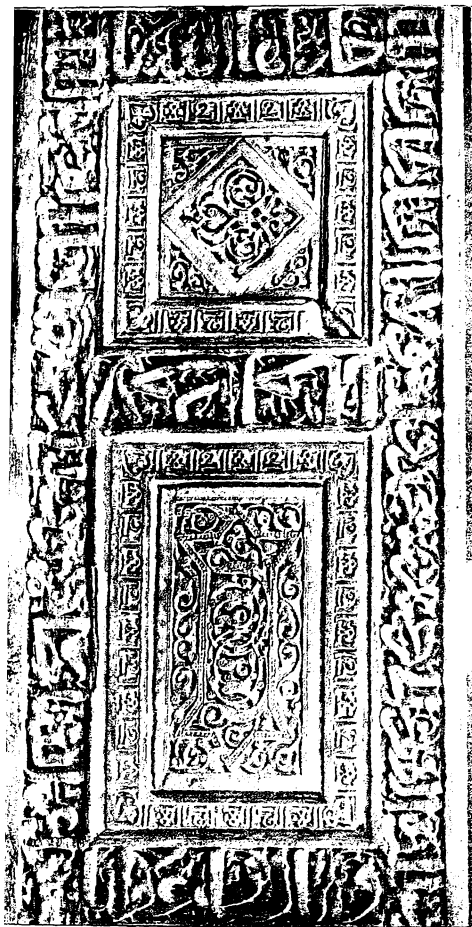


معين التاريخ لأهل التأريخ



١٣ - قبة الإمام الشافعي (سنة ٥٦٠ هـ . ١٢١١ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

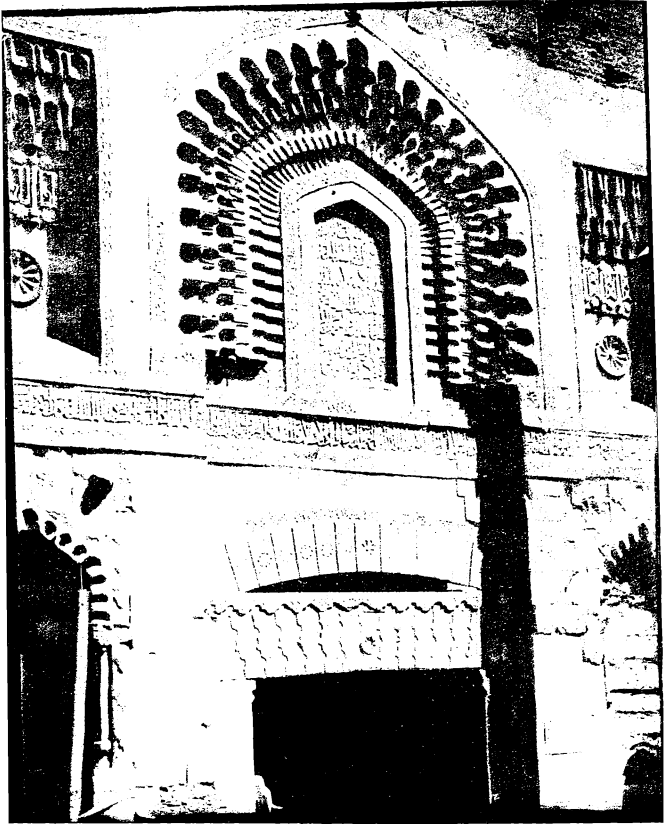


معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

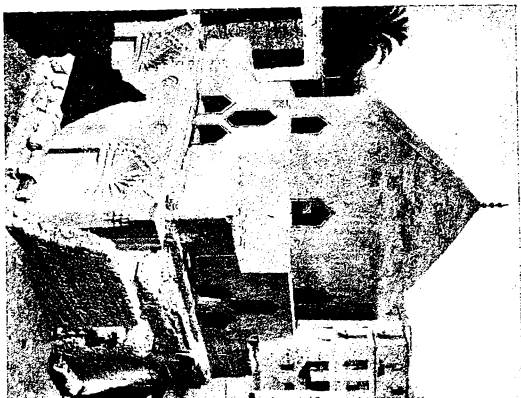


معين التاريخ لأهل التأريخ

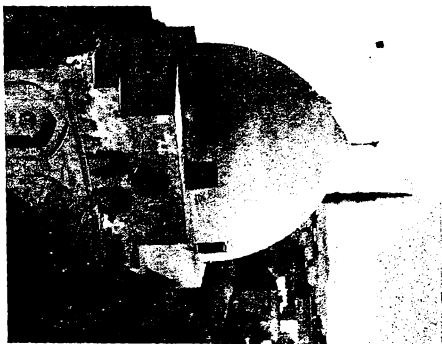


معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

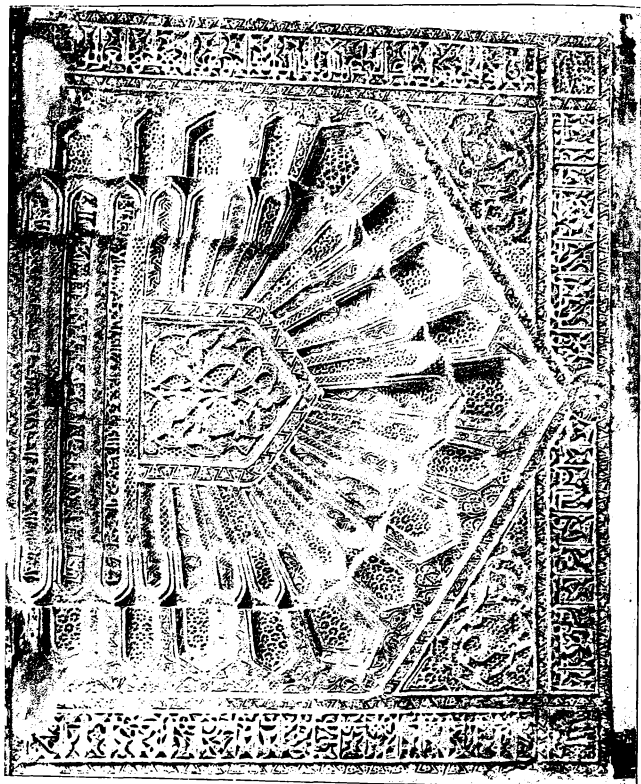


١٦ - قبة شجر الدر (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)

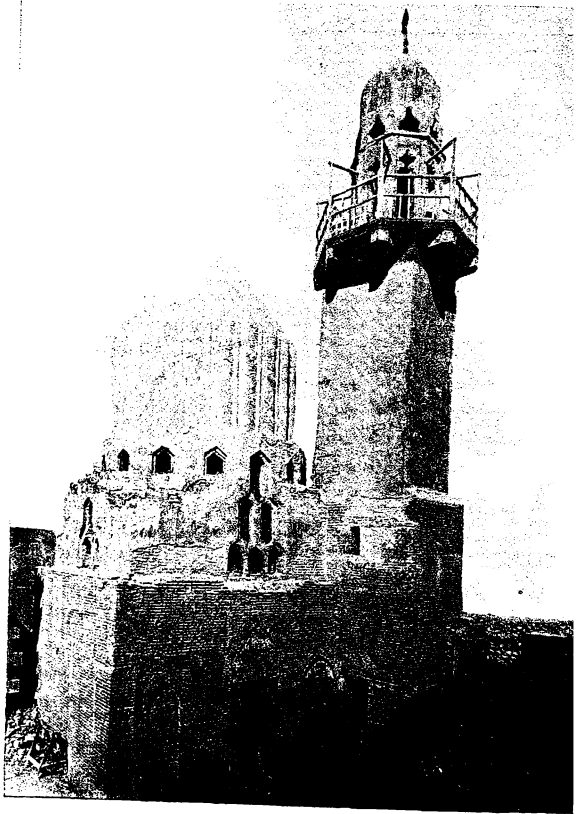


١٧ - قبة الصالح نجم الدين بإقامة (سنة ٦٤٨ هـ . ١٢٥٠ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



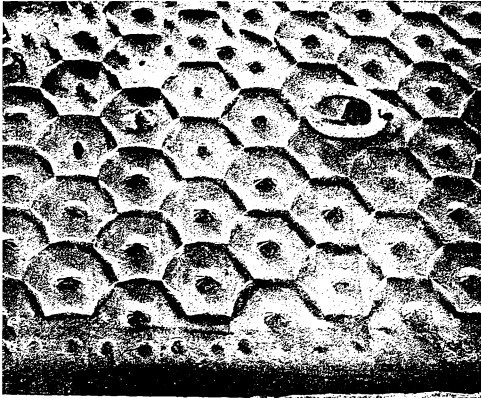
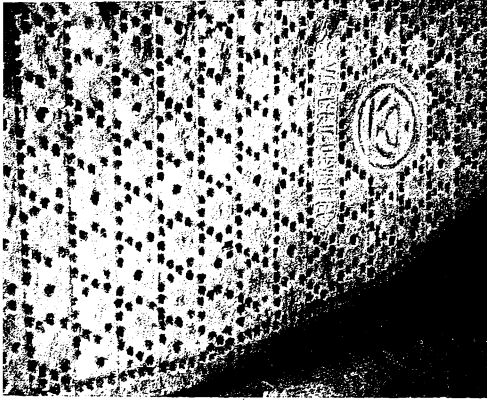
معين التاريخ لأهل التأريخ



٢٠ - قبة ومئذنة أبو الغصنفر أسد الفاضل بالقاهرة (أواخر العصر الأيوبي)

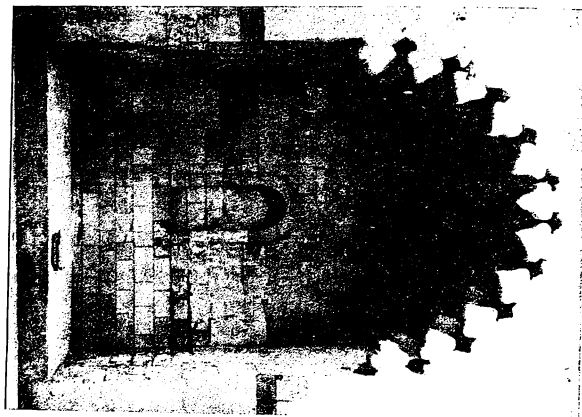
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

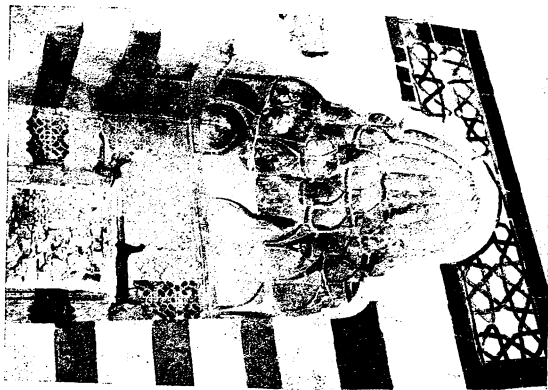


معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



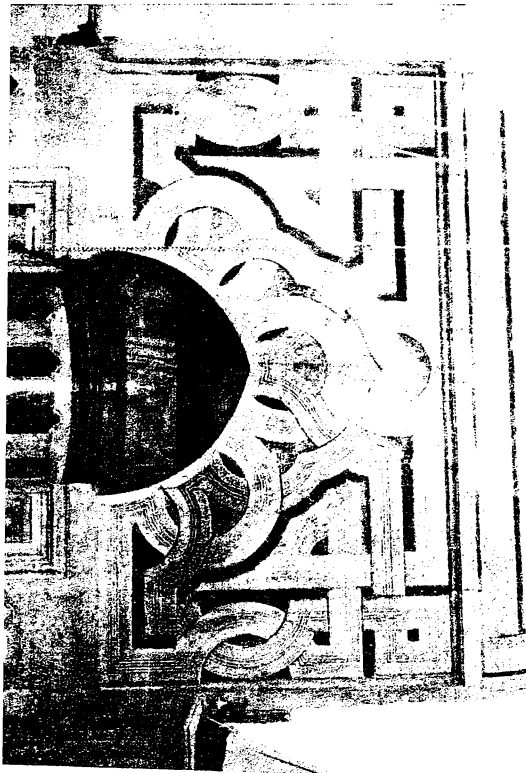
٢٤ - القبة النورية: جامع النوري
(القرن الثالث عشر الميلادي)



٢٣ - باب البركة السلطانية: جامع
(سنة ١١٣٠ - ١٢٢٥ هـ، ١٢١٦ - ١٢٢٧ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



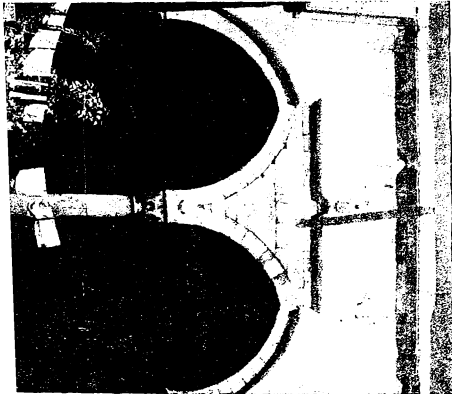
معين التاريخ لأهل التأريخ



٢٦ - باب رباط أزدمر . مصطفى باشا حاكم الين بشارع القادرية بالإمام الشافعي بمصر
(حوالي سنة ١٦٦٦ هـ . ١٢٦٧ م)

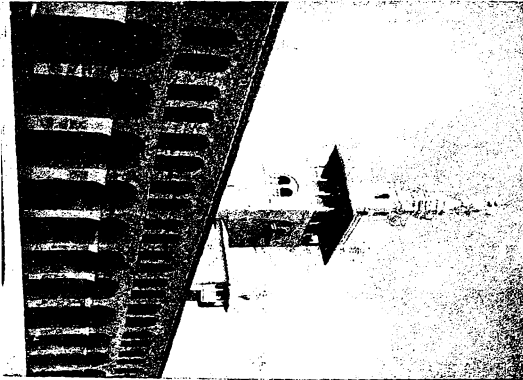
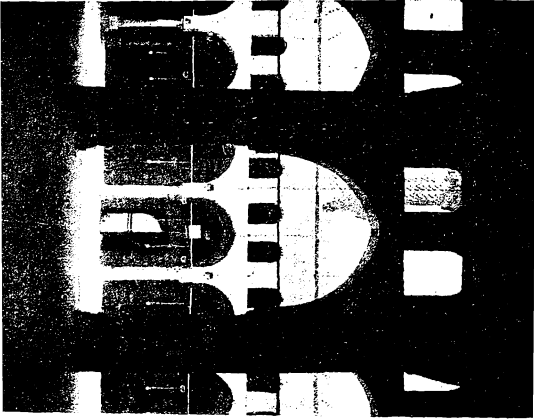
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



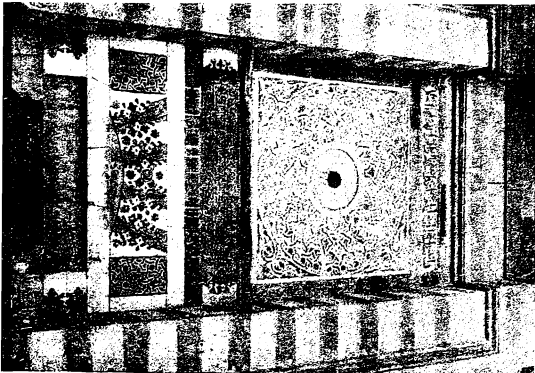
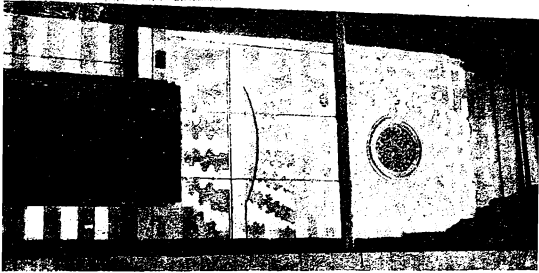
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

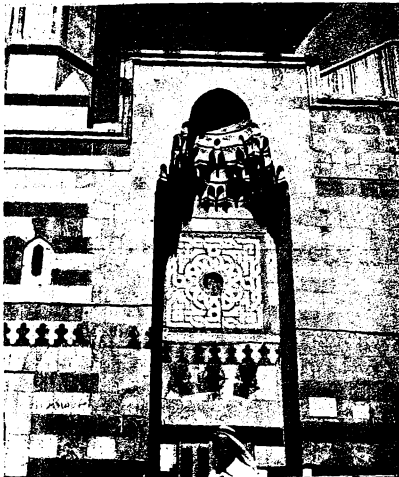


معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

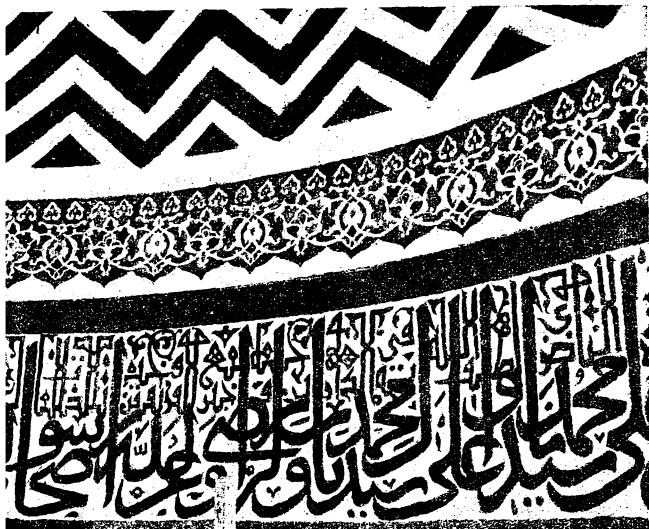


معين التاريخ لأهل التأريخ



٣٣ - كسوة رخامية في باب التربة الأرغونية بدمشق

معين التاريخ لأهل التأريخ



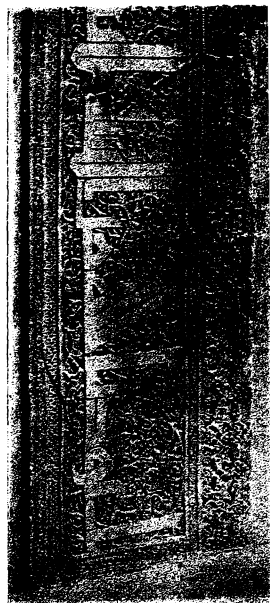
٣٤ - طراز مكتوب بالخطين الكوفي والنسخي رقية القبة البحرية بخانقاه فرج بن برقوق بالقرافة الشرقية بالقاهرة
(سنة ٥٨٠٣ . ١٤٠٠ م)



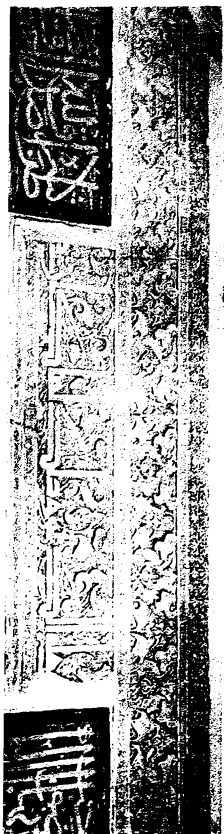
٣٥ - طراز مكتوب بالخطين الكوفي والنسخي بالمدرسة الجقمقية بدمشق (سنة ٥٨٢٤ . ١٤٢١ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

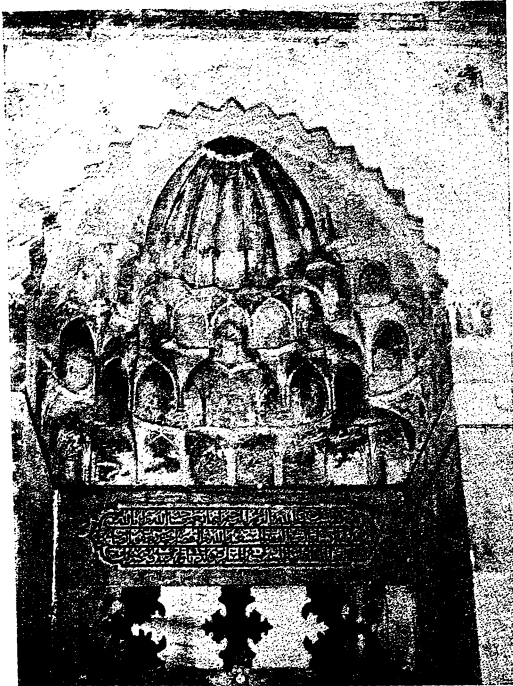
معين التاريخ لأهل التاريخ



٣٠ - طراز مكشوف بالخط الكوفي بحدود السلطان حسن (سنة ٨٧٥ هـ - ٧٦٤ هـ)



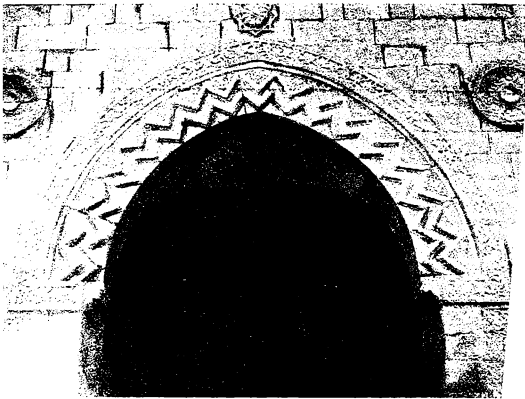
معين التاريخ لأهل التأريخ



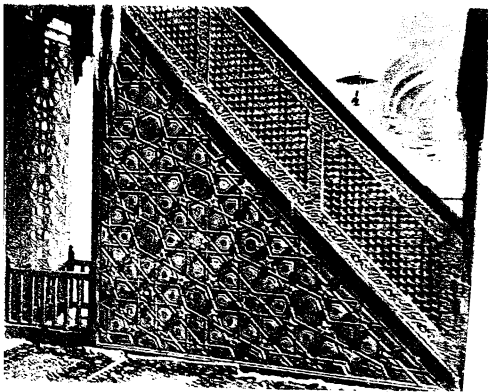
٣٨ - مدخل مسجد الفستق (المدرسة الواسطية) بحلب (سنة ٥٧٥٠ . ١٣٥٠ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

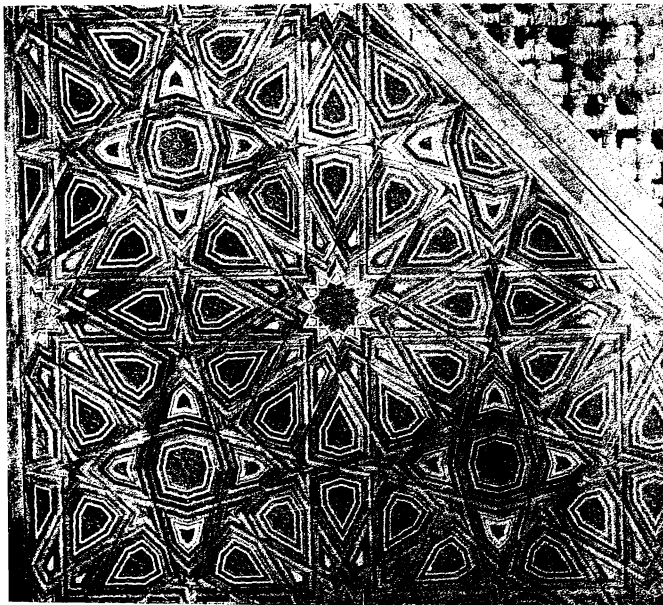


٣٠ - عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس البندقدارى بالقاهرة (سنة ٦٦٧ هـ . ١٢٦٩ م)



٤٠ - منبر الجامع الكبير بحلب (أوائل القرن الثامن الهجرى)

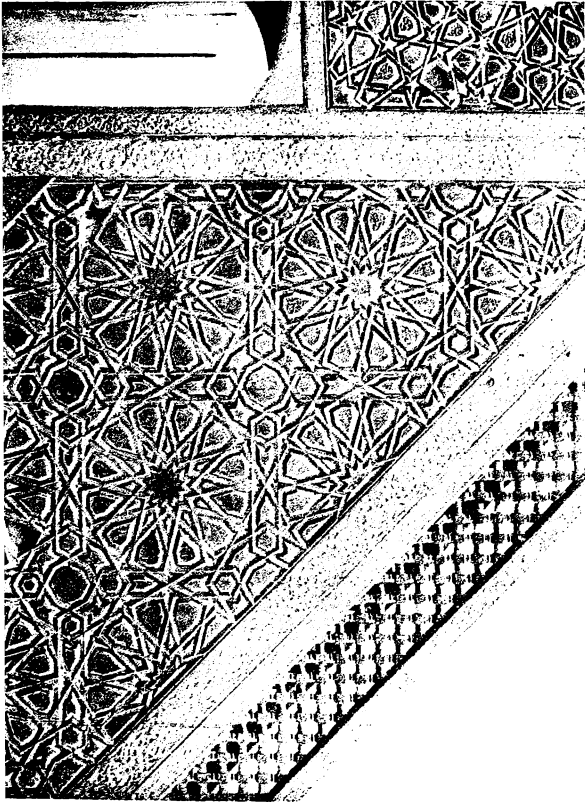
معين التاريخ لأهل التأريخ



٤١ - منبر مسجد حلق التهامة بمصر (سنة ٥٧٤٠ . ١٣٤٠م)

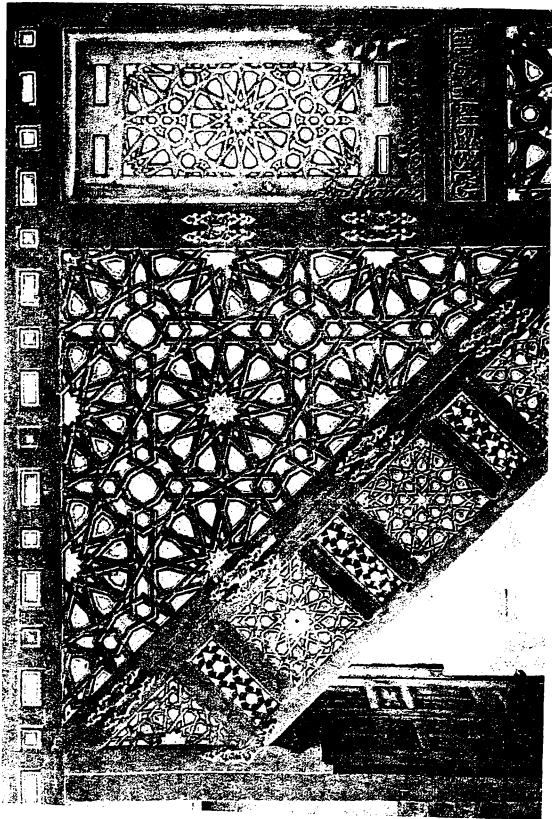
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

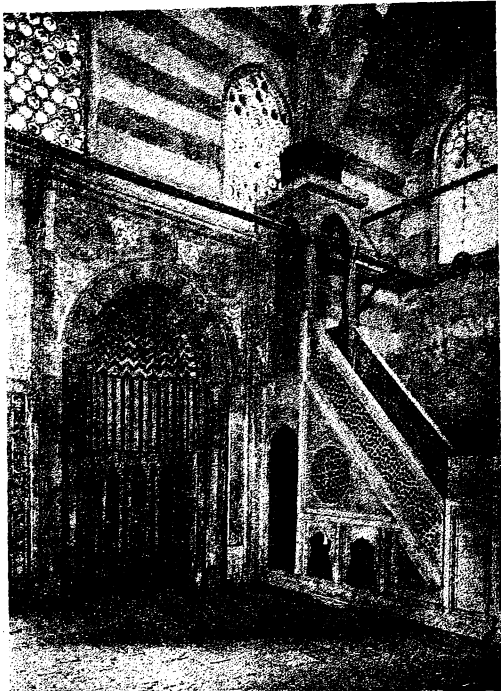


معين التاريخ لأهل التأريخ



٤٤ - محراب ومنبر مسجد سنان باشا بدمشق (سنة ٩٩٥ هـ . ١٥٨٦ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



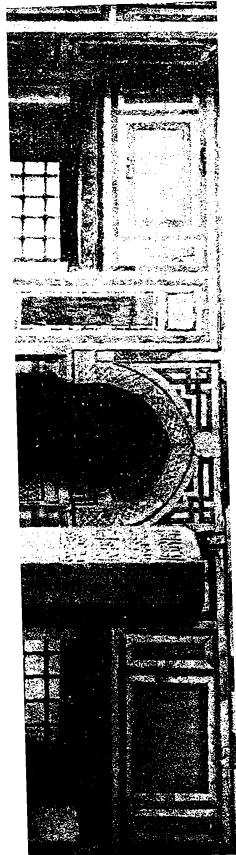
٤٥ - محراب ومنبر مسجد الملكة صفية بمصر (سنة ١٠١٩ هـ . ١٦١٠ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



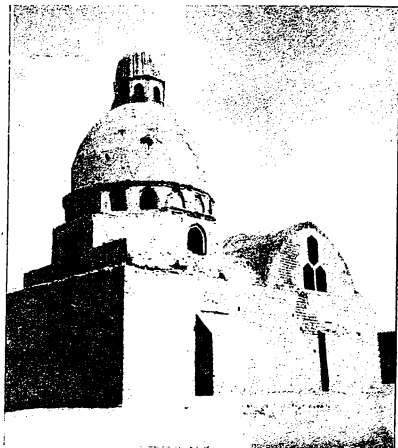
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

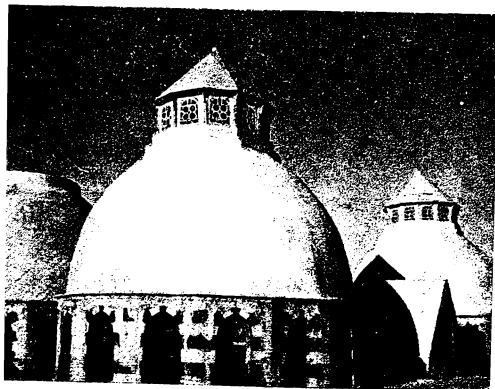


معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



٤٨ - قبة المئوفى بالقرافة القبلية بمصر (نهاية القرن الثالث عشر الميلادى)



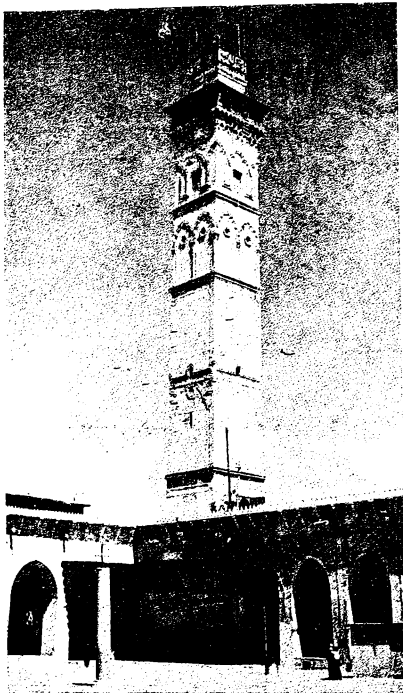
٤٩ - قبة خان أسعد باشا العظمى بدمشق (سنة ١١٦٦ هـ . ١٧٥٢ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



٥٠ - منارة الجامع الكبير بمكة المكرمة

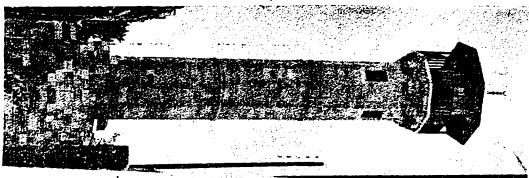
معين التاريخ لأهل التأريخ



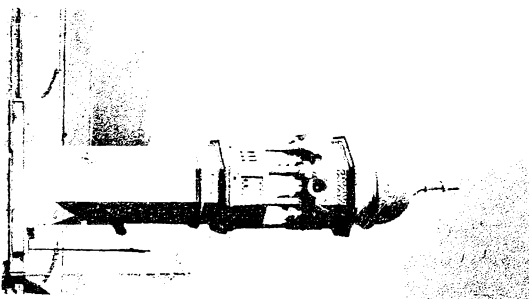
٥١ - منارة الجامع الكبير بحلب

معين التاريخ لأهل التأريخ

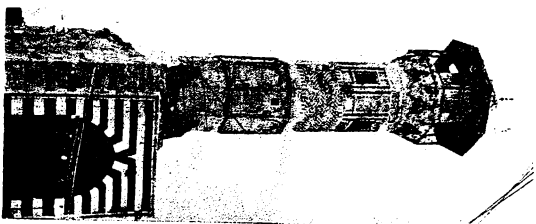
معين التاريخ لأهل التاريخ



٥٣ م - منارة مسجد المولايين بجلب
(سنة ٧٨٧ هـ . ١٣٩٤ م)



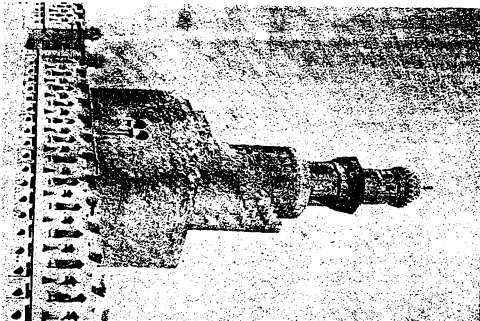
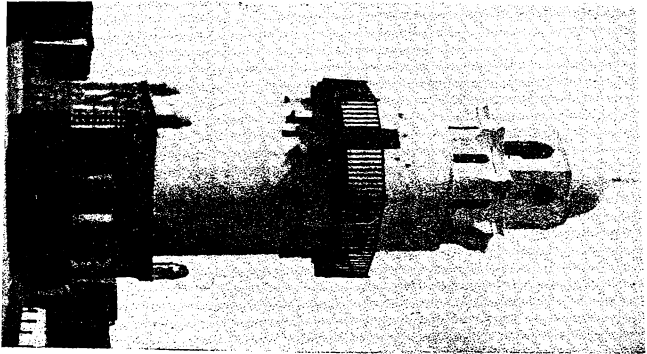
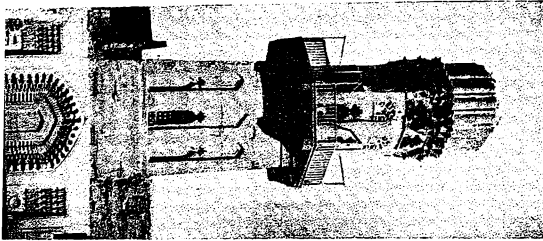
٥٤ م - منارة المدرية بجلب
(سنة ٧٨١ هـ . ١٣٦١ م)



٥٥ م - منارة المدرية الشاذلية بجلب
(سنة ٧٨٧ هـ . ١٤٢٤ م)

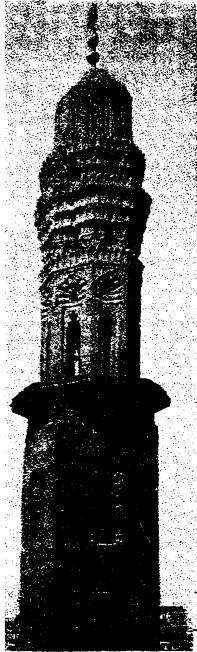
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ



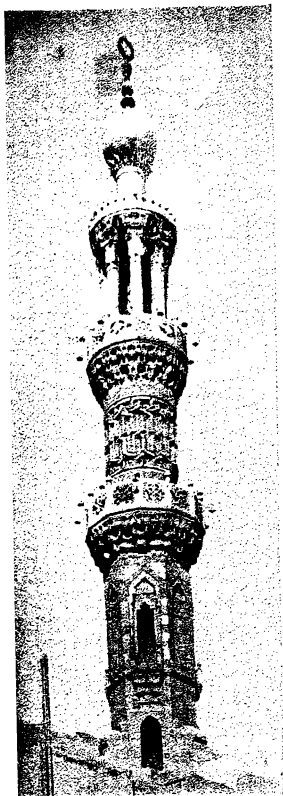
معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

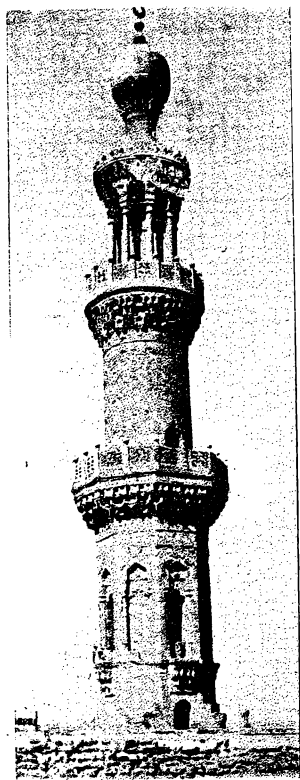


- منارة مدرسة سدير السعدي حزين
(سنة ١٧٢١ هـ)

معين التاريخ لأهل التأريخ

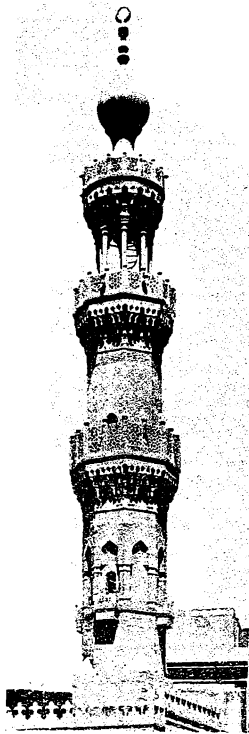


٦٠ - منارة مسجد آسبغا (سنة ٧٧٢ هـ)



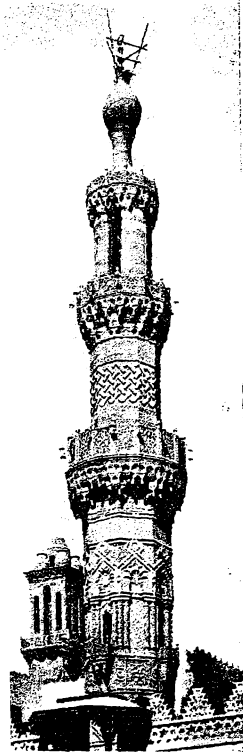
٥٩ - منارة مدرسة أبلجى اليوسفى (سنة ٧٧٤ هـ)

معين التاريخ لأهل التأريخ



٦١ - منارة مسجد القاضي يحيى بشارع الأزهر.
(سنة ٨٤٨ هـ . ١٤٤٤ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

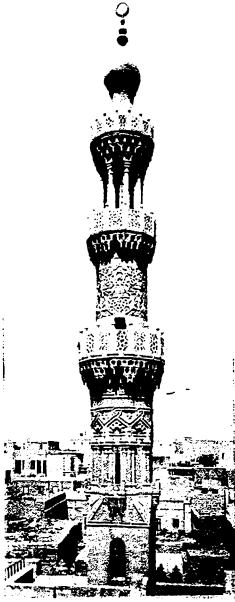


٦٣ - منارة السلطان قايتباي بالأزهر

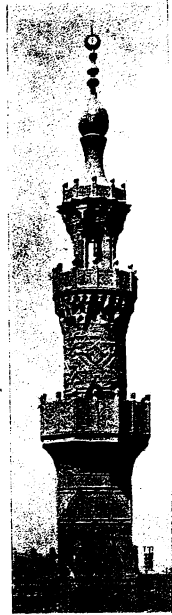
(سنة ٨٧٣ هـ . ١٤٦٨ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

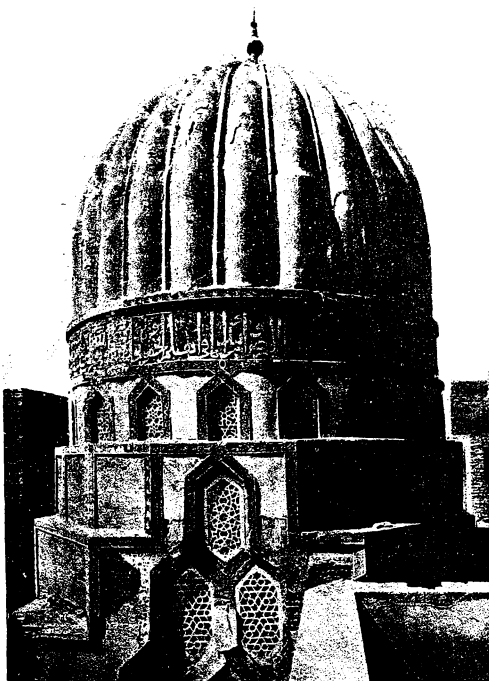


٦٦ - منارة مدرسة جامع الجواهران بالسروجية
(سنة ٨٨٣ . هـ ١٤٧٨ م)



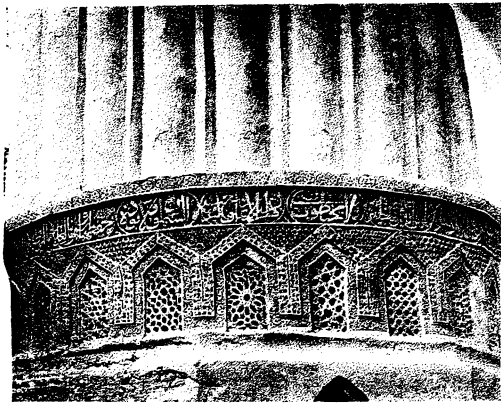
٦٥ - منارة مسجد قايتباي بقلعة الكيش
(سنة ٨٨٠ . هـ ١٤٧٥ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



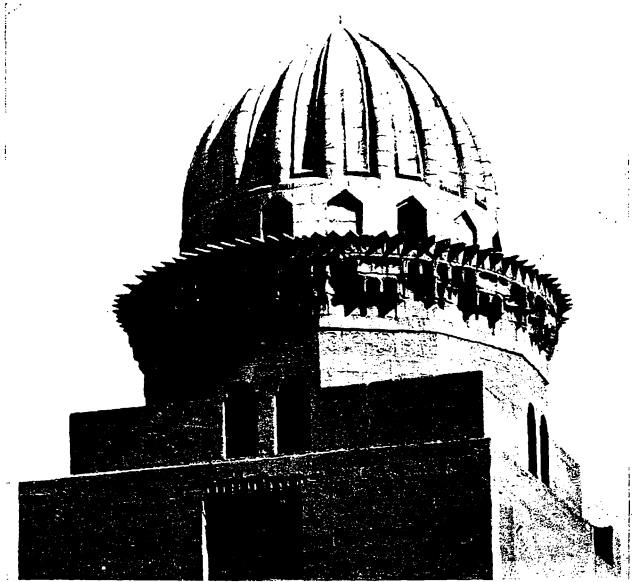
٦٧ - قبة زين الدين يوسف (سنة ٦٩٧ هـ . ١٢٩٨ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



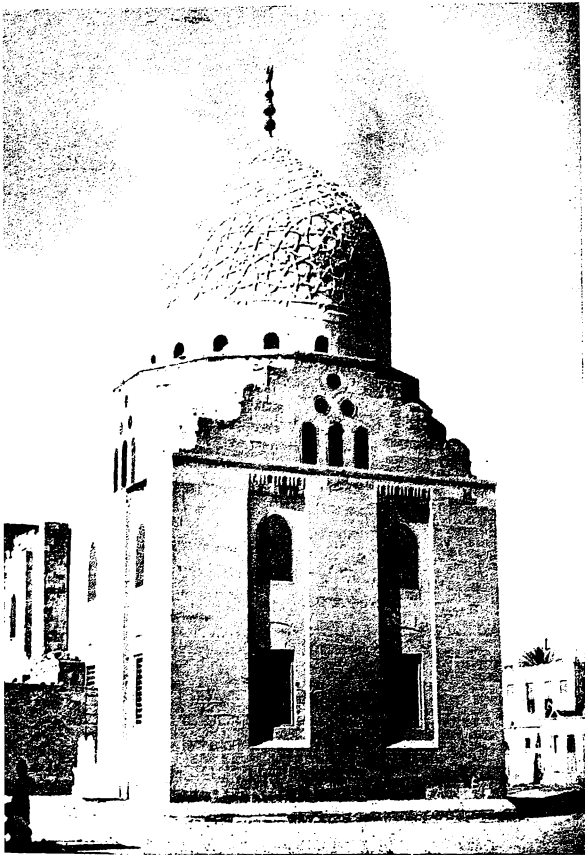
٦٨ - قبة الخانقاه البندقارية (سنة ٦٨٢ . هـ ١٢٨٥ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

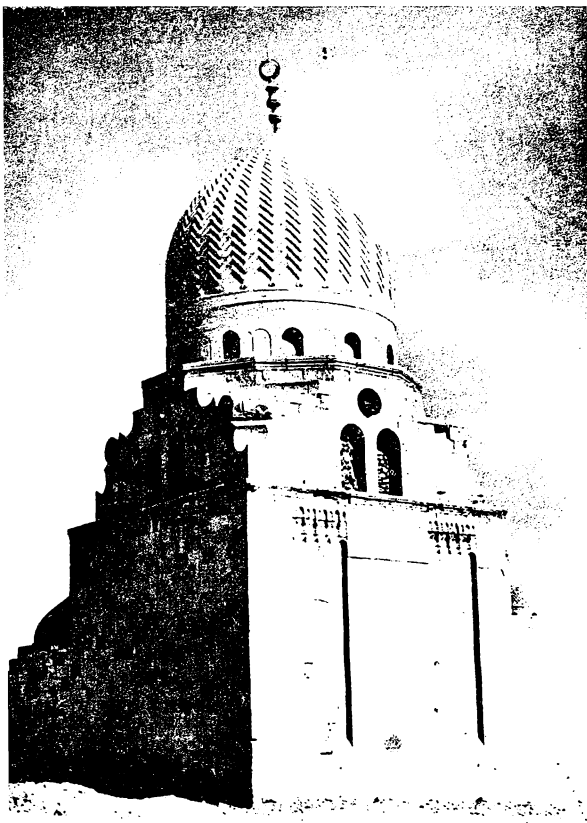


٦٩ - قبة تنكربغا بصحراء السيوطي (القرافة القبليّة) (سنة ١٧٦٤ هـ . ١٣٦٤ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

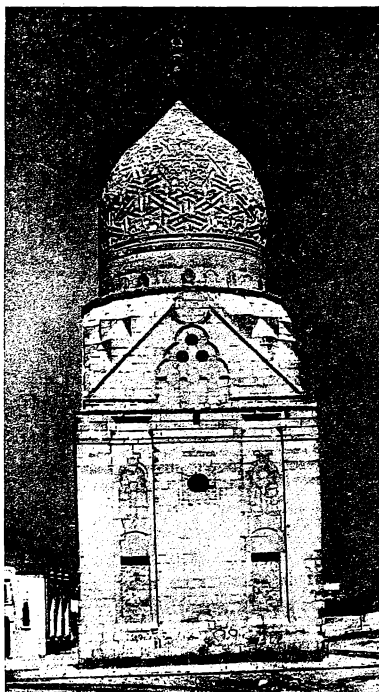


معين التاريخ لأهل التأريخ



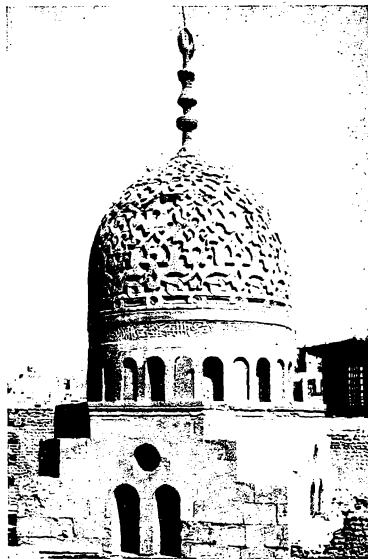
٧١ - قبة الأمير برسبای الجبجسی بالقرافة الشرقية (سنة ٨٦١ هـ ١٤٥٣ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



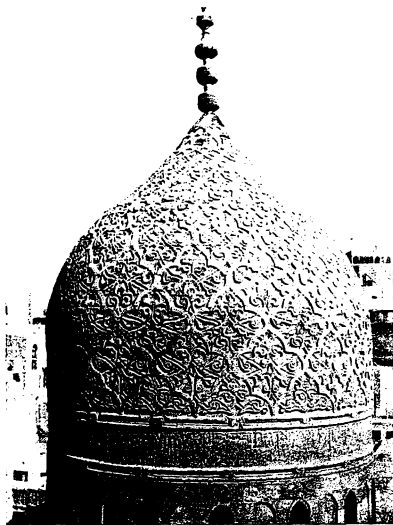
٧٢ - قبة قانصوه أبو سعيد بالقراقة الشرقية
(سنة ١٤٩٩ . ١٥٠٤ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



٧٣ - قبة المدرسة الجوهريّة بالجامع الأزهر (قبل سنة ١٨٤٤ . ١٤٤٠ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ



٧٤ - قبة مسجد قانيبای أمير اخور بمیدان صلاح الدین
(سنة ٩٠٨ هـ . ١٥٠٣ م)

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التأريخ

معين التاريخ لأهل التاريخ

الجمهورية العربية المتحدة

مطبوعات

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

- ٣٢ -

الملفات الدراسية (٢)

القاهرة

١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م

معين التاريخ لأهل التأريخ